

الأمثال الشعبية الفلسطينية
أمثالنا بتحكى عن أحوالنا

الأمثال الشعبية الفلسطينية أمثالنا بتحكى عن أحوالنا

الدكتور
ادريس محمد صقر جرادات

الطبعة الأولى
2020



إهداء

إلى ختيارية العز الذين ورثونا
خبراتهم ونتاج تجارب حياتهم العملية
إلى الآباء والأمهات والأجداد والجدا
إليهم جميعا نهدي هذا الكتاب

شكر وعرفان

يتوجه الباحث د. إدريس محمد صقر جرادات من مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي في سعير الخليل - فلسطين بالشكر الجزيل الى كل من ساهم ، وساند ، ودعم ، وقدم النصح ، والمشورة في سبيل إخراج هذا الكتاب الى حيز الوجود ويخص على تبنيها طباعة الكتاب وإخراجه الى حيز الوجود.

راجيا من الجميع قبول الشكر والعرفان.

مع الاحترام

د. إدريس محمد صقر جرادات

المحتويات

الصفحة	الموضوع
13	الدلالة التربوية للأمثال الشعبية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن في فلسطين والجزائر د. إدريس محمد صقر جرادات ، أ.د. عبد القادر سلامي ، د.زهير حسن حسين الحروب، د. نسيبة مساعدية ، د. ليلي موساوي ، وحدة البحث تلمسان-الجزائر
113	الدلالة التربوية للأمثال الشعبية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن في منطقة بيت لحم وعرب التعمارة د.زهير حسن حسين الحروب د. إدريس محمد صقر جرادات
169	القيم الجمالية في الأمثال الشعبية الفلسطينية د. ادريس محمد صقر جرادات د. سامي الزبيدي
201	فصل التشبيهات الشعبية الفلسطينية منطقة بيت لحم وعرب التعمارة أنموذجا د. مفيد عرقوب د. إدريس جرادات
233	الصّينغ الصرفية والتربوية والنحوية في دلالة أسماء النساء في الأمثال الحكيمّة د.إدريس محمد صقر جرادات د. سامية غشير

**الدلالة التربوية للأمثال الشعبية
المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن
في فلسطين والجزائر**

الدلالة التربوية للأمثال الشعبية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن في فلسطين والجزائر

د. إدريس محمد صقر جرادات، أ.د. عبد القادر سلامي ،
د. زهير حسن حسين الحروب، د. نسبية مساعدي ، د. ليلى موساوي ،
وحدة البحث تلمسان-الجزائر

ملخص

هدفت الدراسة إلى استقراء الدلالة التربوية للأمثال الشعبية الفولكلورية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن في منطقة بيت لحم وعرب التعمارة، لأهميتها الكبيرة في حياة الفرد والمجتمع الفلسطيني والجزائري، فهي مصدر مهم لتعليم الحكمة والقيم الإيجابية الاجتماعية والدينية والسياسية والبلاغة اللغوية، وتساعد في بذل جهود إضافية لإحياء التراثين الجزائري والفلسطيني، اللذين تعرّضا للطمس الاستعماري والاحتلالي، وفي زمن تتعرض فيه الهوية العربية عموماً والهوية الفلسطينية على وجه الخصوص لهجوم إسرائيلي استتصالي يريد محو كل ما يتعلق بالتاريخ الفلسطيني.

ورصد الباحثون عدداً لا يستهان بهمن الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن شكلت مجتمع الدراسة، ثم انتقيا اثنين وعشرين مثلاً منها اعتماداً على قوة ارتباطها المعنوي مع عنوان الدراسة، واتبع الباحثون المنهج الوصفي التحليلي (تحليل المضمون) المرتكز على وصف المثل وتحليل مضامينه التربوية.

واستعمل الباحثون نوعين من أدوات الدراسة هما: السماع المباشر للأمثال من بعض رواتها، والبحث عن الأمثال في الكتب والموسوعات والمجلات المتخصصة في التراث الشعبي. وتوصل الباحثون إلى بعض المضامين التربوية المؤكدة على سلوكيات إيجابية، والمحذرة من سلوكيات سلبية. وأشارت الدراسة إلى مجموعة من المقترحات والتوصيات العامة والبحثية والأكاديمية لاستكمال إجراء دراسات علمية في هذا المجال.

الإطار العام للبحث

مقدمة

صاغ الإنسان البدائي تصوراتهِ حول الكون وكل الموجودات التي تسترعي انتباهه وتثير فيه الدهشة، وتلك التصورات كانت في أشكال مختلفة؛ مادية ومعنوية وأقوال وأفعال، فمثلاً النقوش والجداريات القديمة تصور نمط حياته وطريقة تفكيره، وهو الأمر الذي لا زالت الدراسات الأنثروبولوجية والإثنوغرافية والتاريخية وبقية الاختصاصات المهتمة به تسعى للبحث فيه واستخلاص النتائج والملاحظات.

وعلى امتداد العصور وما تبع ذلك من تطورات معرفية متسارعة بلغت ذروتها بأن صار العالم قرية كونية صغيرة، بفضل الثورة التكنولوجية التي ساهمت في تأكيد أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، يؤثر ويتأثر ولا يمكنه العيش بمعزل عن محيطه، ذلك باحترام قانون العيش المشترك والقوانين المسنونة في الكتب السماوية أو القوانين الوضعية هذا من جهة، ومن جهة أخرى النهل من ما تركه السلف للخلف من خبرات ومعارف تنقل تلك التجارب إليهم قصد الاستفادة، ويظهر ذلك في الأمثال إن كانت فصيحة أو شعبية إذ اهتمت بالحياة الإنسانية بمختلف جوانبها، ورصدت الأفعال والأقوال والمشاعر والرغبات والأحداث وحتى النتائج والأسباب، أي أن الأمثال تحتزن الكثير والكثير من المواقف والتصورات الحياتية، وهذا ما يجعلنا نستحضر العديد من الأمثال إلى يومنا هذا رغم مضي قرون غابرة على إنتاجها، ولأجل ذلك سنخرج على مسار دراسة الأمثال عربياً.

لا يخفى على أحد أن العرب في جاهليتهم ولَّعوا بنظم الشعر واحتفوا به حسب طريقتهم، وكان لهم أن جعلوه ديوانهم يصور أفراحهم وأحزانهم أيامهم وأخبارهم وكل ما يتصل بهم من أمر، لكن هذا لا ينفي اهتمامهم بباقي الأجناس الأدبية الأخرى نحو: الخطابة والأمثال هذه الأخيرة برعوا فيها ووضعوها موضع تقدير وافتخار لأن فيها انعكاساً للحياة الإنسانية بكل تجاذباتها، فصنفت مجموعة من المؤلفات في العصر الجاهلي تُعنى بها، إلا أنها فقدت من ذلك ما كان لعبيد بن شربة الجرهمي وعلاقة بن كرسم الكلابي وصحاح بن

عياش العبدى، كما ألفت في القرن الثاني للهجرة كتب أخرى للأمثال وهي لأبو عمر بن العلاء (ت 145هـ) والمفضل الضبي (ت 170هـ) ويونس بن حبيب (ت 182هـ).

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن كتاب المفضل الضبي قد بلغ شهرة واسعة، نتلمسها لغاية وقتنا الحالي وهو يحتوي على مائة وستين مثلاً متبوعة بالقصص التي كانت سبباً في قولها، والكثير منها متصل بأيام العرب، وتوالى التأليف من بعده فقد جاء لغويون مشهورون وضعوا كتباً في الأمثال ولكنها لم تصل إلينا، وهؤلاء هم النضر بن شميل وأبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد وأبو عمرو الشيباني وأبو الحسن اللحياني وأبو عثمان سعدان بن المبارك، وإن كانت كتبهم قد ضاعت فإن أبا عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ) جمع رواياتهم في كتابه "الممتاز في الأمثال" (بن شريفة، 2003).

إضافة إلى ذلك جمع ابن الأنباري (ت 328هـ) في الربع الأول من القرن الرابع الهجري مجموعة من الأمثال دونها في كتابه "الزاهر"، تصل إلى ثمانئة وأربع وثلاثين مثلاً وقولا موسعة شرحاً وتفصيلاً، بلغ هذا المؤلف مكانة هامة في بلاد الأندلس بوفوده على يد أبي علي القالي، وهناك كتاب آخر على قدر كبير من الأهمية وهو الدرّة الفاخرة لحمزة الأصفهاني (ت 360هـ)، ثم كتاب جهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ت 400هـ)، ويشتمل على ثلاثة آلاف مثل مرتبة ترتيباً أبجدياً.

ليصل بعد ذلك الاهتمام بتدوين الأمثال مرحلة متقدمة في القرن الخامس الهجري مع الزمخشري والميداني، إذ أن كتاب المستقصى يضم ثلاثة آلاف وخمسمائة مثل، أما مجمع الأمثال للميداني حوى ستة آلاف مثل (بن شريفة، 2003)، من بعد ذلك بات العمل على جمع الأمثال متنوعاً بين الفصيحة والعامية على غرار ما قام به أبو الحسن علي بن الفضل الطالقاني في "رسالة الأمثال البغدادية"، والأمثال المولدة لأبي الفرج علي بن الحسن بن هندو، والأمثال المولدة لأبي بكر الخوارزمي، وأمثال العوام لأبي يحيى الزجاجي القرطبي.

ونتجاوز فترات أخرى من الزمن الماضي لنصل إلى مطلع القرن الثامن عشر أين نجد كتاب الأمثال العامية المصرية لشرف بن أسد المصري الذي اشتمل على ألف مثل عامي مصري، له أهمية كبرى بخاصة ترجمته إلى الألمانية على يد المتشرق الألماني هرمان

بورخارت (Hermann von Burkhardt) ثم إلى الانجليزية، تجدر الإشارة هنا أن البحث في الأمثال فصيحها وعاميتها توسع أكثر فأكثر بالجهود المبذولة من طرف مجموعة من المستشرقين نحو: الأمثال العامة الشامية للمستشرق السويدي كارلو لاندبرغ تم طبعه في ليدن بهولندا سنة 1883، وكذا إعادة نشر كتاب الأمثال للميداني على يد المستشرق الإنجليزي إدوارد بوكوك (Edward Pocock) مع شرح مختصر باللاتينية.

أما العصر الحديث فقد طُبعت مؤلفات عدة حول المثل كما هو الحال عند أحمد تيمور في كتابه الأمثال العامة، وأحمد أمين بكتابه قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، وفائقة حسنين راغب بكتابتها حقائق الأمثال العامة.

ولأن موضوع الدراسة هو الأمثال الشعبية سنخرج الآن عليها على اعتبار أنها تمثل أحد المجالات المهمة التي تؤسس للهوية الذاتية للشعب والأمة، من خلال عمليات السرد على نطاق الأسرة النووية والممتدة والعشيرة، سواء في البيت، أم المضافة، أم شق العرب، أم الجلسة حول الموقد، أم في محرم وخدر النساء، أم الحكواتي في جلّه وترحاله، لأنها نتاج أدبي مجهولة المؤلف.

ولسرد الأمثال الشعبية ضوابط مهمة، وتحتاج إلى قوة ذاكرة ومهارة في العرض والقدرة على التأثير في المستمعين، من خلال الاستماع والإصغاء والمشاركة الوجدانية والمتابعة مع الراوي.

وللأمثال الشعبية رسالة تربوية تسعى إلى تحقيقها من خلال التهيئة الوجدانية والإدراكية وترك الأثر البالغ في النفس، عبر رواية أخبار ومواقف واقعية أو خيالية يعجب بها الناس، وتربي لقيمة خلقية معينة تشتق من الكتب المقدسة أو أساطير الأولين والحيوانات والشعوب والبداءة والريف والحضر والبطولات والمغامرات وممارسات الحياة العامة.

وتستمد الأمثال الشعبية محتواها من التقاليد، والعادات، والطقوس الدينية، والمعتقدات الشعبية، والظواهر الكونية، والتي تنقل من السلف إلى الخلف، ومن الآباء والأجداد إلى الأبناء، وهي قابلة للتطور والتجديد، وتعرض لعمليات حذف وإضافة وتعديل، وهي انعكاس للوجود الاجتماعي (النمورة، 1998).

وتشكل الأمثال الشعبية مصدراً من أهم المصادر التي تحكم فكر الأمة، وتنبع أهمية هذا المصدر من القداسة - أو على الأقل - الاحترام الشديد الذي تحظى به الأمثال لدى غالبية الأميين وأنصاف المتعلمين، وقطاع عريض من المتعلمين (العطيات، 1991).

ويصعب تحديد البعد الزمني لبداية اللغة الدارجة والأمثال التي نطقت بها، بيد أنها ولا شك ترجع إلى ما بعد الفتح الإسلامي بقليل، حيث سادت اللغة العربية وانتشرت لهجاتها في كل صقع، بحسب الناموس الطبيعي لتعدد اللهجات (شكارنة، 1998).

ويرى كناعنة (1992) أن الأمثال الشعبية من أكثر أنواع التراث الشعبي انتشاراً وتداولاً، فاستعمالها لا يتطلب أية مواصفات أو مهارات معينة من قبل المستعمل، ولا توجد أية ظروف نفسية أو مناسبات اجتماعية تمنع استعمال الأمثال، وإن لكل طرف ولكل مناسبة مجموعة من الأمثال تتناسب معها.

ولم يترك المثل في حياة الناس ميداناً من الميادين، إلا وله فيه قول، ويؤيد ذلك المثل نفسه عندما يقول "ما خلّى المثل قول إلا قاله". ويعتبر المثل الشعبي فرعاً من أهم فروع الفولكلور أي (علم العامة)، وهذا العلم بأمس الحاجة إلى الجمع والتحليل في فلسطين.

ويرى شكارنة (1998) أن أصواتاً بدأت ترتفع منوّهة ومنبّهة ومشيرة إلى أهمية التراث في دراسات العلوم الإنسانية، حيث إنه يعتبر بحق خير ما يمثل حياة تلك الشعوب، ويعطي الصورة الصادقة والدقيقة لأوضاعها الاجتماعية خاصة وجوانبها الحياتية الأخرى عامة طيلة الحقبة المنصرمة.

وتأتي مصداقية المثل في التعبير عن الواقع، من خلال تميزه عن أنواع الأدب الأخرى، في كونه بعيداً عن سيطرة الحكام وسطوتهم، فلا يستطيعون أن يوقفوا قوله أو يمنعوا انتشاره. ويعتبر المثل من أهم الفنون الشعبية التي تكشف عن مختلف التيارات الاجتماعية، ومن خلاله يمكن التعرف إلى طبيعة العلاقات بين أفراد المجتمع، وفي جميع نواحي حياته (شملان، 1972).

وقد ساور المثقفين العرب خوف من أن يكون الاهتمام بالأدب الشعبي ومنه الأمثال عامل تفريق بين العرب لا عامل توحيد، ونظر رجال الدين في كثير من الحالات للموروث

الشعبي بوصفه مجرد خرافات وبدع معادية للدين. كما أن كثيراً من المثقفين رأوا في الاهتمام بالتراث الشعبي المصاغ باللهجات العامية المحلية خطراً على اللغة العربية الفصحى، التي هي من أهم عوامل توحيد العالم العربي، واللغة التي حفظ بها الأدب والعلم والتراث العربي (كناعنة، 1992).

وتعدّ الأمثال الشعبية عنصراً هاماً من عناصر التراث الفلسطيني، الذي يتعرض لمحاولات طمس وتهويد، وذلك بهدف إضعاف صلة الإنسان الفلسطيني بثقافته وأرضه فلسطين (حداد، 1989).

وقبل أن نغادر مسار تدوين الأمثال العربية سنتتبع أبرز محطات الاهتمام بالمثل الشعبي في الجزائر على أساس صلب موضوع البحث، لقد مر العمل على موضوع المثل الشعبي بمحطات مميزة شكلت ملامح البحث فيه، فخلال الحقبة الاستعمارية توجهت مجموعة من الأقلام الفرنسية نحو أشكال التراث الجزائري، وفق منطلقات وتوجهات مقسمة بين الدراسات الاستعمارية المتقصية للذهنية الشعبية الهادفة إلى إحكام السيطرة والبحث عن مواطن القوة والضعف داخل المجتمع الجزائري، وانتهاج سبل جديدة لطمس معالم الشخصية الجزائرية الإسلامية العربية، وتوجه آخر كان للاستفادة من التنوع الثقافي بالجزائر وتوسيع البحث فيه وتحقيق انتشار أكبر.

يذكر في هذا المقام أن من بين الأقلام التي نشطت في تقديم ووضع كتب لتعليم اللغة الدارجة للقارئ الأجنبي وبالتحديد الفرنسي نجد ماكويل Machuel، دumas، فينيلون Fenelon، فلوريون Florion، أما عن أقدم مؤلف للأمثال الشعبية كان للعلامة محمد بن شنب في مستهل القرن العشرين، سمّاه "أمثال الجزائر والمغرب العربية"، مجموعة ومترجمة ومشروحة

Proverbes arabes de L'algerie et du Maghreb: rcueillits, traduits et commentee .

عمد فيه المؤلف إلى مقارنة الأمثال التي جمعها بما جمعه الباحثون الفرنسيون وبما ورد في أمهات الكتب التراثية القديمة وعن كتابه قال ابن شنب في مقدمته «لا يهدف هذا العمل فقط إلى جمع الأمثال الموزعة في عدد من الأعمال وإضافة بضع منها، فالمؤلف لم يكتف بتصنيفها

وفقا للحروف الأبجدية لتسهيل البحث، بل قام بترجمتها مرفوقة بالشروح بغرض بيان استعمالاتها، والبحث بالنسبة لبعضها عما يعادلها خاصة الفرنسية، كما سجل الأماكن التي سمعها فيها مستعملة، وأشار إلى ما يوازيها في الأمثال التي توجد في مصر وسوريا وبيزنطة والجزيرة العربية، ويّين ما هو مستعار مباشرة أو بصفة غير مباشرة من القرآن ومن الحديث، ومن المجاميع الشهيرة للأمثال الأدبية للميداني والعسكري» (بن شنب، دت)

بحق يعد مصنف ابن شنب معلماً من معالم البحث في الأدب الشعبي الجزائري، بخاصة أن المصنف تم فيه تقديم ملاحظات متعلقة بقيمة الأمثال الأنثروبولوجية والتاريخية والحضارية وبشكل أدائها ولغتها وتركيبها على اعتبار أن الكاتب باحث لغوي وعضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «وقد احتوى المصنف على ثلاثة آلاف ومائة واثنان وعشرون مثلاً بلغتها الأصلية، وفي تنوعاتها التعبيرية المتوفرة، مرتبة وفق التسلسل الأبجدي لحروفها الأولى، مترجمة إلى اللغة الفرنسية وموثقة من حيث مصادرها، ومشروحة من طرف المؤلف ومعلق عليها» (بورايو، 2011).

أما العمل الثاني الذي لا يمل الباحث من الإشارة إليه فهو كتاب عبد الحميد بن هدوقة المعلنون "أمثال جزائرية" يشتمل على ستمائة وأربعين مثلاً مصنفاً ومفهرساً ومشروحاً ومعلق عليه، ومنطقة المدونة قرية الحمراء غرب مدينة سطيف وهي مسقط رأس عبد الحميد بن هدوقة، تجتمع بها اللهجة القبائلية والدارجة العربية ذلك المزيج بدا واضحاً في نصوص المصنف، وضح المؤلف منهجه في التأليف قائلاً «أوردت المثل، وذكّرت السياق الذي يُقال فيه، ولاحظت مدلوله الأخلاقي والاجتماعي، كلما بدا ذلك ضرورياً، ثم أتيت بمثل، أو أمثال مشابهة له، أو أشعار تؤيد رؤية صاحب المثل، وتبين اشتراكه مع غيره في تلك الرؤية، خاتماً الشرح والتعليق بالجانب اللغوي، عندما أرى ذلك مناسباً أو ضرورياً، كما لم أغفل القصص التي تتعلق بالأمثال، سواء لأهميتها الاجتماعية أو الحضارية، أم لطرافة أسلوبها، إذا كانت من القصص القديمة، والغرض من ذلك هو إعطاء الكتاب صبغة أدبية، تحب القارئ في مطالعته، وتمكنه من الدخول إلى عالم الأدب الشعبي والأدب العربي القديم» (بن هدوقة، 1993).

لقد اعتمد بن هدوقة خطوات بن شنب في التصنيف بالتركيز على الشرح والتعليق قصد تقريب المثل لذهن المتلقي وإفهامه، وكذا رد الأمثال المدروسة إلى ما يشبهها من الأمثال العربية والأمثال المتداولة في مناطق أخرى من الأقطار المغاربية، وبيان دلالتها الأصلية والمستجدة، والاهتمام بالبعد التداولي والطبيعة المعجمية المكونة لتلك الأمثال، وإيراد القصص التي أنشأت تلك الأمثال و تعريف القارئ بها وجذبه إلى النصوص الشعبية.

يظهر مصنف آخر للأمثال الشعبية الجزائرية ترك بصمة ضمن الأعمال المعنية بالأدب الشعبي الجزائري، وهو "الأمثال الشعبية الجزائرية: بالأمثال يتضح المقال" لقادة بوتارن، ضمنه صاحبه ألف وعشرة مثل مصنفة وفق الموضوعات، وقد جاءت مرتبة في ستة أجزاء كل جزء يتفرع إلى مجموعة من الأبواب - نذكر البعض فقط -، الجزء الأول عنوانه "الحياة ونواميسها" ينقسم إلى: 1/ القضاء والقدر 2/ تصارييف الدهر والعناية الإلهية 3/ الحيرة والشك والقلق 4/ المظاهر الخداعة، عالج قادة بوتارن الأمثال الشعبية التي لم ترد في مصنفات منشورة قبله، وإذا ما وُجدت عين الكتاب الخاص بها، يقول عن منهجه في التصنيف « أما ما تم من الدراسات إلى يومنا هذا فإنها رتبت غالبا ترتيبا ألفبائيا، وقد أخذنا على أنفسنا أن نخرج عن هذه الطريق المعبدة إلى طريق أخرى - ولم يكن ذلك هينا - وهو أن تجمع هذه الأمثال بحسب الموضوعات ومراكز الاهتمام، غير أن المثل يدرج في باب من الأبواب وأن يركن في مكان واحد، لأنه قد ينتمي إلى أكثر من موضوع وبذلك تتداخل الموضوعات وتكرر وقد تتعارض أحيانا » (بوتارن، 1987).

أما في القرن الحالي فقد تجددت الأبحاث والدراسات الجزائرية للمثل الشعبي نوجز منها؛ ما رصده الباحث عبد الملك مرتاض في كتابه الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري، والباحث محمد عيلان كتابه "معالم نخوية وأسلوبية في الأمثال الشعبية الجزائرية"، والأمثال الشعبية ضوابط وأصول (منطقة الجلفة أنموذجا) لعلي بن عبد العزيز عدلاوي، إلى غيرهم من الدراسات التي لا يتسع لنا المقام لذكرها، لكن نركز على أن الأمثال الشعبية الجزائرية راجت دراستها بمختلف المناهج

والآليات الإجرائية المنهجية التي زادت من رغبة القارئ أو الباحث على كشف كل ما يتعلق بالأمثال.

وللهجة الدارجة في فلسطين سماتها المميزة التي لا يستغني عنها دارس الأمثال ليقف على أسرار تلك اللهجة وليفهم الأمثال ومدلولاتها ومغازيها، وتختلف هذه اللهجات من منطقة إلى أخرى. إن اللهجات العامية المنبثقة عن اللغة العامية في فلسطين تستطيع أن تجسّد القيم الجمالية في محتوياتها وأسلوبها، وأنها مستكملة لمقوماتها بوصفها أداة فنية قادرة على عكس ذاتية الشعب الفلسطيني والإفصاح عن عواطفه ومعتقداته (شكارنة، 1999، عدد 33).

وجاءت الدراسة الحالية استكمالاً لدراسات عديدة أجريت في فلسطين بهدف البحث عن خفايا ومضامين التراث الشعبي الفلسطيني، ملقية الضوء على جانب مهم منه ألا وهو جانب المثل الشعبي، في مجال المضامين التربوية الكامنة في ثانيا الأمثال ذات العلاقة بالماء والخضراء والوجه الحسن.

مشكلة الدراسة:

وجد القائمون على الدراسة أن هناك حاجة ماسة لدراسة هذا النمط من التراث الشعبي الذي يتعرض لعمليات طمس وتهويد واندثار وانتحال من قبل الجانب الإسرائيلي، الذي ما فتى يعمل على جمع ونشر الأمثال والقصص الشعبية التي تثير العداوة والبغضاء بين القبائل العربية في النقب، ويكرّس مراكز بحوث وباحثين لهذا الغرض بهدف زعزعة أمن واستقرار المجتمع العربي وإثارة الصراعات فيه، وعليه يمكن الإشارة إلى ما يلي :

أولاً: هناك تساؤل واضح حول أهمية رواية الأمثال الشعبية المذكورة بقيم المجتمع التربوية في ظل عصر العولمة وطغيان الفضائيات والانترنت ..

ثانياً: هناك شعور سائد بأن القائمين على صناعة القرار في الدوائر الحكومية الرسمية لا يعطون الأمثال الشعبية الاهتمام الكافي.

ثالثاً: ضرورة التمييز بين الدلالات السلبية والدلالات الإيجابية للأمثال الشعبية، وتجنب السلبية منها.

حدود الدراسة

- تحدد الدراسة وإمكانية تعميم نتائجها المحددات التالية:
- الحدود الموضوعية: وتتضمن سرد الأمثال الشعبية كما هي على لسان الراوي باللهجة المحكية، وقد حدد الباحثان عينة من الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن، بوصفها بؤرة الدراسة.
- الحدود البشرية: جمع الأمثال الشعبية من الآباء والأجداد والكتب والنشرات والمراجع التراثية.
- الحدود الزمنية: تم جمع الأمثال الشعبية خلال العامين 2013/2014م.
- الحدود المكانية: ركزت الدراسة على بعض الأمثال المتداولة في منطقة بيت لحم وعرب التعمارة ومجموعة من الأمثال الشعبية المتداولة في الجزائر.

أهداف الدراسة

- سعت الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:
- 1- العمل على إحياء جانب مهم من التراث الفلسطيني والجزائري وهو الأمثال الشعبية لتنميتها والحفاظة عليها، في وقت تتعرض فيه الهوية الفلسطينية لهجوم إسرائيلي استتصالي.
 - 2- تقديم معلومات تخدم أصحاب القرار في اتخاذ خطوات إيجابية في رسم السياسة الثقافية العامة والخطط المستقبلية بإظهار الأمثال الشعبية ونشرها عالميا بما ينسجم مع الأهداف المتوخاة في صياغة الشخصية العربية المؤمنة بأهدافها.
 - 3- استقصاء الدلالات التربوية والتوجهات الفكرية لعينة من الأمثال الشعبية الفلسطينية والجزائرية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن، وذلك لأهميتها في حياة الفرد والمجتمع.
 - 4- تعليم الحكمة والقيم الإيجابية المتضمنة في الأمثال الشعبية قيد الدراسة للأجيال الجديدة) كالقيم الدينية، والبلاغة اللغوية، والأفكار الاجتماعية والسياسية، واستقباح الرذيلة، وممدح الفضيلة.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة من خلال النقاط الآتية:

- 1- تعدُّ هذه الدراسة من الدراسات والبحوث القليلة والنادرة في فلسطين التي تتناول هذا الموضوع، فالأمثال الشعبية من مؤشرات التواصل التاريخي والاجتماعي للبلد والشعب، وفيها صدى الماضي بصوت الحاضر.
- 2- يمكن أن يشكل البحث إضافة علمية إلى المكتبة المحلية والتي هي بحاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات، فهي تحتزن التراث وتصور واقع المجتمع ومشكلاته وحاجاته وإمكاناته.
- 3- استفادة التربويين من هذه الدراسة، خاصة أن الأمثال الشعبية مصدر وفير للتجارب الشخصية الفردية والجماعية، وتقدم مادة أدبية ممتعة يحلق فيها الخيال بلا قيود.

مصطلحات الدراسة

المثل الشعبي في اللغة: من الجذر الثلاثي مَثَلَ، ومنه المثل والمَثَل معناه الشبيه، والنظير المَثَل، وجمعها أمثال، وهو القول السائر بين الناس. والمَثَل بمضربه، أي الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام (النمورة، 1998).

المثل الشعبي اصطلاحاً: قول موجز قيل في مناسبة ما، وأصبح يُتمثل به للتعبير عن كل حالة تشبه هذه المناسبة التي قيل فيها (النمورة، 1998). وهو قول مأثور تظهر بلاغته في إيجاز لفظه، وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة، وأخذ ليقال في مثل تلك المناسبة.

وهو جملة محكمة البناء بليغة العبارة، شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات

(kenana online . com/users/Haris Ammar)

وعرفه سو كولوف: جملة قصيرة، صورها شائعة، تجري سهلة، أسلوبها مجازي، تسود مقاطعها الموسيقى اللفظية (صالح، 1956).

وعرفه آرثر تايلور: أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية، يوصي - في غالب الأحيان - بعمل أو يصدر حكماً على وضع من الأوضاع (شعلان، 1972).
ووصف داهل أسلوب المثل بأنه أسلوب الجملة القصيرة نسبياً، المنغمة في الغالب، المجازية دائماً (صالح، 1956).

أما رينر فقد عرفه بأنه جملة محبة إلى النفوس تغرس في عقول الناس حقائق سامية (باز، بون تاريخ).

أما الشاعر التركي إبراهيم شناسي فقد وصف المثل بأنه حكمة العوام تجري على ألسنتهم، وتصور ماهية الشعب، وهي عامرة بالمعنى الغزير (قباجي، 1970).

أما بالنسبة إلى كراب فإن المثل يعبر في شكله الأساسي عن حقيقة مألوفة، صيغت في أسلوب مختصر حتى يتداوله جمهور الناس، وقد يعبر المثل عن الحقيقة بطريقة حرفية فيكتفي بترديد هذه الحقيقة، كما هو الحال بالنسبة للأمثال المواعظ، وقد يلجأ إلى استخدام الاستعارة (كراب، 1967).

ويرى (عمار، بدون تاريخ) أن المثل يتضمن خلاصة خبرات وتجارب الشعوب عبر الزمان، يستخدمه الناس من مختلف الطبقات للتعبير عن الموقف الراهن، ولخص الناس على فعل شيء ما، أو لمنعهم من إتيان شيء آخر. وقد استخدمه العرب لتعليم أبنائهم، إذ إنه يشكل مخزناً لبعض وقائع العرب وتاريخهم. ومن أهداف الأمثال غرس وتنمية القيم على اختلاف أنواعها. (kenana online.com).

ويرى عبد المجيد عابدين أن الأمثال الشعبية «مجال للانطلاق على السجية ومسرح لتفصيلات الحياة اليومية، وما فيها من مفارقات وسخافات ومتنفس لرغبات الأفراد والجماعات المكبوتة والظاهرة، ومرعى خصبا للإبداع الفني الذي يثير العجب والعُجاب» (عابدين، دون تاريخ).

أما الباحث التلي بن الشيخ فيرى أن المثل الشعبي «أقدر أنواع الأدب الشعبي في التعبير عن العلاقات الاجتماعية المعقدة... وصياغة السلوك الإنساني في جمل قصيرة معبرة عن الظواهر الاجتماعية لهذا قيل إذا أردت دراسة ثقافة شعب من الشعوب فعليك بدراسة أمثالها» (بن الشيخ، 1990).

نفهم من هذا أن المثل الشعبي من أقدر فنون الأدب الشعبي على تصوير الواقع الإنساني بكافة أبعاده، متوسلاً بالعبارة القصيرة والصورة الفنية تقريب المعنى لذهن القارئ، وضمان تداوله وتوارثه جيلاً بعد جيل.

ويرى الباحثان أن المثل هو عبارة بليغة ومختصرة، تتميز بانضغاط ألفاظها، وكثافة معانيها، وتعدد أوجه تفسيرها في بعض الأحيان، وتعبّر عن قضية معينة دينية أو اجتماعية أو سياسية، أو وصف لسمات شخصيات اجتماعية، أو نصائح حياتية، وهي جميلة المبنى والمعنى، وتؤدي إلى المعنى المراد دون تعقيد.

والألفاظ الأمثال لا تغير تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنية وجمعاً ، بل ينظر فيها دائماً إلى مورد المثل، أي أصله (البرغوثي، 1998).

منهج الدراسة وإجراءاتها:

تتبع الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي (تحليل المضمون) الذي سار وفق الخطوات التالية:

1- الجانب الوصفي لواقع الأمثال الشعبية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن في منطقة بيت لحم.

2- الجانب التحليلي (تحليل المضمون) للدلالة التربوية والمحتوى لكل مثل شعبي.

أدوات الدراسة:

اتفق القائمون على الدراسة على استخدام الأدوات الآتية لمناسبتها للدراسة الحالية: أولاً: السماع المباشر، وذلك لتجميع الخبرات حول ما نسمع عنه أو نعايشه، بهدف التعرف على واقع الأمثال الشعبية التي كنا نسمعها ونحن فتية صغار أو يرويها الآباء والأجداد أو الشعراء الشعبيون.

ثانياً: البحث عن الأمثال في الكتب والموسوعات والمجلات المتخصصة في التراث الشعبي. ثم قام الباحثان باتباع منهج تحليل المضمون في توضيح معاني ومضامين عينة الأمثال قيد الدراسة.

وقد ذكر الباحثان الأمثال بلهجاتها العامية ثم ترجمتها إلى الفصحى، مبررين ذلك بما يلي:

1- الاختلاف الكبير بين الرواة في رواية الأمثال الشعبية الواحدة والتنوع في اللهجات.

2- التنوع الجغرافي في سماع الأمثال الشعبية من الرواة.

3- بهدف الامتداد العربي والقومي، لأن حصر الدراسة في اللهجة المحكية يؤدي إلى حصرها في بيئة جغرافية محددة

ويرى شكارنة (1999) أن شرح الأمثال وفهم مغزاها واستيعابها فيه شيء من الصعوبة، لأن فيها ما يرمز إلى غير فحواها، وفيها من الألفاظ المبهمة في معناها ومبناها ما يستغل على الباحث أحياناً، لأنها قيلت في عصور مختلفة، ومن أقوام مختلفة على درجات متباينة من المعرفة والجهل. كما يصعب فهم المثل وتحديد معناه ومغزاه، يصعب أيضاً تحليله من أشباهه وأمثاله من الفنون القولية.

الإطار النظري:

تزر اللغات الحية، ومنها العربية، بالعديد من المسكوكات اللغوية أو التعابير المسكوكة التي جرت في تواترها و ذبوعها مجرى الأمثال الموروثة عبر العصور والأجيال. إنَّ التعابير المسكوكة لا تخضع للضوابط نفسها التي تنظم التعابير اللغوية الحرة فإذا كانت التعابير الحرة تخضع للنظام القواعدي العادي لتقبل نحوي في إطار العلاقات و الوظائف التي تربط هذه الوحدات ببعضها، و هي تعد بذلك مكوناً نحوي لنوع من التراكيب اللغوية، و هي تقبل التغييرات الموقعية من تقديم و تأخير، فان التعابير المسكوكة عبارة عن جمل نحو: "قضى نحبه" أو أجزاء من جمل نحو: "زيد لقي حتفه"، و هي لا يتوصل إليها إلا بالاعتماد على دلالتها و ليس على تراكيبها (غيثري، 1998)، ذلك أن توزيع وحداتها اللغوية المكونة ثابتة في مواقع واحدة، و برتب محفوظة غير قابلة للقلب المكاني. (Labelle، 1988)

كما أن معنى الكلمة لا يتدخل في تأويل التعابير المسكوكة، ذلك لأن هذه التعابير تحفظ عن ظهر قلب. (الحناش، 1990)

وما نود الانتباه إليه في تعرضنا لهذا النوع من الوحدات هو صلاحيتها للتوزيع في التراكيب اللغوية في مستوي لاحق تماماً مثلما تتوزع الوحدات المعجمية في اللغة العربية، أي في شكل وحدات مسكوكة في بناء تأليفي لا يقبل التحليل الذي تخضع له التراكيب اللغوية العربية. (غيثري، 1998)

أقوال الفلاسفة في المثل:

أرسطو: كأن الأمثال مخلفات حكم قديمة أدركها الخراب، فسلمت هي من بين تلك الحكم لمئاتها وجزالة ألفاظها.

سرفنتيس: المثل زبدة اختبار طويل، مفرغة في قالب صغير.

ابن المقفع: إذا جعل الكلام مثلاً، كان أوضح للمنطق، وأنقى للسمع، وأوسع لشعوب الحديث.

الفارابي: هو ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذله فيما بينهم وتغنوا

به (kenana online.com).

المثل بين اللغة والاصطلاح:

للمثل في اللغة، معان عديدة ومختلفة منها: الشبه والنظير، والحديث والمثال (الشعار)، والتمثيل (تشبيه شيء بشيء) والصفة والخبر، والعبرة، والمقدار، والانتصاب، والحدو. (ابن منظور، 1999)

والأصل السامي العام لهذه الكلمة يتضمن، حسب اشتقاقها، معنى المماثلة. (زهايم، 1987) وقال أبو هلال العسكري (ت 358هـ): "أصل المثل، التماثل بين الشيئين في الكلام، كقولهم "كَمَا تُدِينُ تُدَانُ"، وهو من قولك: "هذا مثل الشيء، ومثله كما نقول شِبْهُهُ وشَبَّهُهُ". (العسكري، 1988)

والمثل في اللغة يطلق على الشيء الذي يضرب لشيء فيجعل مثله، يقال تمثل فلان: ضرب مثلاً، وتمثل بالشيء ضربه مثلاً، والمثل والمثيل كالمثل والجمع أمثال. (ابن منظور، 1999) قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ النحل: ٦٠ يريد أنه سبحانه أمر عباده بتوحيده ونفي كل إله سواه، فالمثل الأعلى التوحيد الخالص والصفات الإلهية العليا التي لا ينازعه فيها أحد سبحانه. (حسن، 2001)

"والمثل يكسر الميم الشبه، يقال مثل، ومثيل، وشبه وشبه بمعنى واحد" قال عز وجل:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١

المثل في الاصطلاح:

للمثل تعريفات عدة تختلف باختلاف الزاوية التي ينظر منها الباحث إلى المثل، ومن هذه التعريفات قول أبو عبيد القاسم بن سلام (224 هـ): "الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق، بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاثة من خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه" (الميداني، 1982). وهو يشدد في هذا التعريف على أن المثل حكمة، وهو حكمة ناتجة من التجربة.

ويقول المرزوقي (ت 421 هـ): "المثل جملة من القول مقتضية من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتبسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغير يلحقها في لفظها، وعما يوجيه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها." (السيوطي، دت)

ويقول ابن عبد ربه (328 هـ): "إن الأمثال وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، التي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيئا مسيرها، ولا عم عمومها حي قيل: أسير من مثل". (ابن عبد ربه، 1982) وفي هذا التعريف تأكيد مسألة ثبات الأمثال عبر الزمن، وأهميتها، واستحسان الناس لها، وشدة انتشارها.

ونخلص من هذه التعريفات إلى القول: "إن المثل عبارة موجزة يستحسنها الناس شكلا ومضمونا فتنتشر فيما بينهم، ويتناقلها الخلف عن السلف دون تغيير، متمثلين بها، غالبا، في حالات متشابهة لما ضرب لها المثل أصلا، وإن جهل هذا الأصل". (يعقوب، 1995) ووفق هذا التعريف يشمل المثل عندنا، كما شمل في كتب الأمثال العربية القديمة، أربعة أمور: (زهايم، 1987)

أ. ما يقابل المصطلح الفرنسي Proverbe أو المصطلح الإنجليزي Proverb، أو الألماني Spirichwort، وهو خبرة من خبرات الحياة تحدث كثيرا في أجيال متكررة، ممثلة كل الحالات الأخرى المماثلة.

ب. التعبير المثلي، وهو عبارة أو جزء من جملة قائم بذاته، تثري التعبير وتوضحه، ومنه قول العرب: "سكت ألفا ونطق خلفا" (العسكري، 1988 و الزمخشري، 1977) ويندرج تحت التعبير المثلي ما فيه تشبيه بين شيئين وهو كثير في أمثال العرب ومنه: "سواسية كأسنان المشط" (الزمخشري، 1977 و الميداني، 1982)، "وإنباض بخير توتير". (العسكري، 1988 و الميداني، 1982) كما يندرج فيه ما يشتمل على صيغة "أفعل منه" ومنه "أظلم من حية" (العسكري، 1988 و ابن عبد ربّه، 1982)، "وأبصر من غراب". (العسكري، 1988 و الزمخشري، 1977)

الفرق بين المثل والحكمة:

المثل صياغة الجماعة الساذجة بينما الحكمة صياغة فردية عميقة. لكن الحكمة تلتقي مع المثل في جوانب، وتختلف معه في أخرى. ولذلك قيل: الحكمة هي عصارة خبرة الحياة، وخلاصة فهم لأسرارها، ويبدؤها ذهن ذكيّ فرديّ في جملة مرصوفة رصاً محكماً تستخدم في المناسبات. وهي من جوامع الكلم تنم عن فهم عميق لفلسفة الحياة والمجتمع، فهي علم وفن. بينما المثل يشبه الحكمة في إيجازه ورصه، ولكنه يختلف عنها في منطقته. والحكمة تفيد معنى واحداً من نهْي أو أمرٍ أو إرشادٍ، بينما المثل يفيد معنيين ظاهراً وباطناً (شكارة، 1999).

خصائص الأمثال:

تتميز الأمثال بالخصائص الآتية:

1. الإيجاز، حيث كلمات قليلة تعبر عن تجربة دهور.
2. إصابة المعنى في المواقف المتشابهة.
3. الأصالة، فالأمثال عربية المنشأ وبعضها مرتبط بالدين.
4. الواقعية، لتمييز الحياة المجتمعية الريفية العربية عموماً بالواقعية.
5. البلاغة، فهي ذات ألفاظ موجزة ومركزة وتصيب المعنى.
6. الموسيقى، فهي ذات جرس موسيقي ويوجد تناغم بين ألفاظها وتناسق بين الجمل، وتجانس بين الأحرف والجمل والتراكيب.

7. الإحساس، حيث تعكس بصدق مشاعر الشعب وأحاسيسه وآماله وآلامه وأفراحه وأحزانه وتفكيره وحكمته. ومن خلالها نستكشف آراءه في مختلف شؤون الحياة وموقفه منها، ونظراته إلى الكون وتفسيره لمظاهره. (kenana online.com).

ويرى الأستاذ الأنثروبولوجي مالينوسكي (Malinowski) أن من الخطأ أن ننظر إلى الأمثال على أساس أنها شكل من أشكال الفولكلور أو مستند أوتوغرافي خاص بأحوال الشعوب، إنما هي في الواقع عمل كلامي يدعو قوة معينة إلى التحرك. وفي اعتقاد الذين يصدر عنهم هذا الكلام أنه يؤدي إلى أقوى أنواع التأثير على مجرى الأمور، وعلى السلوك الإنساني. فالمعنى والغاية هما القاسم المشترك بين جميع أمثال الشعوب في العالم، وإن اختلفت في تراكيب جملها أو في صلاحيتها. وهي تكون كتاباً ضخماً يتصفح فيه القارئ أخلاق الأمة وعبقريتها وفطنتها وروحها (عريضة، 1968).

أنواع الأمثال هند العرب:

عرف العرب ثلاثة أنواع من الأمثال وهي:

- أ- المثل السائر: بالفرنسية (Proverbe) وبالإنجليزية (Proverb)، وسنعرّفه فيما سيأتي.
- ب- المثل القياسي: وهو سرد وصفي أو قصصي أو تصويري، لتوضيح فكرة، عن طريق تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو اعتبار أحدهما بالآخر لغرض التأديب، أو التهذيب أو الإيضاح أو غير ذلك. ويمتاز هذا النوع من النوع الأول بالأطناب وعمق الفكرة، وجمال التصوير. وهذا النوع من الأمثال لم تكن به مصنّفات الأمثال العربية القديمة وهو موجود في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وغيرهما. (يعقوب، 1995)

ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا

دُعَاءَ وَبِدَاءٍ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ البقرة: ١٧١

ويسمى أيضاً بالمثل الصريح: وهو ما صرح فيه بلفظ يدل على التشبيه.

(بكار، 1984، 68/5)

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبَاحُ فِي زُجَاجٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
النور: ٣٥

ج- المثل الخرافي أو الرمزي:

(ويقابله في الفرنسية لفظة Parable وفي الإنجليزية لفظة Parabel) وهو قصة قصيرة بسيطة رمزية غالبا لها مغزى أخلاقي وقد تكون على السنة الحيوانات كقصص "كليلة ودمنة" لابن المقفع (ت142هـ) (يعقوب، 1995)، فهو لا يكاد يرى فيه: "مثل البعوضة مع النحلة حيث وقفت البعوضة على نحلة عالية وأرادت أن تطير عنها فقالت لها: يا هذه استمسكي فإني أريد أن أطير عنك فقالت النحلة: والله ما شعرت بك حين وقعت علي فكيف أشعر بطيرانك عني" وهو مثل يضرب للوائح بنفسه، والمغرور بها. (يعقوب، 1995) ونحو قصص الشاعر الفرنسي لافونتين "La Fontaine" أو على ألسنة الناس كأمثلة السيد المسيح (عليه السلام) الواردة في الإنجيل المقدس (يعقوب، 1995)، فهي هو الإنجيل يضرب مثلا للغل والحدق بالنخالة من حيث يبقى في الصدر ويخرج من اللسان معسول الكلام كما تبقى النخالة في المنخل وينزل منه كريم الدقيق. وقد حوى الإنجيل أكثر من مثل كما أن هناك سفرا في التوراة يسمى "سفر الأمثال" وكذلك فشت الأمثال في كلام الأنبياء والسلف الصالح والحكماء السابقين. (بكار، 1984، 5/ 72)

ويقصد بالمثل الرمزي ما اخترع على لسان الحيوان أو الجماد ويصاغ في قلب قصص وأسلوب خاص يراد منه تقرير الوقائع التي تمس حياة الناس وتبصيرهم بعواقب الأمور، وبالتالي فهو يحقق غرض التأثير ويصحبه الحث والإغراء، كما يصحبه الزجر والتنفير تبعا للمضمون القصصي والحدث المرموز له، كقولهم "مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ" كَيْفَ أَعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَاسِكٍ" وغيرها. (حسن، 2001)

ويختلف المثل "الخرافي" عن "القياسي" في أن الأحاسيس الإنسانية فيه تنسب إلى غير الإنسان من حيوان أو غيره، أما في "المثل القياسي" فالحيوانات فيه، أن استخدمت لا تبدو

أن تكون مجرد توضيح للفكرة، وفي الأول تستخدم الأشياء على أنها رموز إلى ناس أو إلى أمور أو إلى أشياء أخرى، أما في الثاني، فتقصد لذاتها أو يؤتى بها لتوضيح الفكرة عن طريق التشبيه والتمثيل. (يعقوب، 1995)

د- المثل الكامن:

وهو جملة أو جمل لم يصرح فيها بلفظ مفيد للتشبيه لكنها تشير إلى معان يصح نقلها إلى نظائر معناها فجرت مجرى الأمثال. والعبرة في هذا القسم ما نقله السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" نقلاً عن الماوردي فقال: "قال الماوردي سمعت أبا إسحاق إبراهيم يقول سمعت أبي يقول سألت الحسن بن الفضل فقلت إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن الكريم فهل تجد في كتاب الله: خير الأمور أوسطها؟

- قال: نعم، في أربعة مواضع: قوله تعالى: ﴿لَا فَاَرْضٌ وَلَا يَكْرَهُوا بَيْتَكَ ذَلِكَ﴾ البقرة: ٦٨
- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: ٦٧
- قلت فهل تجد في كتاب الله تعالى: "احذر شر من أحسنت إليه ؟" قال نعم.
- قلت فهل تجد في كتاب الله تعالى: "ليس الخبر كالعيان ؟" قال نعم في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَّيَطْمِئَنَّ قَلْبِي﴾ البقرة: ٢٦٠
- قلت فهل تجد فيه: في الحركات البركات ؟ قال نعم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ النساء: ١٠٠
- قلت فهل تجد في قولهم: كما تدين تدان ؟ قال نعم في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ النساء: ١٢٣
- قلت فهل تجد في قولهم: حين تغلي تدري ؟ قال نعم في قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان: ٤٢
- قلت فهل تجد فيه: من أعان ظالماً سلط عليه ؟ قال نعم في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ الحج: ٤

قلت فهل تجد فيه قولهم: لا تلد الحية إلا حية ؟ قال نعم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا﴾ نوح: ٢٧

قلت فهل تجد فيه: للحيطان آذان ؟ قال نعم في قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَنَعُونَ لَهُمْ﴾ التوبة: ٤٧

قلت فهل تجد فيه: الجاهل مرموق والعالم محروم؟ قال نعم في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ مريم: ٧٥

قلت فهل تجد فيه: الحلال لا يأتيك إلا قوتا والحرام لا يأتيك إلا جزافا ؟ قال نعم في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ الأعراف: ١٦٣

هـ- المثل المرسل :

ذكره أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ، هـ) ولم يعرفه (الثعالبي، 1956)، وقال الحموي: "إرسال المثل نوع لطيف من البديع و لم ينظمه في بديعته غير الشيخ صفى الدين، و هو عبارة عن أن يأتي الشاعر في بعض بيت بما يجري مجرى المثل من حكمة أو نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثيل به". (البغدادى، 1969)

و نقل المدني ت هذا التعريف، و ذكره السبكي في البديع و قال عنه: "هو أن يورد المتكلم مثلاً في كلامه، و قد عرف ذلك في علم البيان في مجاز التمثيل". (البغدادى، 1969) و كان الوطواطو الحلبي والنويري قد ذكروه قبل ذلك و لكنهم لم يعرفوه (الأستراباذي، 1859)، و ذلك روا له أمثلة كقول أبي فراس الحمداني:

تهون علينا في المعالي نفوسنا و من نكح الحسنة لم يغلبها المهر
وهو كسابقيه لم يصرح فيه بذكر المثل فهو كلام دقيق موجز بليغ يصلح لأن يتمثل به فيورث للكلام بهاء ورونقا، والمقام وضوحا وجلاء.

والعبرة في هذا القسم ما نقله لنا السيوطي عن جعفر بن شمس الخلافة في النوع البديعي المسمى بإرسال المثل في كتابه الآداب. وذكر في هذا النوع ألفاظا من القرآن الكريم

جارية مجرى المثل نختار منها قوله تعالى: ﴿الْفَنَ حَصَّصَ الْحَقُّ﴾ يوسف: ٥١ وقوله: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ النجم: ٥٨ وقوله: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ الأنعام: ٦٧ وقوله: ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلِ﴾ التوبة: ٩١ وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ سبأ: ١٣ وكثير من ألفاظ القرآن الكريم حوت بديع الألفاظ ودقيق المعاني مما جعلها مضرب المثل.

والسنة المطهرة كذلك حاوية الكثير من هذا النوع نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم: " لو خفتم الله حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه " فإنه بمنزلته قوله القائل: ' رأس الحكمة مخافة الله " ومنها قوله عليه السلام: " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة " فإنها منزلة قولك: " الدال على الخير كفاعله ". (بكار، 1984، 70-69 /5)

نشأة الأمثال العربية:

تزرخ لغتنا العربية بالعديد من الأمثال، وإن لم تكن أمثالا بالمعنى القياسي، كما كثر ورودها في التراث العربي نثرا ونظما، وشاع استخدامها بين الخاصة والعامة. وقد تقاس عبقرية اللغة بما تملكه من مسكوكات أو صيغ لغوية يتناقلها أبناء اللغة جيلا بعد جيل، شفها أو كتابيا ومن خصائص هذه المسكوكات أو التركيبات أو الصيغ إيجاز اللغة وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية، وهي مغلقة على نفسها ومكتملة بذاتها، وذات صياغة ثابتة، لا يجوز التغيير في صياغتها التكوينية، بحذف أو إضافة على الرغم من ذيوها أساسا على نحو شفهي، ومن خصائصها أيضا أنها تشبه الأمثال من الدرجة الأولى في وظيفتها الجمالية والاستدلالية والإشارية التي يلوح بها على المعاني تلويحا ولكنها تختلف عنها في بنيتها الأسلوبية، شأنها شأن الحكم "Maximes" والعبارة التقليدية أو التعبير الاصطلاحي "Idiomes" والنادرة "Sentence" وغيرها وكل هذه العبارات تندرج في إطار التعبيرات المسكوكة "Les Expressions figées" ، بصفة عامة بالرغم من بعض الاختلافات التي تنفرد بها كل عبارة عن أخرى.

وقد نشأت لغة الأمثال العربية عبر المراحل الآتية:

أولاً: المثل في العصر الجاهلي: وقد صيغ باللغة الفصحى حيث كانت سليقة القوم التي جُبلوا عليها، ومع ذلك لم تخل من لحن.

ثانياً: المثل في صدر الإسلام وبني أمية: وهو امتداد للمثل الجاهلي من حيث مبناه اللغوي وإن اختلف من حيث المدلول والمعنى، بسبب تغير الحياة الإسلامية الجديدة.

ثالثاً: المثل في العصر العباسي: وقد شهد هذا العصر ظهور لهجات عامية إقليمية في كل إقليم، ونضجت العاميات، وانحرفت عن الفصحى.

ومما ساعد على فساد اللسان العربي التأثير بالكتب المترجمة عن الفرس واليونان والهنود، وابتعاد العرب عن وطنهم الأصلي، ودخول الكلمات الأعجمية، وظهور الكلمات العامية، ونشوء اللحن، وظهور كلام المولدين. والكلمة المولدة هي التي استحدثها العرب، ولم تُسمع من فصحاءهم فيما مضى ولا رويت عنهم (شكارنة، 1999).

واستعرض شكارنة (1998) مجموعة تعريفات للمثل كتبت من قبل بعض العرب القدماء، وخرج بحصيلة للسلمات المثلّية البارزة لدى هؤلاء القدماء، وهي:

أولاً: غلب الجانب اللغوي والأدبي على الجانب الموضوعي.

ثانياً: سيرورتها بين الناس وتعميمها.

ثالثاً: أعطت الجانب البلاغي أهمية كبيرة.

رابعاً: أهميتها بالنسبة لغيرها من فنون القول والاهتمام الزائد بها من قبل الناس في كل زمان ومكان.

خامساً: لا يجوز تغييرها أو الحذف منها إلا لضرورة شعرية.

سادساً: يقصر استخدامها عند الكتاب في الغالب الأهم، على التحلية الأسلوبية، فلم تكن غاية للدرس والانتقاد.

كيف نشأ المثل الشعبي؟

يرى شكارنة (1998) أن الجملة المثلّية ارتبطت ارتباطاً حسيّاً ومعنوياً بمجموعة من المسلّمات الدينية، والمعتقدات الشعبية الناتجة عن الخبرة الحياتية المباشرة للإنسان الفلسطيني

ضمن بيئته، وظروفه الحياتية الأخرى المؤثرة. ولكل مثل قصة، وقد تضيع القصة ويبقى المثل معبراً عن مضمونها. وقد ينشأ المثل عن حادث تاريخي، أو حكمة، أو شعر، أو قصة شخصية.

ما يعني أن المثل بصفة عامة الفصيح أو الشعبي هو تقطير لتجربة فردية أو جماعية، تمت صياغته في جملة أو جمل قصيرة، ويمتاز بالتشكيل البلاغي والكثافة الدلالية، كما يحظى بقبول جماهيري وسيرورة زمانية ومكانية جد خاصة.

خصائص المثل الشعبي:

وذكر شكارنة (1998) الخصائص الآتية للمثل الشعبي:

1. الإيجاز
2. إصابة المعنى ووضوحه.
3. الشيوخ.
4. التميز الطبقي.
5. الأسلوب العامي.
6. صدى للتجربة الشعبية.
7. ذات صبغة تعليمية تهيئية.
8. البعد الزمني المجهول، فبداية المثل غير محددة زمنياً (شكارنة، عمر، 1998:31).
9. وروده أحياناً في قالب قصصي نحو: ضَحِكَتِ الشَّبَكَةُ عَلَى الْغُرْبَالِ، قَالَتْ لَهُ: مَا أَوْسَعُ عَيْنُكَ يَا هِرَوَّالِ.
10. التصوير الفني، باستخدام التشبيه أو الكناية أو الاستعارة أو المجاز نحو: شَارِي الْحَوْتُ فِي الْبُحْرِ.
11. التداول الشفوي والتوارث جيلاً عن جيل.
12. مجهول المؤلف، لا نعرف منتجه.
13. قصر العبارة وكثافة الدلالة.

14. أحيانا يتألف المثل الشعبي من جملتين متعارضتين نحو: أُنَا قَلْبِي عَلَى الْجَمْرِ، وَهُوَ قَلْبُهُ عَلَى الثَّمَرِ.

15. يُمكن أن يُصاغ في قالب شعري كما هو عند الشاعر الشعبي المغربي عبد الرحمن المجذوب:

بُهتَ النِّسَاءُ بُهْتَيْنِ مَنْ كَيْدُهُمْ جِيَتْ هَارِبُ
يَتَحَرَّضُونَ بِالْفَاقِ وَيَتَخَلَّلُونَ بِالْعَقَارِبِ

(المجذوب، دون تاريخ)

16. يمكن أن يرد المثل الشعبي بصيغة السؤال والجواب نحو:

وَاشْ يُغَلِّبُ النَّارُ؟ النَّارُ يُغَلِّبُهَا الْمَاءُ
وَاشْ يُغَلِّبُ الْمَاءُ؟ الْمَاءُ تُغَلِّبُهُ الْعَقَبَةُ
وَاشْ يُغَلِّبُ الْعَقَبَةُ؟ الْعَقَبَةُ تُغَلِّبُهَا الْخَيْلُ
وَاشْ يُغَلِّبُ الْخَيْلُ؟ الْخَيْلُ يُغَلِّبُوهُمُ الْفُرْسَانُ
وَاشْ يُغَلِّبُ الْفُرْسَانُ؟ الْفُرْسَانُ يُغَلِّبُوهُمُ نِسَاهُمْ
وَاشْ يُغَلِّبُ النِّسَاءُ؟ النِّسَاءُ يُغَلِّبُوهُمُ أَوْلَادُهُمْ

أهمية الأمثال الشعبية:

يلخص السويدي كارل باكستروم (Karl Bäckström)

أهمية الأمثال الشعبية في النقاط الآتية:

- 1) تتحدث الأمثال عن سعادة من يتداولها، وعن شقائهم، وعن الغنى والفقر، والشرف والحزني، والجمال والقبح، والقوة والضعف، والعظمة والوضاعة.
- 2) الأمثال من الناحية العلمية تريح النفس، وتسخر وتمتدح، ثم تهزل في الوقت الذي تتضمن فيه أفكار جادة.
- 3) تلقي الأمثال الدروس بأسلوب من المرح الحاذق، وهي مليئة بكنوز من الأحكام السليمة، والحكمة العملية، والعدالة، والمشاركة العاطفية، ثم السخرية اللاذعة الذكية.

- 4) تتكرر نفس الأمثال عند الشعوب المختلفة، وإن لم يُعبّر عنها من الناحية الشكلية بنفس الألفاظ.
 - 5) تستقبح الأمثال الرذيلة، وتعلي من شأن الفضيلة، فهي بهذه الصفات ذات قيمة تهذيبة (عرنيطه، 1968).
 - 6) تضمن الأمثال الشعبية صفة الشعبية التي هي من أهم مميزات الأدب الشعبي.
 - 7) تخفي الأمثال الشعبية بداخلها التعبير الفردي عن الضمير الجمعي.
 - 8) تعطي الأمثال الشعبية تقيماً خاصاً للمتناقضات والمتضادات، ما يزيد من عمق الفكرة وتأثير السامع بها.
- وذكر شكارنة (1998) أن أهمية المثل الشعبي في فلسطين تكمن فيما يلي:
- أ- شاهد عدل: على حالة اللغة الدارجة في فلسطين، وهي صادقة كل الصدق لأنها تصدر عن فطرة نقية وطبيعة غير خادعة، توضح طبيعة اللهجات في فلسطين، وما يعتري الألفاظ من تغيير أو تبديل من بنية لأخرى.
 - ب- فن أدبي مستور: هي فن أدبي ظل بعيداً عن سطوة الحاكم وسيطرته، وهي ظاهرة أدبية تلائم النفس، وتحفظ عن ظهر قلب بكل سهولة من قبل معظم الناس، وهي بالنسبة لحياة الناس كالمالح للطعام تتدخل في معظم أحاديثهم.
 - ت- دراسة للقطاعات الشعبية: إذ تكشف عن طبيعة الشعب وذكائه، والبحث فيها إنما هو بحث في حياة فئات العامة والخاصة من الناس، وتعبر عن أخلاق الناس. وهي وثيقة اجتماعية هامة لرصد الجانب الاجتماعي لحياة السكان الفلسطينيين في حلّهم وترحالهم، في مدنهم وأريافهم وبواديهم. وتعدّ قوانين غير مكتوبة يدين بها الناس، ويلتزمون بمضمونها نصاً وروحاً في الغالب عن طيب خاطر ودون أدنى غضاضة إلا عند أقلهم (من لا يؤمنون بها وهم قلة)، لما لها من تأثير فعال يترجم عن نزعاتهم العامة، ويكشف عن ملامح شخصياتهم من حيث التقاليد والقيم والعادات التي حرصوا ويحرصون على التقيد بها.

ث - ضرورة تاريخية: إنها تمثل عصارة تجارب الشعب الفلسطيني وخبراته في مسيرته الحياتية عبر الأجيال السحيقة، وهي زبدة تاريخه الطويل، وقاموس تاريخ الشعب الفلسطيني بكل طبقاته وقطاعاته، ويمكن اعتبارها مصدراً هاماً للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي.

ج - بضاعة محلية: حيث يمكن استجلاء خصائص البيئة الفلسطينية ومقومات المجتمع الفلسطيني ومواقفه من خلال المثل الدارج الذي يكشف عن المناخ الفكري والشعوري الذي تنمو فيه المواهب والملكات. إنها بضاعة محلية خالية من كل غريب مستورد، ولم تعبث بها الأحداث والأيام.

ح - تعاليم الآباء وتربية الحكماء: فهي تنطوي على مبادئ الفضيلة والشرف والصدق والإحسان والمعروف وحسن السلوك والاقتصاد والكرم والضيافة والعزم والثبات والتأني والصبر والأخذ بالثأر والاحتراس من الأعداء، والتواضع والإيثار، وحرب على الرذيلة، وضرورة الاستشارة، وضرورة التربية الصحيحة.

خ - السالب والموجب: في الأمثال الدارجة السئ والضار والمثبّط، كما أن فيها جمالاً وخيراً وفضائل يُعتز بها. ولذلك أصبح من الضروري تنقيتها من خلال الغزلة، مع المحافظة على النافع منها والتمسك بها وتنميتها والاستفادة منها في قوة الاندفاع إلى الأمام (شكارنة، عمر، 1998، مجلة التراث والمجتمع، عدد 34).

وتتكون الأمثال من جمل قصيرة تقال في موقفٍ ما، إما للتحذير من الوقوع في نفس الخطأ، أو للتحفيز على تعلم شيء ما مثل (اقنع تشبع). وبعضها يدعو إلى تعديل السلوك السئ (من حفر حفرة لأخيه سقط فيها). ويحث بعضها الناس على تعلم شيء معين، أو الحث على مواصلة التعلم والبحث عن كل جديد (الجديد حبه شديد، يموت المعلم وهو يتعلم). كما أن بعضها يدعو إلى الترابط الاجتماعي، والتحلي بمكارم الأخلاق، والتفكير واستشارة الآخرين، وتنمية المفاهيم اللغوية kenanaonline.com.

ويرى الدكتور نوفل نوفل (بدون تاريخ) أن الأمثال ترتبط بالقيمة الاجتماعية، وتشكل أعظم الأساليب التربوية المتبعة في التعليم والتعلم. وهي محفزات لتنشئة اجتماعية تعنى بدمج

الفرد في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه. كما أنها تعدُّ عوامل مساعدة في تحقيق تربية متكاملة بأبعادها الأخلاقية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية.

وللأمثال دور مهم في تغيير القيم، إذ تدعو إلى السلوك والتمثل بالقيم، وهي تقوم مقام النصيحة، وتثير دوافع وانفعالات يصدر عنها سلوكيات. لذا كان من الضروري اختيار الأمثال المناسبة ونشرها في المجتمع، وهو عمل ذو مسؤولية كبيرة . www.alodaba.com

أما جاسم محمد صالح فيعتقد أن الأمثال الشعبية لأي شعب من الشعوب، تشكل مرآة ناصعة لثقافته وهويته وقيمه ومبادئه وأخلاقه التربوية التي يؤمن بها، ويعمل على نشرها بين أبنائه، ويعمل على جعلها فلسفة اجتماعية له. وكما كان المثل الشعبي بما يمتلكه من إيجاز اللفظ ودقة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، وتركيز الفكرة، وسهولته في الحفظ، فقد استعمل في نشر المفاهيم التربوية السائدة www.alodaba.com.

وورد على الموقع الإلكتروني kenanaonline.com (موقع متخصص في التراث الشعبي) أن أهمية الأمثال تبرز خلال النقاط الآتية:

1. تلعب دوراً مميزاً في إبراز القيم الاجتماعية، كالترايط والتقدير والاحترام والتعامل الحسن بين الأفراد.
2. العمل على تنمية القيم الاقتصادية في المجتمع، مثل العمل والحرص عليه وتقديره والدقة والمحافظة على الثروات الطبيعية.
3. ترسيخ المعايير الدينية والأخلاقية وتعميمها على المواطنين.
4. هي حكمة الشعوب، والمرآة التي تعكس مشاعر الناس على مختلف مستوياتهم.
5. تعدّ المتنفس الأكثر استخداماً لمشاكل الناس والمعبر عن همومهم.
6. تعدّ معايير أخلاقية يضعها عقلاء القوم لتكون ضابطاً سلوكياً ومنهجاً أخلاقياً لعامّتهم وخواصّهم، يتناقلها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل.
7. تسرد كفاح الشعوب في عبارات موجزة سهلة الحفظ والتلقين.

يتضح مما سبق أن المثل يؤثر بقوة على السلوك الإنساني، وأن معنى وغاية الأمثال يشكلان عاملاً مشتركاً بين أمثال مختلف شعوب العالم. ويعبر المثل عن ثقافة المجتمع السابقة

والحاليّة، وبالتالي يمكن دراسة ثقافة المجتمع من خلال أمثاله السائدة، من خلال تلك التي تحت على التقدم والقيم الجميلة ورفع المعنويات والسير إلى الأمام.

الدراسات السابقة

أجرى المبيض (1986) دراسة بعنوان "الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية"، وتوصل الباحث إلى أن الكثير من الأمثال قد عبرت عن البيئة الفلسطينية، فبعضها متعلق بالأرض والزرع، والضرع والثمر والشجر، والجو وتقلباته. ومن الأمثال التي ذكرها الباحث ولها علاقة مباشرة بدراستنا الحالية:

- احصد على بدري قبل ما تيجي الشوبة.
- موسم التين فش عجين.
- أرض مالحة وسما قاذحة.
- أرض النجيل بصير فيها مستحيل.
- اتعب على أرضك تتعب عليك.

وبحث حسن (1988) في رسالة ماجستير بعنوان "المرأة والمثل الدارج في فلسطين" مدى استطاعة الأمثال التي درجت على ألسنة الناس أن ترسم صورة شبه واقعية لحياة المرأة. وتركزت خطة البحث على عدة خطوات: إذ قام برصد الأمثال الشعبية ومراجعتها مراجعة خاصة ناقدة، وتقسيم الدراسة إلى موضوعات، ومراجعة ما دوّن من أمثال لكل موضوع على حدة، وقام بوضع الأمثال في الموضوع الواحد ضمن أطر محددة، وبذلك تمكن من تصنيف الأمثال المتعلقة بالمرأة تحت عناوين فرعية كثيرة.

وهدف دراسة العطيات (1991) المعنونة "أمثالنا الشعبية في الميزان" إلى توضيح ما يراه كاتبها مخالفاً للصواب، ونقض لبعض الأمثال الشعبيّة السليبيّة، معتمداً على مقاييس الشرع والعقل والواقع السليم. وقام الباحث بتصنيف عينة الأمثال الخاضعة للبحث إلى عدة محاور هي: قبول الأمر الواقع، والأنانية، وإساءة الظن، والزواج.

وأجرى كناعنه (1992) دراسة بعنوان: الترابط بين الأمثال الشعبية والأبعاد الاجتماعية. هدفت الدراسة إلى التعرف على الترابط بين الأمثال الشعبية من قبل الفئات

المختلفة من جهة، والمتغيرات الاجتماعية والنفسية التي تميز هذه الفئات عن بعضها من جهة أخرى. واعتمدت الدراسة طريقة الجمع من الطلبة، بأن يقوم كل طالب في الشعبة الدراسية في جامعة بير زيت بكتابة أكبر عدد ممكن من الأمثال الشعبية التي يتذكرها خلال عشر دقائق. تكونت العينة من (106) فرداً من طلبة جامعة بير زيت منهم (74) ذكراً، (32) أنثى (96) مسلماً، (10) من المسيحيين، (46) من سكان المدينة، (41) من القرى، (19) من المخيمات.

توصلت الدراسة إلى أن مجموع الأمثال التي تم ذكرها بلغ (316) مثلاً بنسبة (12.4%) للفرد الواحد، وتراوح ما ذكره الفرد من (1-28) مثلاً. كما أشارت الدراسة إلى وجود فروق ملموسة بين معدل عدد الأمثال ونوعها التي يعرفها أفراد المجموعة حسب مؤشرات اجتماعية معينة.

وأظهرت الدراسة إلى وجود ارتباط ذي دلالة بين متغيرات (الجنس والدين ونوع البيئة الاجتماعية، والمنطقة الجغرافية، ونوع المدرسة التي تخرج منها الشخص، وحقل التخصص في الجامعة) مع عدد ونوع الأمثال الشعبية التي يعرفها الفرد.

وقام أبو زر (2004) بدراسة قدمها للحصول على درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بغزة، وكانت بعنوان "أخطاء عقائدية في الأمثال والتراكيب والعادات الشعبية الفلسطينية". هدفت الدراسة إلى جمع الأخطاء العقائدية الشائعة في أقوال الناس من أمثال وتراكيب وفي العادات والتقاليد، والتي قد تصل بالكثير من الناس إلى حد الكفر دون أن يعلموا. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على توثيق الأمثال الشعبية المخالفة للعقيدة أو ما اعتقد أنها كذلك، وعمل على تحليلها وبين أوجه الخطأ فيها، بعد أن بين الوجه الصحيح للمسألة موضوع النقاش، على ضوء العقيدة الصحيحة الموافقة لفهم السلف الصالح.

أما دراسة نجم وعلي (2006) التي كانت بعنوان "صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية"، فقد كان هدفها التعرف إلى الصورة المقدمة عن المرأة من خلال الأمثال الشعبية الفلسطينية، والكشف عن مدى توافق الصورة المقدمة عن المرأة مع المنظور الإسلامي. تم

استخدام المنهج الوصفي التحليلي وتحليل المضمون. وتكون مجتمع الدراسة من (200) مثل شعبي متداولة على ألسنة كبار السن، وتكونت عينة الدراسة من (100) مثل شعبي، وكانت أهم نتائجها كما يلي:

أولاً: قدمت الأمثال صور المرأة المتعددة (الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية) التي ساهمت في تشكيل جوانب الصورة العامة للمرأة.

ثانياً: أشادت الأمثال بالصورة المتميزة التي احتلتها المرأة من خلال علاقتها بالزوج والأبناء والمجتمع.

ثالثاً: اشتملت الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تناولت صورة المرأة على جوانب سلبية تتعارض مع معايير الكتاب والسنة. وأوصت الباحثان بما يلي:

(1) العمل على تأهيل التراث الفلسطيني وغربلته شرعياً، وإقصاء كل ما يتعارض مع تعاليم الإسلام.

(2) ضرورة تفعيل الإعلام الفلسطيني في إحياء الأمثال الشعبية التي عبرت عن الصورة الناصعة والمضيئة للمرأة وتعزيزها بنظرة الإسلام لها.

(3) توعية المرأة بدور الأمثال الشعبية في التنشئة الاجتماعية.

(4) إدخال بعض عناصر التراث الفلسطيني خاصة ما يتعلق بالمرأة في المناهج الفلسطينية.

(5) تعزيز التراث الفلسطيني تعزيزاً موضوعياً والتركيز على ما يتصل بالمرأة.

وهدف دراسة محمد عليان (2009) التي كانت بعنوان "من صور التراث الشعبي في القدس: المثل المقدسي" لسبر أغوار المثل المقدسي كنمط حيوي من أنماط التراث، له تأثيره ووجوده ويرتبط بأزقة القدس وحراراتها، وبالعيون المقدسية الساهرة التي تُطارَد، وتُحصَر لتبعد عن أهلها وعن محيطها وعن ماضيها لتبدو غريبة يسهل اقتلاعها، بعد أن توارث المقدسيون عن أسلافهم مشافهة تراثهم العريق، محافظين عليه، وهم كغيرهم من الناس يضيفون وينقصون تبعاً لهواهم ومستجداتهم. وأشارت الدراسة إلى أهمية المثل ودوره في حياة المقدسي وإبراز ما فيه من تميز وخصوصية (ما ضاع حق وراه مُطالب).

أما دراسة الكندري ومالك (2011) والتي كانت بعنوان "صورة المرأة في الأمثال الشعبية من منظور طلبة كلية التربية الأساسية في الكويت"، فقد هدفت إلى التعرف إلى صورة المرأة في الأمثال الشعبية الدارجة، والكشف عن مدى توافق الصورة المذكورة آنفاً مع معتقدات طلبة كلية أخرى. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يتضمن كشف الأنساق الفكرية المتضمنة في الخطاب الثقافي، وتكونت عينة الدراسة من (671) طالباً وطالبة من كلية التربية الأساسية في دولة الكويت. وكانت أداة الدراسة استبانة بوصفها أداة الدراسة الرئيسة. وكانت أهم نتائج الدراسة كما يأتي:

(1) الأمثال الجيدة من أفضل طرق التعليم والتربية الاجتماعية من وجهة نظر الطلبة (81% من أفراد العينة).

(2) يستخدم الطلبة المثل الشعبي في الدول العربية مضموناً وشكلاً بصفة عامة في موضوع المرأة رغم وجود شئ من التفاوت.

(3) يتعلم الناشئة الأمثال الشعبية عن طريق الاستماع إلى كبار السن (96% من أفراد العينة)، ثم من خلال الديوانية، ثم الأسرة.

(4) وافق (28%) من أفراد العينة على البند القائل «شاوور المرأة واخلف شورها»
(5) النساء أنفسهن قد يتشربن قيم معاداة النساء وينقلنها للجيل الجديد تماماً، كما قد يفعل بعض الرجال.

(6) هناك أمثال شعبية مشبعة بالتحيز ضد المرأة لا زالت تعشعش في أذهان بعض الطلبة مثل "موت البنات ستر".

(7) الأمثال السلبية التي ذكرها الطلبة أكثر من الأمثال الإيجابية.

وأجرى سويلم (2011) دراسة بعنوان "صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية". وهدفت الدراسة إلى الكشف عن صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية. تكونت عينة الدراسة من أمثال المرأة الواردة في بعض كتب الأمثال الشعبية الأردنية. استخدم الباحث أسلوب تحليل المحتوى، وأسفرت الدراسة عن النتائج الآتية:

إن الأمثال الشعبية خصّت المرأة بحصّة كبيرة من الأمثال التي تظهرهن بصورة سلبية تعبر غالباً عن نظرة دونية للمرأة في الأدوار المتعلقة بها كبنت، ومطلقة، وأرملة، وعجوز، بينما لم تشغل الأمثال التي تقدم الصورة الإيجابية إلا حيزاً ضيقاً خصوصاً في دورها بوصفها أمّاً. وأوصى الباحث بوضع خطة شاملة تهدف إلى تصحيح النظرة النمطية الخاطئة للمرأة في الثقافة الشعبية، خاصة أن هذه النظرة لا تنسجم مع نظرة الإسلام لها.

وأجرى إبراهيم (2013) دراسة بعنوان "أدب الأمثال الشعبية في المأكولات النابلسية" تناولت الدراسة جانباً من الفولكلور القولي المتمثل بالأمثال التي يتداولها النابلسيون في مأكولاتهم، وبرزت أهمية الدراسة لارتباطها بالهوية والخصوصية التي تتجلى لدى شريحة من المجتمع الفلسطيني، سارت الدراسة على المنهج الوصفي والاستقرائي لما يتم تداوله من أمثال شعبية خاصة بالمأكولات.

عالجت الدراسة مصادر الأمثال الشعبية، وخصائصها وفوائدها وأنواعها ومصادرها وصلتها بالمأكولات الشعبية النابلسية التي من أهمها الكنافه والمطبق والعوامة والمقلوبة والمسخن والمحاشي والعكوب والمسقة والششبرك.

وعرضت الدراسة مجموعة من الأمثال الشعبية ذات الدلالة بالمأكولات الشعبية، وأشارت إلى أن الأمثال الشعبية وثيقة تاريخية واجتماعية، وأنها المرأة التي تعكس ما بداخلها وتكشف حولها، وكل ما يمت إليها بصلة من عادات وتقاليده وقيم وتاريخ.

بعد استعراض الدراسات العشر السابقة، يظهر لنا أن سبع دراسات منها أجريت في فلسطين، واثنان في الأردن، وواحدة في الكويت. كما أن أربع دراسات منها كانت متعلقة بالمرأة، أما الست دراسات الأخرى فقد كانت متعلقة بالمأكولات، والتراث الشعبي بشكل عام، ونقد الأمثال بوجه عام، والترابط بين الأمثال الشعبية والأبعاد الاجتماعية، والأمثال من وجهة نظر العقيدة الإسلامية، والجغرافيا الفولكلورية في فلسطين.

ولم يتمكن الباحثان من الحصول على دراسات متعلقة مباشرة بالماء والخضراء (الأرض والنبات)، بخلاف ما عثروا عليه من دراسات متعلقة بالمرأة (الوجه الحسن)، مع أن الدراسات الواردة أعلاه كانت كافية لإضاءة طريق هذه الدراسة.

مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من عدد كبير من الأمثال التي وصل إليها الباحثان من مصادر مختلفة تمثلت في:

أولاً: من الآباء والأجداد والرواة الذين يروون ويتناقلون القصص والأمثال الشعبية في منطقة عرب التعمارة وبيت لحم.

ثانياً: الموسوعات التراثية والكتب والمجلات المتخصصة في التراث.

وقام الباحثان بخصر الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن فبلغت (70) مثلاً شكلت مجتمع الدراسة.

عينة الدراسة

قام الباحثان بعملية تفحص للأمثال التي يتضمنها مجتمع الدراسة بهدف تحديد عينة الأمثال المرتبطة بمقولة الماء والخضراء والوجه الحسن "مباشرة وبوضوح، فاتفقا على اعتماد ستة وعشرين مثلاً بوصفها عينة الدراسة، منها ثمانية أمثال متعلقة بالماء، واثنان عشر مثلاً متعلقة بالأرض والنبات، وسبعة أمثال متعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين). والأمثال التي شكلت عينة الدراسة هي:

أولاً: الأمثال المتعلقة بالماء.

- 1) تاجر المّية مش خسران (لا يمكن لتاجر الماء أن يخسر في تجارته).
- 2) ودّاه على البحر ورجّعه عطشان (أرسله إلى البحر وأعاده عطشاناً).
- 3) بتصيد في المّية العكرة (يصطاد في الماء العكر).
- 4) بنشرب مع المّية العكرة (يشرب مع الماء العكر).
- 5) عطشان وحامل المّية على ظهره (يحمل الماء على ظهره لكنه في نفس الوقت عطشان).
- 6) البير اللي تشرب منه لا ترمي فيه حجر (لا ترمي حجراً في البئر الذي تشرب منه).
- 7) المّية ما بتمر من عطشان (الماء لا يمر من خلال عطشان).

ثانياً: الأمثال المتعلقة بالأرض والنباتات.

- (1) الأرض بتنقاس بالشبر. (الأرض تقاس بالشبر)
- (2) الأرض ما تخبر عن اللي في بطنها (لا تخبر الأرض عما في داخلها).
- (3) اتعب على أرضك بتتعب عليك (بقدر تعبك يكون تعب الأرض عليك).
- (4) الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها (الأرض المنخفضة تشرب ماءها وماء غيرها من المناطق المرتفعة).
- (5) اللي ما له أرض ما له عرض (من لا أرض له لا عرض له).
- (6) الأرض للّي ييزرع ويفلح ويقلع (الأرض لمن يزرع المزروعات فيها ويحافظ عليها ويقطفها).
- (7) إن جار عليك الزمن جور على الأرض (إذا جار عليك الزمن، فعليك أن تعتمد على الأرض).
- (8) لأجل الورد يشرب العليق (سقاية الورد بالماء تسقي العليق دون قصد مسبق).
- (9) الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة (قد تكون البنت طويلة لكن عقلها صغير مثل عقل بنت الماعز).

ثالثاً: الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين).

- (1) ما زين إلا زين العين (الزين هو زين العين).
- (2) لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة بتيجي الحصيدا وبتشوف فعلتها (إياك أن تعجب من زينها وبياض ثيابها، غدا ستري فعلها الحقيقي في الحصيدا).
- (3) العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينه (العقل في الرأس زينة، ومن فقدته تكون حزينه).
- (4) اللي ما بتزينهاش زنودها، ما بتزينهاش خدودها (من لم تتزين بزنودها، لن تزينها خدودها).
- (5) يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان. (يا من تتزوج المرأة البيضاء، ستقضي عمرك وأنت فرحان).
- (6) زوّق الصوصة تصير عروسة (إذا زوّقت الصوصة فإنها تصبح عروسة).

عرض النتائج وتحليلها

أولاً: الأمثال المتعلقة بالماء.

- تاجر المية مش خسران (لا يمكن لتاجر الماء أن يخسر في تجارته).
- ودّاه على البحر ورجّعه عطشان (أرسله إلى البحر وأعادته عطشاناً).
- بتصيد في المية العكرة (يصطاد في الماء العكر).
- بنشرب مع المية العكرة (يشرب مع الماء العكر).
- عطشان وحامل المية على ظهره (يحمل الماء على ظهره لكنه في نفس الوقت عطشان).
- البير اللي تشرب منه لا ترمي فيه حجر (لا ترمي حجراً في البئر الذي تشرب منه).
- المية ما بتمر من عطشان (الماء لا يمر من خلال عطشان).

خلق الله سبحانه وتعالى الماء لإحياء الإنسان والأرض والكائنات الحية ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ النحل: ٦٥، إن في ذلك لآية لقوم يسمعون.

والماء عصب الحياة، وأهم مكوّن من مكوناتها، وارتبط استقرار الإنسان على وجه الأرض بالماء، وارتبطت الحضارات القديمة بمصادر مائية، وعرف بعضها بالمسمّى المائي مثل حضارة بين النهرين وحضارة وادي النيل، ودبت الحياة في مكة المكرمة بعد أن تفجّر بئر زمزم استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم: ٣٧.

وكلمة الماء مرادفة لكلمة الحياة، لأن الماء يعني الزراعة والغذاء والشراب والطاقة، وقد وصل الأمر إلى أن حجم الأراضي الزراعية يتحدد ليس فقط بحجم الأراضي القابلة للزراعة، وإنما بكميات المياه العذبة المتوفرة أيضاً. ولهذا الأهمية الكبرى للماء جعله الله سبحانه وتعالى شائعاً بين البشر جميعاً، فحق الانتفاع بالماء مكفول للجميع دون إسراف ولا إفساد ولا احتقار ولا تعطيل، وهذا يعني عدم جواز احتكار مصادر الماء أو منعها عن الآخرين. وقد حرص المسلمون منذ فجر الإسلام على توفير الماء للجميع، واعتبر ثروة يمكن التصدّق بها كالمال،

كما حدث في قصة بئر رومة الذي كان تحت يهودي وكان يمنع المسلمين من مائه، فقال صلى الله عليه وسلم "من يشترى بئر رومة فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين" رواه البخاري. فاشتراها عثمان - رضي الله عنه (عبد الفتاح، موقع المختار الإسلامي ar.islamway.net/article).
كما جعل الماء وسطاً مناسباً لنمو كثير من الحيوانات والنباتات والطحالب الضرورية للإنسان، واللازمة لاستمرارية حياته وحياة غيره من الكائنات الأخرى ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِرِئَاءِ كُلِّ لَحْمٍ طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل: ١٤.

وعندما نعلم أن الله سبحانه وتعالى قد جعل من الماء كل شيء حي، ويحتاجه الإنسان والحيوان والنبات، فجسم المولود حديثاً يحتوي ما يقارب 80% من كتلته ماء، وعند الشيخوخة تصل إلى حوالي 50%، ولا يستغني عنه البدن نهائياً في عملياته الحيوية ولا يستطيع الإنسان العيش بدونه إلا أياماً معدودات، فهو مذهب للفيتامينات والأملاح والأحماض الأمينية والجلوكوز، وله دور كبير في هضم وامتصاص ونقل واستخدام العناصر الغذائية، وهو الوسيط الآمن للتخلص من السموم والفضلات، كما يسهم في إنتاج الطاقة، وعليه يعتمد التنظيم الحراري في الجسم، ويدخل في تركيب الأطعمة جميعها.... حينها نتأكد بدون شك من صحة المثل (تاجر المية مش خسران) فلا غناء عنه [مهدي، الماء في الدراسات التراثية، www.alwae.com].

وقد نزل القرآن في بيئة صحراوية جافة تفتقد إلى الماء في معظم أرجائها، وإن وجد في ناحية ما، فقد كان من الصعب استخراجه، لعدم توفر الأدوات اللازمة لذلك، وتأخر التكنولوجيا الضرورية لحل هذه الإشكالية، وينسحب الحال نفسه على كثير من المناطق العربية، خاصة تلك البعيدة عن مصادر المياه من ينابيع وأنهار وبحيرات، كما هو الحال في المناطق الفلسطينية الجنوبية، إذ كان الناس قديماً يقطعون مسافات كبيرة من أجل الحصول على ماء الشرب، لهم وحيواناتهم. وكان بعضهم - وخاصة البدو - دائمي الترحال بهدف الحصول على الماء والكلأ.

وكانوا يبذلون جهوداً جبارة في محاولاتهم للعثور على الماء الخفي من خلال شم التراب، ورائحة بعض النباتات، وحركة الحيوان، ثم تطورت معارفهم إبان النهضة العربية الإسلامية إلى علوم لها قواعدها وقوانينها.

وإذا ما تذكرنا أن الإسلام قد اعتبر طهارة المسلم من الحدث الأصغر والجنابة والحيض والنفاس شرطاً لصحة العديد من العبادات كالصلاة والطواف ومسّ المصحف، والماء هو المصدر الأول لهذه الطهارة... أدركنا أن تاجر الماء ليس خسراناً (مهدي، الماء في الدراسات التراثية، www.alwae.com).

ويشكل الماء حوالي ثلثي حجم الكرة الأرضية موزعاً بالشكل الآتي:

97٪ مياه مالحة وتمثل بحاراً ومحيطات.

3٪ مياه عذبة تتوزع كالآتي:

(22٪ مياه جوفية، 77٪ كتل جليدية، 1٪ يشكل دورة الماء في الطبيعة).

يتبين لنا من هذه الأرقام أن كمية المياه الثقية قليلة جداً، وإذا نظرنا بمنظار أجدادنا المفتقرين لتكنولوجيا الحفر وتحلية المياه والمواصلات السريعة، حينها نفهم جيداً معنى المثل (تاجر المية مش خسران)، لأنها تجارة بمادة استراتيجية لا يستغني عنها أحد، وكانت صعبة المنال في مناطق واسعة من بلادنا (موقع الكتروني: tymaroc.ibd.a3.org/t1-topic).

وإذا عدنا إلى الوراء قليلاً لوجدنا أن الماء كان سبباً في كثير من الحروب والأزمات، وكذا سبباً في الحل والترحال ففي الجاهلية على سبيل المثال كان الماء عصب الحياة، ومبعث أمانهم فالماء استقرار وطمأنينة وبقاء العشيرة في مناكبها دون اللجوء إلى خوض الحروب وترك الديار والدخول في المجهول، وبقي الماء سبباً في الترحال عند كثير من القبائل وهنا نستذكر قبيلة بنو هلال وسيرتهم التي طبقت الآفاق بخروجهم من نجد بالجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا، كمسار اضطراري قاهر بسبب الماء وفي هذا قال الباحث عزي بوخالفة «والغريب أن التغريبة ركزت على مصادر الماء باعتباره مصدراً أساسياً للحياة، حتى لكأن التغريبة كلها تلمح إليه، وهو شرط استمرار الحياة، ولذلك تكرر ورود أسماء المساحات المائية فيها: وادي الغبائن-وادي الرشاش-وادي سلامة-وادي النسر-النيل- عين توزر-

عين سلوان- غيط البهرجان -عين دروس-عين برشان-البحر الأسود-البحر المالح ... «
(بوخالفة، 2013).

ويعاني الوطن العربي من مشكلة مائية كبيرة، فلا يمتلك سوى حصة مائية قليلة (0.5%) من مجموع المياه المتجددة في العالم (المياه المرتبطة بالتساقطات التي تجري على سطح الأرض ويدخل بعضها إلى الباطن)، ويتركز الجزء الأكبر منها في مصر وسوريا والعراق. وهناك أكثر من (60) مليوناً من العرب لا تتوافر لديهم مياه صحية.

وزادت الصراعات بين الدول حول مجاري المياه من استفحال المشكلة في الوطن العربي، كالصراع بين إسرائيل والعرب حول حوض الأردن وهضبة الجولان، والصراع بين مصر وأثيوبيا حول نهر النيل، والصراع بين العراق وتركيا وسوريا حول نهري دجلة والفرات.

وتمثل الأراضي المتصحرة أكثر من ثلثي مساحة العالم العربي، وتشكل الأراضي المهددة بالتصحّر حوالي خمس الأراضي، والأراضي الصالحة للزراعة لا تمثل سوى (11.6%) من مساحة الأراضي الكلية.

وتعدّ الكثير من الدول الآن المياه بوصفها جزءاً من أمنها الغذائي، وأصبحت محوراً مهماً من محاور الصراع الدولي في الربع الأخير من القرن العشرين، وزاد الأمر تعقيداً مع بداية القرن الواحد والعشرين، إذ أصبحت المياه مفجراً لحروب يمكن أن تحدث بين الدول، خاصة بعد صدور تقارير دولية من قبل البنك الدولي والمجلس العالمي للمياه تحذر فيها من شحّ المياه وندرتها، ودعوتها لترشيد المياه، والمحافظة على مصادرها من التلوّث، كما عقدت العديد من المؤتمرات الدولية والإقليمية لدراسة هذه القضية، وحددت الأمم المتحدة يوم الثاني والعشرين من آذار يوماً علمياً للمياه. (عبد الفتاح، موقع المختار الإسلامي (ar.islamway.net/article).

وبعيداً عن كون الماء سبباً في الصراعات والأزمات، إلا أننا نتفق جميعاً على أنه مصدر للحياة، وتظهر تلك الحياة في أوجه متعددة منها الحب، فكثيراً ما كان الماء سبباً في لقاء المحبين؛ نظرة فابتسامة فإعجاب همسات حلوة ثم غزل جذاب، ويطول بنا المقام بعرض أخبار

العشاق وقصصهم بجانب الغدير أو النهر أو البئر، ما يهمنا هنا أن الماء يشكل الحياة وكل ما يتصل ببني البشر في السراء والضراء، إذ «كانت وظيفة السقاية تموين الحجاج بالماء - منوطة بأرستقراطية مكة، وبما أن الماء مخصب ومنظف وطهور، اعتبر لهذا رمز تبرعم النباتات وخصبها» (مشبال، 2002)، ونجد هذا القصد في قول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله

﴿وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١٠﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١١﴾

رَزَقًا لِلْعِبَادِ ﴿١٢﴾ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١٣﴾﴾ ق: ٩ - ١١.

كما قد اهتمت الأساطير القديمة بالماء وربطته بكل الموجودات وجعلته الأصل في كل شيء، «ففي أساطير مصر القديمة كان أقدم ما تخيله المصريون في أصل العالم المعمور، أنه عالم واسع من الماء طفت عليه بيضة عظيمة خرج منها رب الشمس وأنجب أربعة أبناء...» ((أنس الوجود، 2000)، وغيرها من الأساطير التي قدست البحر «فالإله بوسيدون في الأساطير الإغريقية هو الإله الرئيسي للبحر والمياه الذي يستمد منه النصر في صراعات البحر، وتقدم إليه الأضحيات وقد ظهر هذا الإله فيما بعد بوصفه إلهًا للعيون والآبار، ولهذا فقد ارتبط في الصلاة بالخوريات اللاتي يسكن العيون والأنهار» (أنس الوجود، 2000).

ولعل الحضارات القديمة بالغت في تقديس الماء، ففي مصر كان الفراعنة يختارون أجمل فتاة لتقدم هبة للنيل العظيم المقدس تكريماً له، للخير الذي يفيض به على الناس وخوفاً من حدوث الفيضانات المفاجئة، وفي جانب آخر نجد أن القرابين تُقدم للنيل طلباً للطهر والإخصاب، فالمرأة التي تتأخر في الإنجاب تؤخذ إلى النهر للطهر وطرد الأرواح الشريرة، كما أن المولود الجديد يُذهب به إلى النهر ليُبَارَك بالماء.

وفي هذا الصدد يقول الفيلسوف غاستون باشلار G. Bachelard «هكذا سيبدو لنا الماء مثل كائن شامل، له جسد، وروح، وصوت، وقد يكون للماء، أكثر من أي عنصر آخر، واقع شعري كامل، ويمكن أن تضمن وحدة ما شعرية الماء، على الرغم من تنوع مشاهدته، إذ يجب أن يوحي الماء إلى المشاعر بواجب جديد» (باشلار، 2007).

وقد ارتبط الماء بالمرأة، لأن كليهما رمز للخصوبة والاستمرار، واجتماعهما يعطي للحياة أكثر من معنى، خاصة لدى الشاعر الجاهلي، الذي يعتبرهما حلماً، كحلْم الخلود

«كما يبقى التفكير في المطر عندما يصفون رحلة الشاعر الجاهلي في الصحراء الظمأى، فالإبل تشم الماء وتتوقع المطر، وتستقر بجانب مورد الماء الذي رحلوا من أجله، ومن أجله رحلت المرأة، وأقفرت الديار، وتحولت أطلالاً يباباً» (أبو سويلم، 1987)، وهنا عنتره يصف طلباً عادت إليه الحياة بفضل الغيث:

نَسَجَتْ يَدُ الْإِيَّامِ مِنْ أَكْفَانِهَا حَلَالاً وَأَلْقَتْ بَيْنَهُنَّ عُقُودَهَا
وَكَسَا الرِّيعُ رُبُوعَهَا أُنْـوَارَهُ لَمَّا سَقَتْهَا الْعَادِيَّاتُ عُهُودَهَا
وَسَرَى يَهَا نَشْرُ النَّسِيمِ فَعَطَّرَتْ نَفَحَاتُ رَوَّاحِ الشَّمَالِ صَعِيدَهُمَا

ويشكل الماء إكسير الحياة للمزارعين الفلسطينيين المعتمدين على الزراعة المروية، إذ يزود هذا النوع من الزراعة المواطنين بما يحتاجونه من الخضار والفواكه، ويسد حاجات الناس الغذائية، في ظل منافسة مستعرة مع المزارعين الإسرائيليين. وينطبق نفس الأمر على كثير من الصناعات الفلسطينية التي تحتاج إلى الماء، كالصناعات الغذائية، وصناعات حجر البناء والبلاط وغيرها.

وقد حرص الاحتلال الإسرائيلي على السيطرة على مصادر المياه الفلسطينية، فأضحى الفلسطيني يشتري ماءه من المحتل الإسرائيلي، علماً بأن ما يصله من الماء لا يشكل سوى نسبة ضئيلة جداً مما يصل للمستوطن الجاثم على أرضه ومقدراته.

لذلك، ليس مستغرباً أن يكون للماء حضور كبير في الأمثال الشعبية الفلسطينية والعربية، لأنه يمثل سلعة غالية للإنسان المحروم من أرضه ومائه بالرغم من توفر التكنولوجيا والعلم الحديثين بين أيدي الجميع.

إن تاجر الماء لن يخسر أبداً (تاجر المية مش خسران)، لأن سلعته لا يستغني عنها أحد، وهي أس الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠). ويشكل الماء سلعة لا يمكن أن تبور لأنها مادة مستهلكة، ومن الصعب تدويرها وإعادة استخدامها مرة أخرى، خاصة في المناطق الصحراوية، ولذلك فإن الربح مضمون لتاجر الماء، وفي أسوأ الأحوال فإنه لن يخسر.

هل من المنطق أن تأخذ شخصاً إلى منطقة مائية، ثم تقفل به راجعاً إلى بيته وهو عطشان (ودّاه على البحر ورجّعه عطشان). ويضرب هذا المثل في الشخص المتحایل على الآخرين، الذي يقوم منهجه الحياتي على التّصب والدّجل وتضخيم الأمور، والمبالغة في الوصف، بحيث يوحي للآخرين بقدرته على الفعل وخدمتهم ومساعدتهم، لكنه في الحقيقة بعكس ذلك، فهو كذاب. وقد يكون للمثل علاقة بصفة البخل، إذ تذهب مع البخل إلى أي مكان، ويمنعه بخله من أن يقدّم لك أيّ نوع من التّكريم، خاصة وأنت ذاهب لأجل مصلحته الشخصية. فهل من المعقول مثلاً أن يأخذك إلى بلد بعيد، ثم تعود بعد زمن طويل جائعاً لتأكل من بيتك. وقد يتضمن المثل التّهي عن بعض الصفات الممقوتة كالكذب وإخلاف الوعد، مما يتناقض والقيم الدينية والإنسانية التي حث عليه الإسلام والأديان الأخرى..

وذكر حوى (1988) أن البخل من الأمراض الهادمة للألفة والحياة الاجتماعية السليمة والتعاون. ويترتب على ذلك استساغة العزلة، وتراجع قيم البذل والإيثار والبذل والتضحية والمروءة والعطف والمحبة والحنان، والإقدام على عمل الخير، والجهاد، والمواساة. ويدفع البخل المرأة إلى التردد في القيام بواجبات الأمومة، وتردد الرجل في القيام بواجباته الزوجية.

وقد ربط القرآن بين الإنفاق وزكاة النفس ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ الليل: ١٨.

وذم القرآن البخل فقال: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: ٩.

وقال: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ

مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ آل عمران: ١٨٠.

وقد يؤدي الشح إلى سفك الدماء واستحلال المحارم، فقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلّوا محارمهم" أخرجه مسلم.

والبخيل محروم من الجنة، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة" أخرجه أحمد والترمذي وحسنه.

كما أن البخيل يفتقد إلى الإيمان، كما ورد في الحديث الشريف: "خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق" أخرجه الترمذي.

أما الكذب فهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وهو الأصل الذي يبنى عليه النفاق. قال صلى الله عليه وسلم: "إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً متفق عليه.

وقال أيضاً: "إن التجار هم الفجار، فقيل: يا رسول الله، أليس أحلّ الله البيع؟

قال: نعم ولكنهم يخلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون" مسند أحمد.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة يشنؤهم الله: التاجر أو البائع الحلاف، والفقير

المحتال، والبخيل المتأن" أخرجه أحمد بإسناد جيد.

إن الكذب مشين لأصحاب المروءة، وملوث لنفوس المحترمين، ومسيء لأهل النخوة، ويسبب الضرر للناس... فكيف يسوّغ المرء لنفسه أن يأخذ إنساناً إلى البحر ويرجعه عطشاناً؟... هل هو البخل، أم الكذب؟

ويرى الباحثان أن مفهوم "الماء العكر" قد يستخدم لوصف المجتمع الذي يعجّ بالمشاكل والفتن والخلافات والقيّل والقال. ويكون الماء عكراً عندما يختلط الماء الصافي بمواد ملوثة كالأتربة والأوساخ وأية مواد أخرى تغير صفة النقاء فيه وتفسد صلاحيته للشرب والنظافة. كذلك المجتمع الذي تحتل علاقاته الطبيعية القائمة على الود والتصالح والتعاون، فيتحوّل إلى مجتمع مضطرب تغزوه الخلافات والتناقضات بسبب الفتن التي يحییها شخص تسلل وبدا يثير الدسائس ويفتعل الخلافات، لذلك قالوا في المثل (بتصيد في المية العكرة)، فتجده على الأعم الأغلب كاذباً، وغير مؤتمن، وثرثراً، وسفيهاً، وحاقداً، ومفترياً على الأبرياء، ومغتتاباً، ونمّاماً، وسيئ الظن، ولا يراعي جيرة، ولا يقدر صداقة. ويهرب منه الناس هروبهم من الطاعون، هو سيئ بكل ما تعني الكلمة من معنى.

والذي يتصيد في الماء العكر إنسان يجب ممارسة الخصومة التي نهينا آباؤنا منها، لأنها تحقق الدين، وتنقص المروءة، وتضيع اللذة. ويدخل في إطار الخصومة الفحش والسبّ وبذاءة اللسان والسخرية والاستهزاء وإفشاء الأسرار والغيبة والنميمة.

وهناك نوع آخر من البشر يتسم بالأخلاق الفكرية والقلبية والنفسية الراقية، والتعامل الحسن، ويسهم في نشر السلام المجتمعي أينما حل وحيثما اتجه، لا يتدخل فيما لا يعنيه، ومرحب به في كل مكان (بشرب مع المية العكرة)، وهو إنسان يجسد الدواء لا الداء، بعكس ذلك الذي (يتصيد في المية العكرة). ولعل استخدام الماء في هذه الأمثال يتضمن دلالة تؤشر إلى أهمية القضية المبحوثة، إذ إن فائدة الشخص لمجتمعه أو ضرره، متعلقة بالماء الذي يمثل الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء: ٣٠.

أما المثل القائل (عطشان وحامل مية على ظهره)، فقد يضرب في الإنسان الذي لديه إمكانيات وقدرات معينة لكنه لا يستثمرها الاستثمار الأمثل. فقد تجد إنساناً يحمل أعلى الدرجات العلمية لكنه عاجز عن التفاعل الاجتماعي مع عائلته أو مجتمعه، وقد تجده عاجزاً عن التكيف مع وسطه الوظيفي، وغير قادر على تقدير ذاته، وذو إرادة ضعيفة، وغير قادر على الانسجام، كما أنه غير ميال للمنافسة التي هي عامل مهم في تبوء المركز الذي يطمح إليه الإنسان، أي أنه مصاب بالقصور الذاتي بنسبة أو بأخرى، حيث لا قابلية لديه للتغير ولا للتغير. وقد ينطبق عليه المعنى الضمني للآية الكريمة مثلهم ﴿يَحْمِلُونَهَا كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ الجمعة: ٥.

وربما يؤشر المثل اتجاه أناس يملكون الثروات الهائلة لكنهم عاجزون لأسباب سيكولوجية عن الاستفادة منها، ومن هذه الأسباب وجود سمة البخل، حيث يقتّر الإنسان على نفسه وعلى عياله، مع أن لديه الإمكانيات الكافية لتكون معيشته من أرقى المستويات، كالعيس في البداء يقتلها الظما.... والماء فوق ظهورها محمول.

ويتضمن المثل القائل (البر اللى تشرب منه لا ترمي فيه حجر) على معنيين إيجابيين: المعنى الأول: وهو المعنى المباشر، إذ يتضمن المثل دعوة صريحة للمحافظة على مصادر المياه من التلوث، من خلال تجنب إلقاء القاذورات والحجارة في مصادر الماء كالآبار والينابيع، لأنه مصدر لحياة البشر والحيوان والنبات.

المعنى الثاني: وهو معنى غير مباشر، ويحث على احترام وتقدير من يعمل لك معروفاً، وأن ترد المعروف بمثله، وأن لا تسعى إلى من وفّر لك عملاً عنده بالمحافظة على الأمانة التي ائتمنك عليها، وأن تحافظ على حبل الود مع من احترمتك وقدرتك وأحسن إليك. قال تعالى ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ الرحمن: ٦٠.

فإياك أيها الإنسان أن تردّ على المعروف بالمنكر، وعلى الإحسان بالإساءة، لأن هذا السلوك من سلوكيات الإنسان قليل التهذيب وغير الفاضل، والشكر طاعة من الطاعات التي يؤديها المؤمن، ولا يشكر الله من لا يشكر الناس.

ويصور المثل القائل (المية ما بتمر من عطشان) الإنسان الأناني والطماع بإنسان عطشان بحاجة إلى ماء كثير حتى يرتوي، وليس لديه استعداد لسقاء غيره قبل أن يرتوي، وربما لا يمر ماء الشرب إلى غيره رغم ارتوائه، بسبب أنانيته وشحّه، وربما بسبب ضعف إيمانه بأن مصدر الرزق هو الله سبحانه وتعالى. والقضية ليست مرتبطة بماء الشرب وحده، وإنما هو شحيح في كلّ شيء، وليس لديه استعداد لمُدّ يد المساعدة لأحد، ويعتقد بأنه مركز الكون، وأن قوته في تراكم الثروة وتجميعها بشتى السبل، دون أن يفيد أحداً غير نفسه، وربما يحرم نفسه ثم يموت ونفسه تشتهي شيئاً ما كان متوفراً لديه قبل أن يدهمه ملك الموت.

• ومن الأمثال الشعبية الجزائرية التي احتفت بالماء نجد الكثير والكثير وسنعمد في هذا الإطار إلى اختيار البعض منها نحو:

- مِنْ قُطْرَةٍ لِقُطْرَةٍ يَتَحِمَّلُوا الْوَيْدَانَ.

- الْمَاءُ تَحْتَنَّا يَا رَجَالَ.

- الْبَحْرُ يَحِبُّ الزِّيَادَةَ.

- مَا يَبْقَى فِي الْوَادِ غَيْرُ خَجَارٍ.

- دِيرُ الْخَيْرِ وَارْمِيهِ فِي الْبَحْرِ.

- جَرَى الْمَاءُ فِي الدَّقِيقِ.

- الْجُرَّانَةُ هَرَبَتْ مِنَ الْمَطَرِ جَاءَتْ فِي قَاعِ الْبَيْرِ.

- حِدْثُو يَرْجِعْكَ الْمَاءُ يَسِيلُ فِي الْعَقْبَةِ.
- إِذَا سَقَاهَا نَيْسَانَ يَرْوَحُ الْعَامُ بِلَا نُقْصَانٍ.
- إِذَا مِطَرَتْ فِي يَبْرِيزْ تَسِيلُ فِي قَاعِ الْبَيْرِ.
- اسْقِي مِنْ رَأْسِ الْعَيْنِ.
- بَابَا حَاذِقْ وَيْمَا أَحَدِيقْ مَنُو، هُوَ يَقْيِسْ بِالْعُودِ، وَهِيَ تَزِيدُ الْمَاءَ وَتُنْقِصُ مَنُو.
- الْبَحْرُ وَيَحْتَاجُ.
- بَقَالُو الْمَاءُ يَحْمَى.
- دَخَلُو الْمَاءَ لِلصَّبَاطِ.
- شَارِي الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ.
- لَوْ كَانَ مَا قِلْتَ الْبَصْرَ مَا لَغْنِمَ فِي الْبَحْرِ.
- مَا عِنْدُو مَا يَحِطُ فِي الْمَاءِ.
- الْمَاءُ مَا يَسِيلُشْ مِنْ صَبَاغُو.
- الْعَجُوزَةُ الْمَاءُ مَا دِيهَا وَهِيَ تَقُولُ مُحَلَى هَذِهِ الْبُرُودَةُ.
- الْمَاءُ مَا دِيهِ وَالنِّعْنَاعُ فِي وَدِيهِ.
- إِمَخَضُ الْمَاءِ تَلْقَى الرِّغْوَةَ.

تنبجس الدلالة من الأمثال الشعبية السابقة مراوحة بين التجلي والخفاء إذا تضمنت التعبير عن الموقف بطريقة مباشرة أحيانا وغير مباشرة أحيانا أخرى، فالمثل مِنْ قُطْرَةٍ لِقُطْرَةٍ يَتَجَمَّلُوا الْوَيْدَانُ؛ له اسقاطات مختلفة في حياتنا، إذ أن الكثير من الأمور تبدأ صغيرة ثم تكبر فلا شيء يكون من العدم، بالتالي إن أراد الفرد البلوغ إلى هدف ما في حياته، ما عليه سوى الصبر والثبات على عمله ولو كان بسيطا في بداية الأمر لأن المواصله في تحقيق الهدف ستعطي نتائجها ولو طال الوقت، أي لا مجال لليأس أو للاستسلام فبمرور الوقت ستظهر النتائج؛ فكما قطرات المطر المتتابعة تكون سببا في ارتفاع منسوب المياه في الأودية فكذلك

تحقيق الأهداف تبدأ من فكرة نؤمن بها ونسعي جاهدين لتحقيقها لا بدا وأن نتحصل عليها، كما هو الحال بالنسبة للطلاب في مرحلة اجتياز مثلاً امتحان البكالوريا هدفه النجاح والدخول إلى الجامعة، ولكي يكون له ما أراد يبذل الكثير من الجهد خلال مساره الدراسي في تلك السنة دون كلل أو ملل لأنه مثلما يُقال لكل مجتهد نصيب.

هذا المثل يؤسس للصبر في إنجاز الأمر وعدم التعجل لأن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة، والله سبحانه وتعالى أشار إلى جزاء العمل الطيب ولو كان قليلاً، يقول في محكم تنزيله ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ الزلزلة: ٧ - ٨ ، بمعنى التمسك بالشيء الذي نريده والحصول عليه شيئاً فشيئاً إن كان تحسین المستوى العلمي الذي لا يكن سهلاً بل يتطلب الكثير من الوقت والجهد، وفي هذا قال الرسول الكريم «أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد» نلاحظ أن طلب العلم لم يقتصر بفترة دون الأخرى أو سن محدد بل العكس، الاستمرار في أي مطلب سيدل الصعاب فكما يقول المثل الشعبي «الدوام ينقب الرخام»، فالرخام مادة صلبة صعبة التقطيع والتشكيل لكن الإصرار على العمل عليها سيسهل الأمر.

إضافة إلى ذلك دلالة هذا المثل الشعبي تتقاطع مع الصورة التي نستحضرها لشحن أنفسنا بقوة كبيرة من التحدي؛ صورة النملة وهي تصارع العوامل البيئية لإيصال ما يلزمها من الطعام إلى مأواها تروح وتغدو مسافات طويلة ولساعات أطول تحمل الفتات دون يأس في انتظار فرحة تحصيل الكمية المطلوبة.

وكما قلنا سالفاً الماء يحمل دلالات متناقضة أحياناً كما هو الحال بالنسبة لبقية الموجودات تقوم على الثنائية، فالماء يمكن أن يحمل الخير كما الشر وهذا ما نتلمسه في الأمثلة الآتية؛ «الماء تحثتنا يا رجال، جرى الماء في الدقيق»، فالماء في المثليين السابقين ورد بالمعنى السلبي، فالمثل الأول فيه تحذير من أمر جلل سيقع، أو أن الأمر انقلب على صاحبه سلماً، فيمكن أن ينفلت الوضع من بين أيدينا وينحو الاتجاه المعاكس لنا، أو يمكن أن يُحيل هذا المثل على وجود طرف مخرب أو مخادع يحيك من خلفنا مؤامرة رغم ما يديه أمامنا من طيب وحسن لذلك نقول: «الماء تحثتنا يا رجال» دلالة على السوء والخطر على غير العادة أو دون

سابق إنذار بخاصة تواجد لفظة تحتنا التي تعانق الماء و يارجال، ذلك التعانق ليس فيه محبة إنما خطرٌ محقق غير معروف العواقب.

أما المثل الثاني جَرَى الْمَاءُ فِي الدَّقِيقِ، يتشاكل مع ما سبقه في الدلالة السلبية، ونتخيل تلك الدلالة في مشهد تقف فيه ربة بيت أمامنا تتحضر للعجن ولكن يفسد ما تصنع فقد تسرب الماء بكثرة على المواد الجافة (الدقيق)، ليصعب العمل بها أو الحصول على النتيجة المطلوبة، ونقيس هذا المثل على مواضيع أخرى في حياتنا، نحو المبالغة في الأمر فالشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده، أو التسرع في الحكم على الأمور.

في كثير من الأحيان يريد الفرد مغالبة قوانين الطبيعة وتجاوزها، متناسيا أن لكل بداية نهاية، وأن الحياة يقابلها الموت، ويظهر تجاوز الإنسان للمنطق والبداهي في أن يعيد الزمن إلى الوراء أو أن يتصرف كالشباب في مستقبل العمر وهو في أواخر أيامه، وهذا من غير المعقول ففي علم النفس يسمى ذلك بالتصايب؛ القيام بتصرفات الصبيان، وهذا ما يشير إليه المثل التالي: بَقَالُوا الْمَاءَ يَحْمَى، بمعنى لم يبق من أمره شيء يستحق الذكر أو الاهتمام، ولكن الإشكال في أن ذلك الشخص غير واع بذلك أو عاقبة تصرفه.

دَخَلُوا الْمَاءَ لِلصَّبَاطِ، يُضرب هذا المثل في العادة توصيفاً لمن انشغل بتوافه الأمور عن الموضوع الأساس، فجنى الخيبة والخسران، فترك المهم ليتبع ما ليس له به علم أو ما ليس من شأنه، لذا نقول عنه دَخَلُوا الْمَاءَ لِلصَّبَاطِ، دلالة على عقوبة قلة بصيرته وسوء ما وصل إليه.

أما عندما يصاغ المثل على النحو الآتي: مَا عِنْدُو مَا يُحِطُ فِي الْمَاءِ فالتعبير غالباً عن ضعف حال الفقير واشتداد الفاقة عليه، فلم يعد لديه ما يسد به رمقه، أو يغنيه عن الجوع، وفي هذا المثل القائم على التقرير بمعنى أعطى المعلومة مباشرة دون زخرفة فنية، ليتوافق مع وضع الفقير فهو لا يحتاج لوسيط نخبرنا عنه فحالهُ يوضح ما فيه من عوز وحاجة، وهو ما ترصده الأمثال الشعبية على اعتبار أنها تُصور المجتمع بكل مظاهره.

يتصف المثل الشعبي بالإيجاز الذي لا ينفي البلاغة عنه، فهو يلتزم بمراعاة مقتضى الحال والتعبير بفنية عن ذلك، وكلامنا هذا يضعنا أمام المثل الشعبي الآتي: الْمَاءُ مَا يَسِيلُ مِنْ صَبَاعُو، فالصورة التي التقطها المثل تعبر عن شدة البخل والشح في الشخص الذي لا يُنال

خير، لذلك تم تقريب الصورة لذهن المتلقي حتى يوقن بوجود أشخاص لا خير فيهم ولا فائدة تُرجى منهم، إحدائيات هاته الصورة؛ الماء/ صباغو، كما هو معروف أن الماء سائل شفاف لا لون له ويستحيل الحفاظ عليه بقبضة اليد فهو يتسرب ما بين الأصابع بلمح البصر، ولكن مع الشخص البخيل فقبطته محكمة لا تبقي ولا تذر على أي شيء ويستحيل أن تمرر شيئاً للآخرين لذا طبعي أن الماء لن يتسرب من بين أصابعه.

إِسْقِيْ مِنْ رَأْسِ الْعَيْنِ، تتضح دلالة هذا المثل من خلال معرفة طرفي المشابهة التي يقوم عليها، فقد تركب من لطف التشبيه الذي «يُوسِّعُ المعارف ويسهل على الذاكرة عملها، فيغنيها عن اختزان جميع الخصائص المتعلقة بكل شيء على حده، وبما يقوم عليه من اختيار الوجوه الدالة التي يستطيع بفضل القليل منها استحضار الكثير» (رمانى، 1997).

طرفي المشابهة هنا اثنان أحدهما ظاهر والثاني خفي، الأول؛ السقاية تكون من منبعها أو موردّها، الثاني؛ يؤخذ الأمر من مصدره أو الخبر من صاحبه، فكما نحضر الماء من منبعه فعلى الإنسان أن لا يَبْتَ في أمر ما حتى يتثبت ويتحقق منه، كذلك لا يحكم إلا بالحجة والبرهان، ولا يستمع لأقوال فلان وعلان، حتى لا يَظْلِمَ فيندم، وقد أوضح ذلك الله في كتابه العزيز ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات: ٦.

ثانياً: الأمثال المتعلقة بالأرض والنباتات.

- 1) الأرض بتنقاس بالشبر. (الأرض تقاس بالشبر)
- 2) الأرض ما تُخْبَرُ عن اللي في بطنها (لا تخبر الأرض عما في داخلها).
- 3) اتعب على أرضك بتتعب عليك (بقدر تعبك يكون تعب الأرض عليك).
- 4) الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها (الأرض المنخفضة تشرب ماءها وماء غيرها).
- 5) اللي ما له أرض ما له عرض (من لا أرض له لا عرض له).
- 6) الأرض للي يزرع ويفلح ويقلع (الأرض لمن يزرع المزروعات فيها ويحافظ عليها ويحصدها).
- 7) لأجل الورد يشرب العُليق (سقاية الورد بالماء تسقي العليق دون قصد مسبق).

(8) الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة (قد تكون البنت طويلة لكن عقلها صغير مثل عقل بنت الماعز).

لقد جعل الله الأرض معاونة للإنسان على الحياة، وهياًها بكل ما تتطلبه هذه الحياة من مطالب، قال تعالى:

"وَبَرَكْ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا" ﴿فصلت: ١٠﴾

"وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا" ﴿الأعراف: ١٠﴾

"فَأَمْسُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ" ﴿الملك: ١٥﴾

"وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ" ﴿الأنبياء: ٣١﴾ (قطب، 1980).

للأرض أهمية خاصة في عقل ووجدان الإنسان الفلسطيني منذ قديم الزمان، فهي التي تمدّه بالغذاء، وعليها تقوم حياته، ولم يكن هناك مصدر آخر لمعيشته، في زمن كان فيه التخلف العلمي والتكنولوجي يزرع على صدور الناس، فلا صناعة، ولا عمل خارجي، فالأرض مصدر وحيد للارتزاق والعيش بكرامة.

وفي لحظات تاريخية معينة بلغت أهمية الأرض مبلغاً شغل الآباء عن متابعة أبنائهم في المدارس، بسبب عملهم في الأرض بهدف توفير لقمة العيش لهم. كما أن الأرض تعد مصدراً لمصاريف كثير من المتعلمين في المدارس والجامعات بعد بيع إنتاجها. لكن الأرض بالقابل كانت سبباً لكثير من الخلافات، مثل خلافات القسمة، والري الجائر، والتعدي الحدودي، وكثيراً ما أدت إلى حروب عائلية ربما لم تنته (حنا، 2000).

ويرى شكارنة (2000) أن ما يميز الإنسان الفلسطيني تفاعله مع الطبيعة، ويستوحي من هذا التفاعل مثله العليا، ومن هذه المثل (من لا أرض له لا هوية له)، فما المقصود بالهوية؟

إنها إثبات وجود على سطح الأرض ضمن نطاق معين محدود، وهذا يعني إثبات شخصه لا صورته على بقعة أرض معينة في وطنه.

إن للأمثال الشعبية الفلسطينية المتعلقة بالخضراء (الأرض والنباتات) في زمننا أهمية خاصة، في ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، ومصادرة الأراضي وإقامة المستوطنات، وبالتالي أصبحت هذه الأمثال مصدر إلهام للناس من ناحية حب الأرض والتمسك بها، وعدم بيعها لأية جهة تحوم حولها الشبهات.

لذلك كانت الأرض مهمة جداً لدى الفلسطيني، ولشدة أهميتها فهي تقاس بالشبر. ولا نستغرب إذا رأينا بعض الفلسطينيين يرفض بيع أرضه أو أي جزء منها مهما كانت حاجته.

وينصح المثل باستخدام الأرض لإخفاء ما يود الإنسان إخفاءه داخل الأرض. ولقد ثبت المقصود بهذا المثل في أجلى معانيه، عندما استخدمت المقاومة الفلسطينية في غزة سلاح الأنفاق لإيواء المجاهدين، وتخزين السلاح، وقواعد لقصف الصواريخ باتجاه الجانب الصهيوني في حرب عام 2014، بمهارة وحذق، وحقت نتائج باهرة في تكبيد العدو الصهيوني خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وقصفوا تل أبيب تحت سمع وبصر الطائرات التي كانت تجوب أجواء قطاع غزة بالعشرات، وحققوا النصر المبين بإمكانيات عسكرية بسيطة مقارنة بما يملكه العدو من أرقى أشكال التكنولوجيا (الأرض ما بتخبّر عن اللي في بطنها). ولا عجب في ذلك، ونحن نرى أشياء ثمينة وغير ثمينة خبئت في الأرض، ولم يتم اكتشافها إلا بعد آلاف السنين، وربما هناك أشياء ما زالت مخفية ولم تكتشف حتى هذه اللحظة، وربما لن تكتشف إلى يوم القيامة. فالأرض حافظة لأسرار الإنسان، وعلاقته معها تتسم بالود والصدقة. ولعل المثل يود التأكيد على أن الإنسان هو الذي يفشي أسرار الناس، وبدون اطلاع الإنسان على الأسرار ستبقى طي الكتمان. وهناك مثل آخر منتشر في الدول القمعية يعاكس هذا المثل في المعنى وهو (انتبه لي للحيطان آذان)، ويتضمن هذا المثل تحذيراً للناس من الحديث في السياسة وكل ما يخالف الحكومة لأنه يؤكد أن الجدران لها آذان تسمع، لذلك يجب عليك أن لا تتكلم، وإلا فالعاقبة ستكون وخيمة. بينما في المثل السابق لا يوجد للأرض آذان، وهي لا تخبر عما في بطنها، وتشكل موضعاً يصلح لحفظ الأسرار أكثر فاعلية من البشر، وأكثر أماناً.

وتقدم الأرض لك بمقدار ما تقدم لها (اتعب على أرضك بتتعب عليك، اكبر على أرضك بتكبر عليك)، ومن الصعب أن تقدم لك شيئاً دون أن تبذل لها تعباً وعرقاً. فإذا حفرتها ستجد فيها الماء. وإذا حرثتها وسهلتها وزرعتها وسقيتها وحمتها من الديدان والحشرات، حينها ستجد الأرض مليئة بالفواكه والخضروات. أما إذا أهملتها فلن تجد فيها ما يسرك. لذلك شبه مثل آخر العلاقة بين الإنسان والأرض بعلاقة اثنين متحابين متعانقين ويتبادلان القبل (هو والأرض مباوسة). فهذا المثل يدعو للعمل والنشاط وحب الأرض، ويحذر ضمناً من الكسل والتراخي. ولا يستحق ملكية الأرض إلا من يتعب ويعرق ويشقى في خدمتها.

كما أن أهمية الأرض تختلف باختلاف موقعها والهدف من استخدامها، فالأرض الجبلية يمكن استخدامها للبناء وإقامة المؤسسات المختلفة، بينما الأرض المنخفضة وخاصة السهلية منها، تستخدم للزراعة، لأنها أرض ثرية بالمواد العضوية الغذائية والماء المتدفق إليها من الجبال، ولذلك قال المثل (الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها).

وإذا نظرنا نظرة حرفية للمثل نجد أنه يصدق تماماً على الأراضي المنخفضة، إذ تأتيها حصتها من المياه ومعظم حصص غيرها من الأراضي الجبلية أو المرتفعة.

أما إذا أردنا استنتاج المعنى الضمني للمثل، فيمكننا الاستنتاج أن الأرض المنخفضة (الواطية) تصوير لأولئك البشر الذين يفضلون أن يعيشوا متطفلين على غيرهم، ولا يرجون سبل المعالي من خلال الجهد الذاتي، فيبقون في الأسفل، يصفقون للسلطات الحاكمة، ويدعمونها مهما كان سلوكها بهدف الاسترزاق السهل. ويكررون نفس السلوك حينما تتبدل السلطة، فيحاولون الاستئثار بكل مكتسبات السلطة الجديدة، على حساب فئة أخرى أثرت كرامتها وعزتها، ورفضت النزول للأسفل والسير مع القطيع.

ويقارن المثل الخامس أعلاه بين الأرض والعرض، معتبراً الأرض مساوية للعرض أو الشرف، فيقول (اللي ما له أرض ما له عرض).

ومن المعروف أن عرض الإنسان من وجهة نظر الفلسطيني لا يقدر بثمن، وكثيراً ما تم تفضيل الموت على انتهاك العرض. فكم من فتاة قتلت بحق أو بغير حق، بسبب اعتقاد وليّ

أمرها بأنه قد خُذش عرضها بطريقة أو بأخرى. فقضية العرض لدى الفلسطيني قضية حساسة جداً، ولأهمية الأرض، تمت معادلتها بالعرض.

وقد بذل الفلسطينيون تضحيات جمة في سبيل المحافظة على أرضهم، وحمايتها من غول الاستيطان الصهيوني منذ بدايات احتلال فلسطين، وهناك يوم فلسطيني مشهود سُمي يوم الأرض، وهو يوم الثلاثين من آذار من كل عام، وكانت بداية اصطلاحه عام 1976 حينما ارتكب الإسرائيليون مذبحه بحق الفلسطينيين المدافعين عن أرضهم في قرية كفر قاسم الفلسطينية. وقد دأب الفلسطينيون على اعتبار هذه اليوم يوماً مميزاً تقام فيه الاحتفالات، وتشتد فيه المقاومة بمختلف أشكالها، ويسقط فيه الشهداء والجرحى...وما زالت المسيرة مستمرة حتى يأذن الله بأمر من عنده.

واعتبر الفلسطينيون أن الإنسان الذي يملك أرضاً فهو لا يستحقها إن لم يصلحها ويحرثها ويزرعها ويحصدها، ولذلك قالوا في المثل: الأرض للي يزرع ويفلح ويقلّع (الأرض لمن يزرعها ويحافظ عليها ويحني ثمارها بتعبه).

وتكتسب عملية استصلاح الأراضي أهمية خاصة لدى الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي، الذي ما فتى يصادر الأراضي وخاصة الأراضي البور (غير المزروعة). ولذلك يحاول الفلسطينيون بذل أقصى طاقتهم للمحافظة على أراضيهم من خلال استصلاحها وزراعتها بالمزروعات المناسبة، بهدف حمايتها من السرطان الاستيطاني المنتشر في أرجاء فلسطين كافة.

كما أن الزراعة في فلسطين تشكل عماد الاقتصاد المحلي، فإذا عزف أصحاب الأراضي عن زراعتها، فإن الاقتصاد سيتعرض لنكسة، مما يؤدي إلى اعتماد الناس على الاقتصاد الإسرائيلي، الذي يتحكم في العرض والطلب، ومن ثم يحدد السعر الذي يراه، في ظل وضع لا يُمكن معظم الفلسطينيين من الحصول على حاجتهم من الخضروات والفواكه التي يمكنهم زراعتها على ما تبقى لهم من أراضي، وإشباع السوق المحلي بها، وبأسعار مناسبة، ودون تحكم من الخارج.

وهناك نقاشات تدور في الإطار الشعبي حول التمسك بالأرض، فهناك فئة من الناس تصر على أن تتمسك بملكية أرضها، و تعدّ من العيب المشين أن يتصرف بها أو المبادلة مقابل أي شيء آخر كالبناء أو السيارة حتى لو كان فيه فائدة كبيرة. وكثيراً ما أدت هذه القناعات إلى إشكاليات عائلية ترتب عليها خصومات ومشاجرات عنيفة بين الأقارب، لأن هناك طرف آخر لا يرى في التصرف في الأرض بيعاً أو مبادلةً أمراً معيباً، من هنا جاء مثل آخر يدعم وجهة نظر الفئة الثانية، حيث يقول: (إن جار عليك الزمن جور على الأرض). وهذا يعني أن الإنسان الذي لديه أرض، يمكنه أن يتخلّص من مشكلاته المالية، ويسر حياته من خلال (الجور على أرضه)، فيبيع جزءاً من أرضه مقابل الاستغناء عن الحاجة إلى الناس؟

وهناك أمثال فلسطينية جاءت تتحدث عن جانب معين متعلق بالنباتات (الخضراء) ارتأى الباحثان تسليط الضوء على مضامين ودلالات اثنين منها في هذه الدراسة، لملائتهما أغراض الدراسة.

يرى قطب (1980) أن هناك صلة قريبي بين الإنسان ونبات الأرض، فكلاهما نابت من الأرض، لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ نوح: ١٧. وهذا يعني أن صلة الإنسان بالنبات هي صلة أصيلة وطبيعية وليست مصطنعة، فالإنسان مجبر على التعامل مع قريبه، وعليه أن يحافظ على النباتات الحيوية كمحافظته على أبنائه وأقربائه. يقول أحد هذين المثليين: (لأجل الورد يشرب العليق). فما هي العلاقة بين الورد والعليق؟

يزرع الناس الورد، تلك النباتات الجميلة التي تريح النفس، وتضفي جملاً وبهاء على البيئة، ويظهر بجانب الورد نباتات أخرى تنمو تلقائياً بسبب توفر الماء والتربة المناسبة، ومن هذه النباتات نبات العليق، وهو نبات شوكي له فوائد طبية، لكنه لا يزرع لأهداف جمالية. والمزارع يزرع الورد لأجل الورد، ولا يريد العليق، لكن العليق ينمو بجانب الورد مستفيداً من البيئة المناسبة لنموه.

وفي هذا المثل إشارة إلى بعض التعاملات البشرية، فقد تضطر إلى بذل المعروف إلى شخص معين تحبه، لكنك تكره أخيه أو ابنه أو زوجته، حينها تكون أمام أحد خيارين:

فإما أن تقطع جبل الودّ وعمل المعروف مع من تحب، بسبب علاقته مع آخرين لاتبّهم، أو تستمر في عمل المعروف وأنت تعلم مسبقاً أن هذا المعروف سيصل إلى أناس آخرين لا تستلطفهم أو تكرههم. وفي هذا المثل دلالة تربوية وقيميّة إيجابية، إذ يحث على عمل المعروف مع الناس المحتاجين له بغض النظر عن حيثيات علاقتك معهم. وفي المثل (اعمل معروف وارمي في البحر) نفس المعاني، إذ يحث المثل على عمل المعروف لجميع الناس سواء كنت تعرفهم أم لم تعرفهم.

ويأتي هذا المثل متوافقاً مع توجيهات الدين الإسلامي الذي أمرنا بإحسان التعامل مع جميع الناس، وأن نكون إيجابيين، وأن نصل من قطعنا، وأجرنا عند الله سبحانه وتعالى. واستخدم المثل النباتات للتمثيل والتشبيه، فقد شبّه المرأة الطويلة بالنخلة، وشبّه عقل المرأة الغبية الساذجة بعقل السخلة (بنت الماعز).

إننا كثيراً ما نُخدع بمظهر إنسان معين، سواء كان ذكراً أم أنثى، فنحكم عليه من خلال صفات مظهرية (كالطول، والشكل، واللباس، واللون)، وعند اختباره في أي موقف نكتشف أننا أصدرنا حكماً خاطئاً، لأن المخبر يختلف عن المظهر. ولذلك يدعوننا المثل إلى اعتماد محكّات عديدة ومتنوعة عند تقييم شخصية الإنسان إلى جانب الصفات المظهرية، ومن هذه المحكّات: الذكاء، والفطنة، وسرعة البديهة، والشجاعة، وحسن التصرف، والكرم، والعلم.... الخ). فالعقل حسام قاطع، وهو متمم لدين الإنسان، والحكم القاطع لا يكون إلا للعقل والسلوك لا للصفات المظهرية كما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم - رواه مسلم.

• الأمثال المتعلقة بالأرض وعناصرها:

- القَمْحُ يَا كَيْالَةَ وَالشَّعِيرُ لَا تُسَالُ عَلَيْهِ.
- الصَّخْرَاءُ عَزَّارَةٌ وَالتِّلْ حُسُومٌ.
- فِي فَرَارٍ تَتَلَقَّحُ الشَّجَارُ، وَتَتَزَاوِجُ الطَّيَّارُ، وَتُظْهِرُ الْحَيْلَةُ مِنْ لِعْشَارِ.
- يَخْلِفُ رَبِّي عَلَى الشَّجَرَةِ، وَمَا يَخْلِفُشْ عَلَى قِصَاصِهَا.
- إِذَا رَعِدَتْ فِي فَرَارٍ هِيَ لِمَطَارِقٍ لِلصَّغَارِ.

- مَا كَانَ شَجَرَةً إِلَّا وَهَزَهَا الرِّيحُ.
 - قَالَهُمْ فَرَارُ: إِذَا لَقِيتَهَا غَبَارُ نَقْلَيْهَا نَوَارُ، وَإِذَا لَقِيتَهَا نَوَارُ نَقْلَبَهُ غَبَارُ.
 - الطُّولُ لِلشَّجَرِ، وَالْغُلْظُ لِلْبَقَرِ، وَالْعَقْلُ لِلْبَشَرِ.
 - يَوْمَ عَمِي فَرَارُ بُوْسَبِغِ تَقْلِيَّاتٍ فِي النَّهَارِ.
 - يَبْرِيرُ يَجْبِذُهَا مِنْ قَاعِ الْبَيْرِ، وَلَا يَنْسِفُ عَلَيْهَا تُطِيرُ.
 - سَابَ وَرَابَ، وَالْقَمَحُ عَادَ يَغْزَهُ الدَّابُ.
 - يَذُوبُ الثَّلْجُ وَيَبَانُ الْوَسَخُ.
 - لَيْلُ اللَّيَالِي لَيْلَتَيْنِ، وَاللَّيْ مَا يَنْغَطَّاشُ يُنَوِّضُ خَيْرُ.
 - فِي يَبْرِيرِ خَيْطُ مَا تُنَحِيهَ، وَفِي مَائِ الْبَسِ الْبَيْغَةُ.
 - مَارَسَ أَوْلُو يَهْرِي لِبْرَانَسَ، وَأَخْرُو يَخْلِي اللَّيْنُ قَارِصَ.
- خبر الإنسان الشعبي الطبيعة في كافة ظروفها، لذا وضع قوانينه الخاصة لتكيف معها، «فالإنسان الشعبي على صلة وثيقة بالنبات والحيوان والطير، وبشروق الشمس وغروبها وبكل مظهر من مظاهر الطبيعة» (إبراهيم، دون تاريخ)، إذ لم يترك الإنسان ظاهرة أو حدثاً إلا وصاغ حوله الكثير من التفسيرات والتحليلات، وهو ما نجده في الأسطورة الكونية التي تُعنى بكيفية خلق الكون وباقي الموجودات، والأسطورة التعليلية التي تبحث عن تفسيرات وتعليلات لكل أمر أحدث دهشة أو استغراب في ذهن الإنسان البدائي، وقد كان الإنسان منذ القدم في احتكاك مباشر مع الأرض وفي هذا تقول الباحثة نبيلة إبراهيم «ارتبطت الجماعة الشعبية ارتباطاً بالأرض الأم القديمة التي احتوت تراث آلاف السنين، كما أنها تعيش على هذه الأرض بإحساس قوي بوحدة الحياة، حيث تتداخل نظرة الإنسان إلى العالم المرئي مع نظره إلى العالم الغيبي» (إبراهيم، دون تاريخ).
- بمعنى أن الأرض والإنسان طرفين حيويين في المنظومة الكونية، وكلاهما يؤثر في الآخر فمن الناحية الأدبية نجد أن الفرد في العصر الجاهلي ابن بيئته أخذ منها وأخذت منه، وتجلّى ذلك الانصهار في صعوبة الألفاظ وغرابتها لخروجها من أديم الأرض الوعرة، أما بلاد

الأندلس الأرض الغناء بأسقة الأفنان والزرع من كل الألوان فقد لونت الإنتاج الأدبي آنذاك ببهي الصور شكلاً ومضموناً، هذا من ناحية الأدب أما من الناحية السلوكية ودراسات الجغرافية الاجتماعية- فرع من فروع علم الجغرافيا البشرية-؛ تم التأكيد فيهما على أثر المكان في السلوك الإنساني؛ فكلما اتسع الحيز الجغرافي واشتمل على عوامل بيئية محفزة للعيش مثل: البحر المساحات الخضراء المتنوعة والزاهية، كلما امتاز الفرد بالاندماج السليم مع مجتمعه والفاعلية في الوقت ذاته بمعنى يصبح منتجاً ومبتكراً، أما إذا اشتدت التضاريس الطبيعية صعوبة ومالت نحو الجفاف والألوان الباهتة، فإن الطبيعة الإنسانية ستكون قاسية وصعبة المراس.

لقد أكدت الدراسات الاجتماعية على أن المحيط الجغرافي أدى إلى «تكوين حياة وعلاقات اجتماعية لها طابعها المعين، الذي يختلف عن طابع الحياة الاجتماعية الحضرية والريفية المستقرة» (ميتشل، 1981)، ولأن المبدع الشعبي مرآة عاكسة لبيئته فقد عكس ذلك في كثير من الأمثال الشعبية التي نقل فيها رؤاه عن الأرض وما يتصل بها، كما في المثل الآتي:

القَمْحُ يَا كَيْالَةَ وَالشَّعِيرُ لَا تُسَالُ عَلِيَّةُ، يُعتبر القمح من أهم المحاصيل الزراعية على مر التاريخ، وكان ينظر إليه على أنه غذاء الطبقة الأرستقراطية، أما الشعير فيأتي في المرتبة الثانية ويقدم للفقراء فقط، وساد هذا التصنيف عقوداً طويلة، ولكن عصرنا الحالي أعاد الاعتبار لزراعة الشعير نظراً لما فيه من فوائد بخاصة مع انتشار الطعام الصحي أو الطبيعي، وبعيدا عن هذا التصنيف فهذا المثل يركز على أن الأشياء الثمينة تدل على ما بداخلها ولا يمكن أن تزول قيمتها، فالقمح يُسارع الفلاح لبيعه والمضاربة أحيانا مع كثرة الطلب (كَيْالَةَ) فترتفع أسهمه في السوق، أما الشعير قيمته المادية أقل بكثير من القمح.

ولأنه مثلما يرى المثل الشعبي: **النَّاسُ أَجْناسُ فِيهِمُ الْفُضَّةُ وَالنَّحَاسُ**، فقد ساد هذا المنطق في الأوساط الشعبية؛ فهناك الثمين والأصيل وهناك المتدني، كذلك الأرض تُخرج النافع والضار وتُخرج المرغوب والمرفوض، فتفسير الإنسان الشعبي لبعض الرؤى والقيّم يكون نابغاً من محيطه الجغرافي الذي ينتمي إليه ولا ينفصل عنه أبداً ولو انتقل عنه.

إضافة إلى ذلك فقد قدم الإنسان الشعبي استنتاجات مختلفة حول الزراعة انطلاقاً من ملاحظاته العينية وتجاربه المتكررة، فخص أوقات الحرث بأشهر محددة وفترة الغرس أو البذر بمناسبات دقيقة والحصاد وجني المحصول بمدة معينة، فلم يترك أي حدث أو ظاهرة تخص نشاطه الفلاحي إلا وعبر عنه مثلاً حول استشراف الخصب أو الجذب خلال السنة الزراعية في المثلين الآتين:

إِذَا سَقَاهَا نَيْسَانُ يَرْوَحُ الْعَامُ بِلَا نُقْصَانٍ، إِذَا مِطَرَتْ فِي يَبْرِيزْ تَسِيلُ فِي قَاعِ النَيْرِ،
تحتاج الأراضي الزراعية للماء بنسب معينة حتى تتم عملية الإنتاج بشكل صحيح، فإذا أمطرت خلال شهر فيفري وشهر أفريل جاء المحصول وفيراً وزال كابوس سنة عجاف تأتي على الأخضر واليابس، وإذا وفرت المحصول وجودته مرهون بشهر أفريل فعلى حد تعبير العامة مَطَرَةٌ خَفِيفَةٌ فِي أَفْرِيلَ تُشَبِّعُ الْأَرْضَ، وبمعنى أن المطر في يبرير لا يؤثر على خروج سنابل الزرع ولو كانت في قعر البئر، ويُقال أيضاً في نفس السياق بأسلوب مختلف: إِذَا بَرَّهَا يَبْرِيزْ بَرَّتْ، وَإِذَا غَرَّهَا غَرَّتْ، أي إذا جاء شهر يبرير ممطراً فالعام يكون خصيباً، أما إذا مرَّ صحواً كان العام نكدًا.

كما أعطت الأمثال الشعبية معطيات هامة حول علاقة الإنسان بالظروف المناخية، نحو مَارِسْ أَوْلُو يَهْرِي لِبْرَانِسْ، وَأَخْرُو يَخْلِي اللَّيْنُ قَارِصْ، أي أن شهر مارس بدايته تتميز بالبرودة الشديدة ما يلزمنا على ارتداء الكثير من الملابس للشعور بالدفء، والبرانس جمع مفردة برنوس وهو عبارة عن معطف طويل من الصوف يضم غطاء رأس مذهب وليس به أكمام، وينتشر استعماله في منطقة المغرب العربي، فهو جزء من اللباس التقليدي الجزائري واللباس التقليدي التونسي كما يستخدم على نطاق واسع في المغرب، ويُصنع من الوبر الخالص أو الصوف بحسب القدرة الشرائية لصاحبه، ويرمز به للوقار حتى أن العلامة ابن خلدون قال عن البربر "أصحاب البرانس".

أما آخر شهر مارس فيُعرَف بالحر الشديد (يَخْلِي اللَّيْنُ قَارِصْ)، كذلك في المثل: فِي يَبْرِيزْ خَيْطُ مَا تُنْعِنِ، وَفِي مَايِ الْيَسْ إِلِي تَنْغِي، لهذا قيل: توقوا البرد في أوله، وتلقوه في آخره فإنه يفعل بالأبدان كفعله في الأشجار أوله يحرق وآخره يُورق.

هناك أمثال كثيرة تقارن بين مظاهر الطبيعة وبين صفات الإنسان كما هو واضح في هذا المثل القائل: الطُّونُ لِلشَّجَرِ، وَالْغُلْظُ لِلْبَقَرِ، وَالْعَقْلُ لِلْبَشَرِ، وجاء بنوع من التهكم والتسلية في الوقت ذاته، فالشجر يكون مرتفعاً عن سطح الأرض بنسب متفاوتة حسب نوعيته، والبقر معروف بضخامة جثته، أما الإنسان فقد حباه الله بميزة خاصية وهي العقل، الذي يعد من أكبر نعم الله على بني البشر، يمكن القول أن هذا المثل أخذ بعض ما يوجد على الأرض من: نبات وحيوان وإنسان، وهي مجتمعة تمثل الوسط الطبيعي.

مَا دَامْنِي فِي الْمُنِيعةِ نُصْبِرْ عَلَى كُلِّ لَيْعةٍ، وَنَهَارٌ نَرْجِعْ لِدُلْدُولٍ مَاذَا نُقُولُ، المنية ودلدول اسمين لمدينتين الأولى مقر دائرة تابعة لولاية غرداية، والثانية بلدية تابعة لدائرة أوقروت بولاية أدرار، وأصل المثل أن شخصاً من قصر دلدول تعرض لمضايقات في مدينة لمنية وهو ما عبر عنه بلفظة "لَيْعَاتٌ" لدلالة على مرارة عيشه وسوء أحواله، فكان لزاماً عليه أن يصبر وهو بعيد عن قصره دلدول مسقط رأسه ومرتع صباه، إلى أن يعود إلى دياره فسيكون له حديث آخر، وربما أحاديث عما عايشه، وفي هذا الإطار تتناسل في الذاكرة ما نظمه الشاعر العراقي محمود الجواهري:

سَهَرْتُ وَطَالَ شَوْقِي لِلْعِرَاقِ وَهَلْ يَدْتُو بَعِيدًا بِاشْتِيَاقِ
وَهَلْ يُدْنِيكَ أَتَكَ غَيْرَ سَالٍ هَوَاكَ وَأَنْ جَفَنَكَ غَيْرَ رَاقِ
وَمَا لِيْلِي هُنَا أَرْقُ لِدِينِغٍ وَلَا لِيْلِي هُنَاكَ بِسُخْرِ رَاقِ
وَلَكِنْ ثُرْبَةً تُجْفُو وَتُخْلُو كَمَا حَتَّ الْمَعَاظِنُ لِلنِّيَاقِ
وأيضاً:

وَطَنٌ إِذَا ذَكَرُوهُ لِي وَيِي الْعَلِيلُ وَجَدْتُ بِرَدَا
وَلَوْ اسْتَفَفَنْتُ ثُرَابَهُ لَوَجَدْتُ عَيْشِي فِيهِ رَغْدَا

(www.diwanalarab.com)

نلخص هذه الأبيات في المثل الشعبي القائل: وَطَنِي وَطَنِي خَيْرٌ مِنْ الْخَرِيرِ وَالْقُطْنِي. إن إحساس الغربة لا يحتمل يدمي القلب ويضعف الجسم، ولا شيء أجمل من العيش في الوطن الأم، وكل الكلام لن يعبر عن الحنين للوطن، الذي لطالما الأمثال الشعبية ركزت

عل تبيانه وحث المتلقي على تقديس الوطن والذود عنه بالأرواح والأموال والعيال، وعدم التفريط ولو بشبر واحد من الأرض ولو كانت بوراً، فشددت على التمسك بالأرض وإنزالها في الفؤاد والعقل منزلها المبجل فمن الأمثال الداعمة لما قلناه: **اللي يبيع الأرض يبيع العِرض**، هذا المثل أبلغ من أي كلام فالأرض مثل الشرف لا تُباع ولا تُشتري، ولا يُقدر بثمن قيمته في كل شيء ودونه لا شيء، فقد يبيع أرضه يوسم بالعار وينبذ من بين عشيرته وكأنه مطلي به القار أجرب، لا يحضر مجامعهم ولا يؤخذ برأيه لأن الرجولة سقطت منه، وإذا تتبعنا أكثر هذا الأمر لوجدنا الأسر الجزائرية القديمة ترفض إشراك المرأة في الميراث فيأخذ زوجها الأرض ويبيعها لأنه لن يكون حريصاً عليها-الأرض- مثل أفراد العائلة، لذلك قالوا في الأمثال: **خُود الطُريق الطُويلَة وَلَوْ دَارِتْ، وَخُود بِنْت عِمَكْ وَلَوْ بَارِتْ**.

إضافة إلى ذلك حرصت الأمثال الشعبية على التنويه بالحيط الخارجي والاهتمام به والحفاظ عليه، فالنظافة من الإيمان، **نحو يَذُوبُ الثَّلْجُ وَيَبَانُ الوَسْخُ**، يدل على أن النظافة تكون من الداخل والخارج وهو يتعدى الدلالة اللفظية إلى الدلالة التأويلية، فإن أراد المرء القيام بأمر عليه إنجازاه على أكمل وجه كذلك من يدعي أمراً ما أو يتفنن في الكذب لا بد وأن ينكشف أمره لأنه مثلما يُقال: **حَبْلُ الكَذِبِ قَصِيرٌ**، ومثلما يغطي الثلج الأرض ويستر ما فيها من أوساخ فذوبانه سيفضح المستور، فكذلك الحقائق يجب أن تنكشف رغم ما كان من تضليل، ولا بد لليل أن ينجلي إيذاناً بيوم جديد، هذا المثل يقرأ من زاوية الاهتمام بالبيئة ومن زوايا أخرى بحسب الممكنات التأويلية.

ثالثاً: الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين).

- ما زين إلا زين العين (الزين هو زين العين).
- لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة بيتجي الحصيدَة وبتشوف فعلتها (إياك أن تعجب من زينها وبياض ثيابها، غدا ستري فعلها الحقيقي في الحصيدَة).
- العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينَة (العقل في الرأس زينة، ومن فقدته تكون حزينَة).
- اللي ما بتزينهاش زنودها، ما بتزينهاش خدودها (من لم تتزين بزنودها، لن تزينها خدودها).

- يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان. (يا من تأخذ المرأة البيضاء، ستقضي عمرك وأنت فرحان).
 - زوق الصوصة تصير عروسة (إذا زوقت الصوصة فإنها تصبح عروسة).
- قبل الخوض في الدلالات التربوية لهذه الأمثال، رأى الباحثان أن من الضرورة البدء بمقدمة أولية تتضمن إشارات قرآنية حول الجمال، كمقدمة للحديث لاحقاً في ثانيا التحليل عن وجهة نظر الإسلام في الجمال بمختلف أشكاله.
- يعتبر الجمال من أوسع المنافذ إلى النفس... تهش له بفطرتها، وتلتقي روحها بروحه في أخوة واستجابة واشتياق. والجمال في هذا الكون مقصود كالكمال، بل إنهما اعتباران لحقيقة واحدة، فالكمال يبلغ درجة الجمال. وقد وجه القرآن النظر إلى جمال السماوات بعد أن وجه النظر إلى كمالها:

"وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴿٥﴾ الْمَلِك: ٥.

إنه الجمال، الجمال الذي يملك الإنسان أن يعيشه ويتملأه، ولكن لا يجد له وصفاً فيما يملك من الألفاظ والعبارات. والحياة معجزة الخلق الكبرى، جميلة بكل صورها وأشكالها، والقرآن يوجه القلب إليها، ويعقد صلة القربى بين الإنسان وغيره من الأحياء في هذا الوجود، النبات والحيوان والطير قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مُخْرِجٌ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۚ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ﴾ الأنعام: ٩٩.

يقول المولى عز وجل: انظروا إلى الجمال المبعوث في هذه الكائنات الحية، وتمتعوا بهذا الجمال في تلك اللوحة الطبيعية الحية المتناسقة البهيجة! فالجمال هنا هدف مغد للروح. والجمال عنصر أصيل في بنية الكون والأحياء، وعنصر مطلوب، مطلوب ليستمتع به الناس، وموهبة يذكر الله بها الناس ليشكروه ويعبدوه. لذلك فإن كل واقع ينحرف عن مستوى الإنسان فهو خاطئ، ولا يمكن أن يكون صواباً لمجرد أنه هو الموجود. الإنسان في نظر الإسلام إنسان، لا هو بالحيوان، ولا هو بالملك (قطب، 1980).

جاءت الأمثال المتعلقة بأهمية الوجه الحسن (الزين والجمال) متضاربة فيما يعلّق باعتماد هذا المحك في الحكم على النساء، وربما على الرجال أيضاً في بعض المواطن. فبعض الأمثال قدّست جمال الوجه باعتباره محكاً وحيداً لاختيار الزوجة، والبعض الآخر اعتبر الجمال عنصراً ثانوياً في الحكم على النساء، مفضلة عناصر أخرى عليه، مع تأخير عنصر الجمال بوصفه عنصراً ثانوياً، يأتي في الترتيب بعد عناصر أكثر أهمية كالعقل والقدرة على العمل ورعاية البيت.

ومن الأمثال التي فضّلت عنصر الجمال على غيره المثل القائل (ما زين إلا زين العين). ففي هذا المثل تم تفضيل جمال العيون باعتباره العنصر الأساس للحكم على النساء، والعين جزء من الجسم، ولكن المثل لم يتطرق إلى السمات الجسمية والقيمية الأخرى، فماذا لو كانت المرأة جميلة العيون، لكنها عرجاء أو غبيّة أو سيئة الخلق، هل سيبقى قائل المثل متمسكاً بهذا المحك في الحكم النهائي والكلي على المرأة؟... أم أنه سيعتمد هذا العنصر بوصفه جزءاً من مجموعة عناصر أخرى يستخدمها في حكمه حسب الأولوية؟.

ومن الأمثال التي تؤكد اعتماد محك واحد لتقييم النساء المثل القائل (يا ماخذ البيض يا مقضيّ الزمان فرحان)، أي أن من يتزوج المرأة البيضاء سيبقى سعيداً طوال حياته. وفي مثل آخر (خذها بيضة ولو أنها مجنونة)، ويعني أن من يتزوج المرأة البيضاء سيبقى سعيداً طيلة حياته، حتى لو كانت مجنونة. فما مدى صحة هذا الرأي؟

يرى الخشت (1989) أن من الرجال من ينظرون إلى الجمال الأنثوي في رشاقة الجسم وانسيابه، بينما يركز آخرون على تناسق الوجه وبهائه في حين يجمع البعض في نظرتهم بين اعتبار رشاقة الجسم وبهاء الوجه. وبعض الرجال يفضلون السمراء، وآخرون الشقراء، وطائفة أخرى البيضاء. وقد أشارت دراستان قام بهما وجنز Wiggins سنة 1968، وسالي بك Sally Beck في جامعة بتلر بأمريكا سنة 1979 إلى أن الفروق الفردية بين الرجال في اختيارهم للإناث تعكس خصائص الذكر وخلفيته الاجتماعية والثقافية والحضارية.

يتضح لنا مما سبق أن بياض البشرة هو محك يستخدمه بعض الرجال في تقييم المرأة، وليس جميع الرجال، ومن ثمّ يكون المثل السابق صحيحاً لفئة معينة من الرجال، ولا يجوز

تعميمه. وقد نجد رجالاً آخرين يفضلون المرأة السمراء (سمرة ونقشة، ولا بيضة ووحشة). وربما تكون السوداء من صاحبات العقول الذكية، والالتزام الديني والأخلاقي، وتكون عوناً لزوجها على تقلبات الدهر.

وينطبق نفس الكلام على المثل القائل (زوّق الصوصة بتصير عروسة) الذي يعني أن المرأة مهما كانت بشعة، فإن هذه البشاعة ستختفي عند تزويقها وتجميلها صناعياً. ومن الواضح أن المثل يركّز اهتمامه على الجمال الجسدي متجاهلاً الجوانب الأخرى للجمال، والتي تكتسب أهمية أكبر لدى كثير من الناس، ويمكن اعتبار هذا المثل والأمثال التي تشبهه من النوع السليبي الذي ينظر للموضوع من زاوية واحدة، متجاهلاً الزوايا الأخرى.

إن تركيز بعض الرجال على السمات المظهرية للأنثى ليس مستهجنًا من وجهة نظر بعض الدراسات المعاصرة، التي بينت أن تحريك السمات الجسدية الأنثوية للذكور أكبر من تحريك السمات الجسدية الذكورية للإناث، فالذكور غالباً ما يختارون الإناث على أسس جسمية، كنقطة ابتداء على الأقل. وهذا ما تؤكدُه أيضاً النصوص الأدبية والشعرية والأعمال الفنية.

وقد وجد ديون (1977) أن جاذبية الوجه تعد نقطة الارتكاز الأولى للجاذبية، وأنها تساعد صاحبها أو المتعامل معه، على إقامة علاقات اجتماعية أكثر استدامةً ووفقاً، كما أن لذلك أثراً بيناً في توجيه السلوك نحو مسالك لا تتسم بالضعف والعدوانية. وأكدت بعض الدراسات أن الأفراد الأكثر جاذبية من ناحية الشكل يملكون في نظر من يتعاملون معهم خصائص إيجابية، بعكس الذين لا يملكون هذه الجاذبية فينظر إليهم على أنهم يحملون خصائص سلبية. وإن الناس عامة يتصفون بالكسل في حكمهم على جاذبية الغير، إذ لا يكلّفون أنفسهم عناء التعمق، ويحكمون على الأشخاص من مظهرهم، ويبنون أحكاماً على أساس ملاحظات ضحلة، وهذا ما يحدث في مقابلات الدراسة والعمل والتوظيف، حيث يتأثرون بسرعة بمظاهر جسمية في شخص يروونه جذاباً، ويبنون أحكامهم النهائية على ذلك (الخشث، 1989).

وتتضمن عينة هذه الدراسة أمثالاً أخرى أكثر إيجابية من الأمثال التي تم الحديث عنها أعلاه، وهي:

لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة بتيجي الحصيدا وبتشوف فعلتها
اللي ما بتزينهاش زنودها، ما بتزينهاش خدودها
العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينه

فالمثل الأول يركز على ضرورة عدم الانخداع بجمال بشرة المرأة، أو بلباسها، والأهم من كل ذلك التركيز على فعلها الإيجابي وتأثيرها في أسرتها ومجتمعها.

والمثل الثاني يقلل من أهمية زينة الخدود، معتبرا فعل الزنود (الأيدي) أكثر أهمية، إذ ما الفائدة من امرأة جميلة من الناحية المظهرية، لكنها تفتقر إلى المهارات الحياتية اللازمة للولوج في الحياة اليومية، من مهارات علمية وبيئية واجتماعية واقتصادية ودينية.

بينما المثل الثالث يعتمد العقل بوصفه المعيار الأول في الحكم على النساء، وأن من لم تملك عقلاً راجحاً متالقاً في الحكم والتمييز وتسيير شؤون الحياة، تكون قد فقدت أمراً عظيماً من الصعب تعويضه بأية سمات مظهرية أخرى.

ويعتقد العطيات (1990) أن أكثر الناس يجعل الشرط الوحيد عند اختيار الزوجة هو جمالها المظهري، في حين أن تأثير الشكل الخارجي مؤقت، منحصراً في بداية التعارف، ولا يلبث هذا الشكل أن ينسى مع الوقت، وتحل محله الصورة الشاملة المكونة من مجموع ما له علاقة بالشخص ومن ضمن ذلك الشكل، ولا يعود الشكل هو المكون الوحيد للصورة، بل يدخل في ذلك السلوك اليومي الذي هو الجوهر الداخلي للإنسان أكثر بكثير من المظهر الخارجي، ومن هنا فإن بناء الزواج على أساس هش كالجمال الخارجي هو بناء على أساس فاسد.

كما أن الجميل أو الجميلة إن لم يتصفا بصفات أخرى تحرس ذلك الجمال وتصونه، فإن ذلك الجمال يكون -عادة- نقمة على أصحابه. فالشخص الجميل يكون عادة معرضاً لمحاولات الغواية والفتنة من الناس، أكثر من غير الجميل، وفي هذه الحالة فإن احتمال وقوع

المحذور يزداد كلما كان رأس مال الشخص جبال. فالجمال الداخلي والانسجام المبني على التفاهم الفكري والشعوري بين الطرفين، أمران مهمان إلى جانب الجمال المظهري.

وإن الإنسان لا يتزوج لإشباع الميل الجنسي فحسب، بل يفعل ذلك لأغراض متعددة، منها محاولة الحصول على السكنينة والطمأنينة والمودة والصدقة، فهل يستطيع الجمال وحده أن يحقق هذه الأهداف، وهل يُسرُّ الرجل المثقف بزوجة جميلة لا تفرق بين عمر بن الخطاب وعمر بن أبي ربيعة، أو بين فلسطين وإسرائيل؟. وهل تفرح مثقفة واعية بزوجها الجميل الذي لا قضية له سوى بطنه وفرجه؟ أم هل يُسرُّ الرجل الذي يريد أن يصبح له بيت وأبناء بزوجة جميلة لا تعرف من الحياة سوى الحفلات والأزياء؟

ويرى قطب (1980) أنه حين يُنظر للإنسان بوصفه جسداً خالصاً، يصبح متعة حسية بعيدة عن كل إشراق، حين يصبح ضرورة غليظة، حين يصبح جوعة طعام أو شراب أو جنس لا تشبع ولا تهدأ، حين ينحصر في حدود ما تدركه حواسه لا يجاوزها إلى العالم الفسيح الذي تدركه الروح فيما وراء الوعي... لا يعود إنساناً، وإنما يرتكس إلى عالم الحيوان. ويعتقد الخشت (1989) أن الوجود البشري يتألف من مقومات أخرى غير الجسد مثل: الروح، والعقل، والنفس. وهذه المقومات ليست منفصلة عن بعضها، وإنما تكون وحدة واحدة، وحدة روحية عقلية نفسية جسدية، وحدة الإنسان. ولا يستطيع أي إنسان أن ينكر ما للعامل الجسدي من أهمية، لكن ليس منعزلاً عن غيره من العوامل الأخرى. فقد أشارت الدراسات إلى أن العامل الجسدي الشكلي هو أكثر العوامل تأثيراً في انجذاب الأطفال والفتيات إلى بعضهم البعض، فمن كان شكله جذاباً منهم، ذكراً أو أنثى، يحظى بقبول أكبر وحب أعظم.

وقد ظهرت إشكالية الاختيار على أساس العنصر الجمالي المظهري بقوة في النقاش الديني الإسلامي اليومي، وما رافقه من اختلافات في وجهات النظر تجاه تفسير بعض الأحاديث النبوية الشريفة.

قال صلى الله عليه وسلم:

"لا تنكح المرأة لجمالها فلعلّ الجمال يردبها، ولا لمالها فلعل مالها يطغيها، وانكح المرأة لدينها" رواه ابن ماجه.

وقال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" رواه الشيخان.

ويتساءل الخشت (1988): كيف يضع الرسول صلى الله عليه وسلم عنصر من عناصر المرأة الصالحة ثم يستبعده في الحديث الثاني؟

ثم يرد: إن المقصود من الحث على الدين، وأن المرأة لا تنكح لجمالها، ليس النهي عن مراعاة الجمال وأخذه في الحسبان، وإنما النهي عن الاختيار على أساس الجمال المحض وحده دون النظر لسائر الجوانب، لأن المرأة إن كانت جميلة الجسد وليست جميلة الأخلاق، لا ينبغي الالتفات إليها، لأن بلاءها سيكون شديداً، وسيشق على الرجل مفارقتها، وستنغص عليه معيشتة، وتسود بين الناس وجهه، وتشوش الغيرة في قلبه. فهو إما أن يسلك سبيل الحمية والأنفة فيبقى متوتراً قلقاً، وإما أن يسلك سبيل التساهل معها فيكون متهاوناً ديوثاً، فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها. فالجمال مع فساد الأخلاق وغياب سائر مقومات المرأة الصالحة نقمة لا نعمة، ويجب أن يؤخذ الجمال مع سائر العناصر وليس وحده، لكنه أحد عناصر تقييم المرأة. لذلك من المستحبّ النظر إلى المرأة عند الاختيار، فقال صلى الله عليه وسلم: "إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة، فلينظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما" رواه الترمذي. يؤدم بينكما: يؤلف بينكما.

وقد كان أسلافنا ينظرون إلى النساء قبل خطبتهن، حرصاً منهم على القيام بخطوة أولى وأساسية لإتمام زواج ناجح، واعترافاً عملياً منهم بأهمية الشكل الخارجي، إلى جانب الدين والأخلاق والمهارات العملية والذكاء، وغير ذلك من المحكّات الضرورية. فقال الأعمش في هذا المضمار: كل تزويج يقع على غير نظر، فأخره همّ وغم.

ويلاحظ أنه كلما زادت درجة تطور الإنسان الفكري والحضاري، فإنه لا ينظر للمرأة من بعد واحد فقط، كأن ينظر إليها من جهة جمالها فقط... وإنما ينظر إليها نظرة تكاملية من

مختلف زوايا التقييم: العقل والجمال والأخلاق والروح الدينية. وظهرت هذه النظرة التكاملية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سُئل: أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره" رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بخير ما يكتز المرء: المرأة الصالحة، التي إذا نظر إليها أسرت، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته" رواه الطبراني عن عبد الله بن سلام بإسناد صحيح.

التي تسر إذا نظر إليها: كناية عن الجمال وحسن المظهر.

تطيعه إذا أمر: كناية عن توافق المرأة مع الرجل.

ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره: كناية عن حسن تدبّنها واستقامة أخلاقها. وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" - حديث حسن صحيح رواه الترمذي وأبو داود.

وقد وردت أمثال أخرى تؤكد أهمية التدقيق في اختيار الزوجة منها (يا ميخذ القرد على ماله، بروح القرد ويظل القرد على حاله)، ومعناه أن المال لن يرفع من مستوى القرد، والمراد من ذلك المرأة الغنية، فمعيار المال بمفرده ليس معياراً جدياً وصالحاً للاختيار لأن المال قد يزول في أية لحظة، وتبقى المرأة كما هي دون أي تقدم.

وفي مثل آخر (زينة البنات لا تؤخذ، دور على الأصيلة).

وتحل الكارثة إذا فقدت المرأة الزين والعقل معا (لا زين فيها ولا عقل مواريتها).

وتؤكد بعض الأمثال على ضرورة تحري حقيقة أم العروس بحيث تكون من النوع الحر وشبهها المثل بالذهب (بنت الحرة زي الذهب في الصرة).

واللباس يجب أن لا يخدع الناس عند الزواج، لأن الجمال يكون ذاتياً، ولا يأتي من اللباس (اللي ما بتزينه عروقه، ما بتزينه خروقه)، ويلاحظ أن العروق قد استخدمت للدلالة على جمال الجسم.

وقد يخطئ الرجل في اختيار الزوجة من خلال انخداعه بالمظهر المصطنع، فيقع في مشكلة حياتية يصعب حلها إلا من خلال توضيحات كبيرة (بخت الرمايم قايم، وبخت الزينات نايم). وهل صحيح أن من يأخذ الجميلة يستريح (خذ مليح واستريح)؟.. هو خطاب للمذكر مع أن المثل ينطبق على الجنسين. وهل الملاحه وحدها مدعاة للراحة ؟ وهل الزواج من المرأة الجميلة يسمح للرجل بالجلوس في البيت والامتناع عن العمل (خذ الجميل واقعد في ظله)؟

والجواب لا، لأن هذه المرأة بحاجة إلى أن يشتغل الرجل ليلاً ونهاراً من أجل تلبية رغباتها، خاصة إذا كانت لا تملك من المؤهلات غير هذا الجمال. ويحلل عطيات (1990) بعض الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن تحليلاً لطيفاً ارتأى الباحثان تضمينها في هذه الدراسة، لما تتميز به من عمق في التحليل، وتضيف لهذه الدراسة معاني جديدة، وقد تسهم الأمثال المضافة في زيادة توضيح معاني الأمثال المدرجة ضمن عينة الدراسة.

الأمثال:-

- (1) باخذ الغندور ولو سكتي في القبور.
 - (2) خذي الحلو واتملي فيه، اغزلي واطعميه.
 - (3) خذ الحلو واقعد قبالة، وإن جعت شاهد جماله.
- تحت هذه الأمثال على الزواج بجميل الشكل بغض النظر عن النتائج المترتبة على ذلك، كأن الزواج رحلة تستغرق يوماً أو بعض يوم. والزواج قفص حقيقي إن دخله المرء، أصبح من المحتم عليه أن يتكيف داخله، والتراجع عنه يؤدي إلى خسائر فادحة في الأموال والأعصاب وراحة البال.

إن الغندور الذي لا يملك سوى غندرته سيصيب زوجته بالجلطة تلو الجلطة نتيجة عطفه وحنانه على الأخريات اللواتي يُردن التمتع به مع استعدادهن لإسكانه لا بين القبور وإنما بين القصور. أما التي تاخذ الحلو لحلاوته ولو أدى الأمر إلى أن تغزل بيدها لإطعامه، ستعلم بعد حين أن الحلو لن يبقى جالساً منتظراً حتى تباع غزلها وتطعمه، لأن هناك من

عندهن الاستعداد لإطعام هذا الحلو التافه ما لذّ وطاب. وإن الحلو لن يظل جالساً قبال المرأة حتى تشبعه لأنه ليس بالجمال وحده يحيا الإنسان. ولما كنت قد اخترت الحلو لحلاوته وحسب، فالغالب أن مثل هذا الحلو لا تحكمه في السلوك مفاهيم راقية، بل تسيره المصلحة والمنفعة، ومن هنا فإنه يبحث عن تكافئه مقابل تمتعها بجماله، ولا يكفيه استعدادها للصوم مقابل ذلك. وإن كنا نعذر العجائز في اعتماد معايير الحسن والجمال فإننا لا نعذر الشباب المثقفين الذين يرتكبون نفس الخطأ.

وذكر الخشت في دراسته (1988) تسعاً وخمسين صفة للمرأة المثالية، تمحورت غالبيتها العظمى على صفات لا تتعلق بالجمال المظهري، وإن تحدث بعضها عن ضرورة حفاظ المرأة على مظهر لائق أمام زوجها. والصفات هي:

أن تكون منطقية في متطلباتها، وأن لا تنسى أنها أنثى، ولا تحتلق النكد، وتحافظ على صورتها الحلوة التي رآها عليها الرجل أول مرة، واللباقة، والحرص على تحصيل خبرات جديدة، ومستقلة الشخصية، وتحسن معاملة أهل الزوج، وأن تكون نظيفة وتحافظ على النظافة، ولا تفرط في الزينة، ومستقلة الشخصية، وتحسن معاملة أهل الزوج، ومخلصة لزوجها، وغير مسرفة في الاختلاط بالجيران، ولا تركز على ماضي زوجها، ولا تعدّ المال أصدق دليل على الحب، وليست مسرفة في طعامها وشرابها، وليست مهملة، وتقدر الأمور بقدرها، ولا تحمل سجلاً أسود لنقائص زوجها، وتتخذ موقفاً إيجابياً تجاه عيوبها وعيوب زوجها، وتتنزّه عن الشجار والجدال، ولا تدفع زوجها للتهوّر من خلال تهويل النزاع، ليست خدّاعة ومزيّفة للحقائق، وليست متّانة، وليست أثّانة أو متمارضة، وغير ثرثارة أو متشدّقة، وغير برّاقة، وغير حدّاقة: أي لا تتطلع إلى ما يملكه الآخرون من مقتنيات جدّابة، ولا تضع نفسها في موضع التهم، وتفهم الرجل وتحاول التكيف معه، وتحسن تدبير شؤون المنزل، ولا تضع حق زوجها بحجة حق الله، ولا تفشي سراً، وتشارك زوجها حلو الحياة ومرّها، وتوافق رغبات زوجها ولا تخالفه إلى ما يكره، وتجيد فن الحديث، وتعبر عن مشاعرها وتعطي زوجها الفرصة ليعبر عن مشاعره، وتشارك زوجها حلو الحياة ومرّها، وتوافق رغبات زوجها ولا تخالفه إلى ما يكره، وتجيد فنّ الحديث، وتعبر عن مشاعرها وتعطي زوجها

الفرصة ليعبر عن مشاعره، وترضى بما قسم الله لها، وغير مفرطة في الغيرة، وليست متكبرة، وتتحدث بنعمة ربها أو على الأقل لا تنكرها، وليست لعوباً، وتعطي قبل أن تأخذ، وتتجنب التوافه، وليست مترددة، وليست لؤامة، ووفية بعهداها، وتحترم رغبات زوجها وذوقه، ولا تترك أولادها للخدم أو للشارع، وليست روتينية في حياتها، ومتجددة، ولا تحب إلا رجلاً واحداً، وتحسن الاستماع إلى زوجها، ولا تتبع الرجل كظله، وليست لحوحاً، وليست نزاعة للسيطرة، ومنظمة... لكن ليس إلى درجة الهوس، وصبورة، ولا تشوه صفاتها الجميلة... كالحنان، والوفاء، والوقار، والاستقرار، والتنظيم، والجلد.

ويرى الباحثان أن هذه الصفات جوهرية فعلاً، وأن عدداً كبيراً من هذه الصفات يجب أن تتوفر في الرجل المثالي أيضاً، وهي صفات يجب أن تطلبها المرأة في الرجل، مثلما يطلبها الرجل في المرأة، لأنها صفات إنسانية وليست مرتبطة بالجنس.

مناقشة النتائج

عرضت الدراسة تحليل المعاني المتضمنة في ظلال ستة وعشرين مثلاً شعيباً من الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن، واستقراء دلالاتها الفكرية والتربوية. والمتمعن بدقة في هذه الأمثال، يتوصل إلى الحقيقة القائلة بوجود معنيين للمثل الواحد، المعنى الظاهري والمعنى المجازي. وحتى المعنى الظاهري فإنه يمكن تفسيره بأكثر من طريقة ووجهة نظر، كما هو الحال في المثلين الآتيين:

المثل الأول: الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها.

المثل الثاني: إن جار عليك الزمن جور على الأرض.

ويجد المتدبر لمعاني الأمثال أن الأمثال المدرجة ضمن موضوع واحد، يمكن أن تحتل معاني متضاربة، فالمثل (يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان) يعتبر بياض بشرة المرأة المحك الوحيد لاختيار الزوجة، بينما نجد تناقضاً وأمثال أخرى تتحدث عن أسس اختيار الزوجة ومعايير جمالها كما في الحالات الآتية:

فالمثل (ما زين إلا زين العين) يركز على جمال العين وليس على لون البشرة.

والمثل (لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة تيجي الحصيدا وبتشوف فعلتها) يركز على قدرة المرأة على العمل، ويحتقر اعتماد جمال الجسم والثياب في تصنيف النساء. والمثل (العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينه) يعتبر المستوى العقلي للمرأة هو أساس المفاضلة وليس جمال الوجه. أما المثل (زوق الصوصة تصوير عروسة) فيعطي الجمال المظهري الصناعي أهمية أكبر من الأهمية المتعلقة بالجمال الطبيعي أو المستوى العقلي والأخلاقي. بينما نجد أن المثل (الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة) يشنع على من تمتلك الجمال الجسدي على حساب العقل. ويعزو الباحثان تضارب الأمثال في معايير المفاضلة بين النساء، إلى نشوء الأمثال في بيئات فلسطينية متباينة ثقافياً، فينتشر مثلٌ معيّن في بيئة معينة، ولا ينتشر في بيئة أخرى، وقد تكون البيئتان في نفس المحافظة.

• الأمثال الشعبية الجزائرية المتعلقة بالوجه الحسن وبالمراة (منصفة / محقة):

- مَرَحَبًا بِجَهَنَّمَه عَلَى وَجْوهُ الْأَحْبَابِ.
- الْمَالُ وَالصُّغُرُ وَالزَّيْنُ فَايْدَة.
- وَرَيْنِي شُغْلُ يَدِيكَ مَا هُوَ شُغْلُ عَيْنِيكَ.
- زَرْقُ الْعَيْنَيْنِ خِدَاعُ الْمُؤْمِنِينَ.
- الزَّيْنُ يَرُوحُ وَيَبْقَاوْ أَمَا يَرُوحْ.
- إِلَيَّ يَعْشِقُ الْوَرْدُ يَصْبِرْ لِعَذَابِهِ.
- نُورَاة مِنْ زِبْلَة.
- لَا يَعْجَبُكَ نُورَاة الدِّفْلَة فِي الْوَادِ غَامِلْ ضَلَايِلْ، وَلَا يَعْجَبُكَ زَيْنُ الطُّفْلَة حَتَّى تُشَوِّفْ لِفَعَايِلْ.
- زَيْنُ سَاعَة.
- الزَّيْنُ بَلَا فَعَايِلْ يَخْزِي مَوْلَاؤُو.

- الحنة في يديها، والشوك في وذيها.
- رجليها محنية، ووذيها مطرية.
- الوجه يبرق والزفورة تطبق.
- إالي عندو الزهر، الرنح يخطبلو.
- إالي حب لمرأ على زينها طحان، وإالي حب لمرأ على مالها طماع.
- يأللي مزوق من برة واش حالك من داخل.
- زين الحنفوسة ثولي عروسة.
- إالي يتزوج لمرأ الصغيرة يحوز الخير والذخيرة.
- إالي عينية وخواجبو ملاح، باش فائوة لملاح؟.
- ما كحلش وكبي كحلت عمات.
- شكون شاف زينك يأللي مكحلة في الظلمة.
- إذا حيك القمر النجوم تباعة.
- الزين زين لفعائل.
- لمرأ إذا شينت الراجل شان، وإذا زيناثو زيان.
- إالي مرته شحيحة ورقعته صحيحة، يخرث عزلة تكفيه، وإالي مرته مصدعة ورقعته مقطعة يخرث بر رب العالمين ما تكفيه.
- إالي ما عندوا بنات ما عرفو حد باش مات.
- لمرأ الحفيفة طلقوها، ولمرأ الثقيلة عاوتوها.
- دار بلا مولاتها لخلأ ولا مباتها.
- في الوجه مرأيا وفي القفا سلايا.
- خوذ مرأ ونص يروح النص تبقى مرأ.
- تزوج بنت الأصول لا الزمان يدور.

- زَيْنُ الطُّفْلَةِ فِي بَيَاضِهَا وَرِيَاضِهَا، وَالْمَاعُونُ الْعَرِيَّانُ مَا يَلِمُ كَانَ الذِّبَانُ.
- إِلَيَّ فَاتِكَ بِالزَّيْنِ فُوْتُوْ بِالنَّظَافَةِ، وَإِلَيَّ فَاتِكَ بِالْفَهَامَةِ فُوْتُوْ بِالظَّرَافَةِ.
- الدُّنْيَا شُوْكَهَ وَالْمَرْأَةُ وَرْدُثُهَا.
- النِّسْبَةُ بِنْتُ مَنْ؟ وَالنِّسْبَةُ مِرَّةٌ مِنْ؟
- حَدِيثُ النِّسَاءِ يُونِسُ وَيُعَلِّمُ الْفَهَامَةَ.

ارتبط الشعب الجزائري بمنظومة من القيم الاجتماعية أضحت بفعل الممارسة والتوارث أعرافا اجتماعية تؤطر التقارب الاجتماعي، من بين تلك القيم التواصل الاجتماعي في المناسبات أو دونها، كالترحاب بالضيف وبذل الجهد في ذلك ولو بابتسامة فقل: قَابِلْنِي وَكُوْنْ سَهْمِي أي كن بشوشا معي حتى وإن أخذت نصيبي المهم البشاشة، أيضا المثل الشعبي: مِرْحَبًا بِجَهَنَّمِهِ عَلَى وَجْهِ الْأَحْبَابِ، لتأكيد على أن المحبة تفعل فعل البلسم الشافي تداوي الجروح وتريح من الأمراض والعلل، هنا المحبة بصيغة مطلقة فلا تقترن بشكل دون الآخر، بل المحبة بين الجميع، دون شرط أو قيد، ولنا في شخص الرسول الكريم أسوة حسنة فقد أكد على أن: الابتسامة في وجه أخيك صدقة، فممكن أن نتعرض لمواقف صعبة لأجل من نحب والمثل رسم صعوبة ذلك الموقف متمثلا في جهنامة، هي جهنم وبئس المصير، أعدها الله للظالمين، ولكن المثل الشعبي جعلها معادلا موضوعيا للتضحية في سبيل الأحباب، التضحية والإخلاص في المحبة قيم تربوية يجب أن يحرص الجميع على الالتزام بها.

ومن الأمثال التي تتشارك مع الأمثال السابقة نجد: إِلَيَّ حَبِ الْغَسْلِ يَصْنِرُ عَلَى قُرَيْصِ النَّحْلِ، ثم إِلَيَّ يَغْشِقُ الْوَرْدُ يَصْنِرُ لِعَذَابَةِ.

وبانتقالنا إلى محور الجمال (الزين) الحديث عنه يتشعب ويتمدد إلى كل المعارف والخبرات، فالجمال لا نستطيع اختصاره في كلمة أو جملة، إلا أننا يمكن أن تمثله في مخلوقات الله سبحانه وتعالى في الطبيعة والحيوان والإنسان والأفلاك السائرة و...إلى غير ذلك.

انصرفت الكثير من الأمثال الشعبية للتعبير عن الجمال ومدلولاته الإيجابية والسلبية وإيضاح معنى الجمال، نحو: لَا يَغْجِيكَ ثَوَارُ الدَّفْلَةِ فِي الْوَاذِ عَامِلِ ضَلَايِلِ، وَلَا يَغْجِيكَ زَيْنُ الطُّفْلَةِ حَتَّى تُشَوِّفَ لِفَعَالِ،

من خلال عملية إسقاط مدلولات لهذا المثل نجد له تمثلات عدة مع أحداث واقعية احتفظت بها الذاكرة الإنسانية رغم تعاقب الأزمان وتغير الأحوال، على اعتبار تجسيدها لقيم إنسانية، لكن صيغ تكرارها وحضورها مختلفة، والاستفادة منها أمر محتم، ومع المرويات الشفوية الشعبية نجد رسمًا لشخصية سعدى بنت الزناتي خليفة وهي امرأة بارعة الجمال يقول عنها عبد الحميد يونس في كتابه الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي «تدور حياتها كلها على خصلتين متداخلتين هما؛ الحسب والحيلة التي تبلغ درجة الكيد، فما أن شُغفت بمرعى حتى دفعها ذلك إلى القيام بكل عمل، والاستهانة بكل عُرفٍ، فاستغلت مكانتها من أبيها حتى دفعته إلى تبديل حكم بالإعدام على أبي زيد ورفاقه باعتبارهم جواسيس إلى السجن المؤبد، ثم استغلته ثانية حتى أفرج عن أبي زيد وهي تعلم مقامه وأن ادعت أنه عبد واتصلت بأعداء قومها الهلالية وفضت إليهم بما علمت من العرافين، من أن مصرع أبيها لن يكون إلا على يد دياب بن غانم وبصرتهم بنقط الضعف فيه، كما كانت تحث أباهما على منازلة دياب وهو يعلم أن مصرعه على يده» (يونس، 1995).

السؤال الذي يطرح نفسه بشدة هنا، ما العلاقة بين سعدى وهذا المثل؟

تظهر العلاقة في أن جمال سعدى لم تنكره الأخبار بل تناقلته باستمرار، والرباط هنا بين دلالة المثل وقصة سعدى، في أنها كانت نقمة على أبيها إذ اختارت عشيقها مرعي على أبيها السلطان فجنت الدمار، فقد قُتل والدها وسلب الحكم منها وأصبحت أسيرة لدى دياب، ولم تحصل على مرعي، فكيف يؤمن لمن خانت والدها وكانت سببا في ضياع الحكم؟، وفي النهاية تم قتلها على يدي دياب جزاء لها (فزاري، 2011).

بمعنى أن الجميع ينجذب نحو الأشياء الجميلة سواء كانت لنا أو لغيرنا، لذلك عقد قائل المثل مقارنة بين (نوار الدفلى) بمنظره البهي (داير ضلايل) وبين جمال وسحر الفتاة فالانسان يَسُرُّ الناظر إليهما، فكما يكون الشوك في الزهور أمرا متوقعا كذلك الفتاة؛ لا ينبغي إتباع بريق العين فيها دون بحث في المنشأ والسلوكات والأخلاق لأنها هي الأساس.

فكما يقول ديكارت "الحواس تخدعنا أحيانا"، لذا اعتبر المثل أن جمال وحسن المظهر أمر زائف يحيد بنا عن معرفة الحقائق؛ المرأة جميلة لكن الأجل الجوهر، وحكمه أساسه التجربة

فهي خير برهان، ويتضح أيضا في استخدامه صيغة الشرط؛ أي أن الإعجاب مقترن بالتصرفات والأخلاق، لا بالمظهر المخادع، فكما يُقال "ليس كل ما يلمع ذهباً"، فالجمال المتوج بالأخلاق لا يقارن بأي شيء، قيمته في ذاته بعيدا عن بهرجة العصر والأفكار الهدامة التي تجعل جمال المرأة في جسدها وتصبح سلعة خاضعة لقانون العرض والطلب، وهو ما رصدته بعض الأمثال الشعبية ومنها:

زَيْنُ الطُّفْلَةِ فِي بَيَاضِهَا وَرِيَاضِهَا؛ وَالْمَاعُونُ الْعَرِيَّانِ مَا يُلِمُّ كَانُ الذِّبَانِ.

زينة الفتاة في عفتها وأخلاقها لا بصورتها الخارجية، التي مهما أشاعت من حسن في الناظرين لن تخفي قبح سريرتها، إذن الفتاة الحسنة من دون أخلاق كالصحن المتروك في الهواء الطلق، يكون مرتعا لرجال أشباه الذباب يتغذون على القذارة - الجنس - في كل وقت. إضافة إلى أن العقل تاج فوق رأس المرأة، يزينها ويعلي من شأنها، وقد قيل في الأمثال بأسلوب ساخر وتهكمي في هذا السياق: الْقَدْرَةُ بِلَا بُصْلٍ كَيِّ لِمَرَاةٍ بِلَا عَقْلٍ، فعقل المرأة يُبَصِّرُها كنه الأشياء والحكم على الأمور، وهنا تتمثل شخصية الجازية الهلالية التي جمعت بين الجمال والدهاء، فلا نذكر سيرة بنو هلال دون ذكرها، وقد صيغت حولها القصص والأقاويل والأمثال الكثيرة في بيان جمالها ورجاحة عقلها، فقد كان لها مع أبناء قبيلتها ثلث المشورة، وما احتفظت به مدونات التراث الشعبي عنها أبيات شعرية احتالت بها لدخول تونس تقول:

ثَقُولُ جَزَاتِ النَّاسِ أَخْتُ أَبُو عَلِيٍّ الْيَامُ وَالِدِيَّا عَلِيَّيَا ثُدُوزُ
أَرْوَحُ إِلَى عِنْدِ ابْنِ دِرْغَامٍ عَامِرٍ وَأُخْذُ بَنَاتِ كَأَنَّهُنَّ بَدُوزُ
وَتُدْخِلُ عَلَيْهِ بِالْكَلَامِ مَعَ الْحَيْلِ وَتَنْظُرُ فِي مَنْ لَهُمْ وَقُصُوزُ

(يونس، 1995)

ونلفي مثلا آخر يتقاطع مع الدلالة السابقة وهو: الزَيْنُ زَيْنُ لِفَعَايِلَ، أيضا الزَيْنُ بِلَا فَعَايِلَ يَخْزِي مَوْلَاكُؤْ، فالجمال جمال الأخلاق والأدب، يقول أحد الشعراء:
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَتَبْلِيهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ

أيضا

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ

(www.thaqafaonline.com)

وقد بالغت الأمثال في وصف الجمال الزائف وتوجيه النقد إليه كما في هذا المثل:
زَيْنُ سَاعَةٍ، بمعنى هناك جمال ليس متأصلاً في صاحبه يذهب بمجرد مجالستنا له،
ولا يترك فينا أي أثر طيب، بل العكس نقول هو جميل لكن فعله قبيح أو مشين حسب
الموقف، ذلك الجمال السريع الزائف يُماثل شهوات الدنيا التي كالبرق الذي يضيء قليلاً
ويذهب وشيكاً.

أما إذا كان الجمال مقترنا بالأخلاق وصور النفس عن كل دنس، فقد يكتمل الوصف
شكلاً ومضموناً لذا ورد المثل الآتي: الزَيْنُ يَرُوحُ وَيَقَاوُ أَمَانِرُوهُ، بمعنى أن التقدم في العمر لا
ينفي الجمال بل العكس، فالْحُسْنُ ثابت فيه فكما يُقال أيضاً: لِمَلِيحٍ مَلِيحٌ وَلَوْ نَاضَ مِنْ
النُّومِ، وَالْخَائِبُ خَائِبٌ لَوْ يَدُوشُ كُلَّ يَوْمٍ.

ومن الأمثال الشعبية المتعلقة أيضاً بالجمال نجد: إِذَا حِيكَ الْقَمَرُ النُّجُومَ تَبَاعَهُ، عين
المُحِبِّ ترى ما لا يراه الآخرون، تُبصر مكامن الجمال والبهاء، فما بالك إذا أحبك القمر،
ستكون: النُّجُومُ تَبَاعَهُ، وهنا تتساقط كلمات نزار قباني تباعاً لتُعلن:

فَإِذَا وَقَفْتُ أَمَامَ حُسْنِكَ صَامِتًا

فَالصَّمْتُ فِي حَرَمِ الْجَمَالِ... جَمَالُ

كَلِمَاتُنَا فِي الْحُبِّ... تُقْتَلُ حُبًّا

إِنَّ الْحُرُوفَ تَمُوتُ حِينَ تُقَالُ (نزار، دت).

وهناك رباعية مشهورة تقول:

إِذَا حِيكَ الْقَمَرُ يَكْمَأَلُو أَشْنُ عِنْدِكَ فِي النُّجُومِ إِذَا مَالُوا

خِينِي غَابَ وَمَشَى عَلَيَا وَاليَوْمَ جَاوَقَالُولِي أَخْبَارِهِ

مَا صَبَبْتُ مَا نِعْطِيهِ هَدِيَّةَ غَيْرِ رُوحِي لِعَزِيْزَةِ عَلَيَا

الجدير بالذكر أن الحسن والبهاء غير مقترن بالمرأة، فالرجل منه نصيب محمود، ومشهود ودل على هذا القصص القرآني بخاصة مع نبي الله يوسف الذي كان جماله بداية الفتنة والغواية بالنسبة لامرأة العزيز؛ التي أُشْرِبَتْ في قلبها حبه، فسكن هواه في سويدائه، وهيامه في غلافه، فأصبحت تتحين الفرصة بين الفينة والأخرى، لَتُمَكِّنَ نفسها من ذاته، فقد كانت مصروعة بجماله وصفاء سيرته وأفعاله، ولم ينفعها معه أسلوب الإغراء والإغواء، دبرت له مكيدة ماهرة: لقد غَلَقَتْ الأبواب وانفردت به ودعته إلى الفاحشة النكراء بصريح العبارة قال تعالى ﴿وَرَوَدَتْهُ الْآتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَتْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ يوسف: ٢٣.

وبعد أن شاع خبر زليخة مع يوسف ولوم نسوة المدينة لها، ما كان منها إلا أن تُدبر مكيدة ضدهن، وقد عرضها الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠) ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١) ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيُجَنَّنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ يوسف: ٣٠-٣٢، نفهم من كل هذا إن كان الجمال مخصوصا في بنات حواء أو في بعض الرجال لا بد وأن يزين بالأخلاق والشرف، ما دون ذلك فهو زهو وغرور غير مشكور أو محمود.

وللنساء في الأمثال الشعبية نصيب كبير فيها المنصف وفيها المححف من ذلك: حديثُ النساءِ يونسُ ويعِلمُ الفَهَامَه، يُتداول بكثرة هذا المثل في الأوساط الشعبية بعد تزواجه رباعية من رباعيات الشاعر الشعبي المغربي عبد الرحمن المجذوب:

حَدِيثُ النِّسَاءِ يُونِسُ وَيَعْلِمُ الْفَهَامَةَ
يُنْدِرُونَا شَرَكَةَ مِنَ الرِّيحِ وَيَحْسِنُونَ لَكَ بِلَا مَاءٍ

(المجذوب، دت)

تنبجس الدلالة الاجتماعية والنفسية لهاته الرباعية والمثل الشعبي، في جعل كلام المرأة ملجأً للأنس والألفة وتفرغ مشاق اليوم الطويل، يجد فيه الرجل الراحة والمتعة، وهنا تتداعى

أخبار حكايات شهرزاد لشهريار التي طبقت الآفاق، فكانت ألف ليلة وليلة مادة حكاية على قدر كبير من الأهمية لمختلف أجناس الأدبين الشعبي والفصيح على مر الزمان، تصور فعل الخيانة؛ زوجة شهريار مع عبده وردة فعله بالانتقام من بنات حواء، بعد الزواج كل ليلة من فتاة يقضي معها ليلة ثم ينتهي الأمر عنده بقتلها، وتكون المفاجأة بأن تظهر شهرزاد كمنقذة لبنات جنسها من ظلم الملك شهريار وتحتال على الملك بتحفيز الحكيم والمسامرة.

فابتدأت تلك الليالي بحيلة بين شهرزاد وأختها دنيازاد، وكانت شهرزاد منذ ليلتها الأولى مع الملك شهريار، والتي عَبَّرَتْ بها على تواليها إلى بر الأمان، فكانت تفتح مجلس السهر والحكي مع الملك بمقولة بلغني أيها الملك السعيد والرأي الرشيد أنه...، ثم تضيف "إن ما سأحكيه أعجب مما حكيت" «تتوالد الحكايات وتتدفق فاعلة فعل السحر تارة، وفعل الدواء تارة أخرى، مخفية وراء قدرة مبدعة على تحريك الكلام، وتفجير طاقاته مما تزخر به ذاكرتها من معارف وعلوم مكتتها من صنع معرفة جديدة» (مسكين، 2012).

تروي شهرزاد في ألف ليلة وليلة أنواعاً شتى من القصص بأسلوب فريد وجميل لا ينتبه فيه الملك للوقت، إلى أن يدرك الصباح شهرزاد فتسكت عن الكلام المباح، كما أن شهريار يتعجب مما يمكن أن يكون أعجب مما سمع، ويدفعه الفضول إلى طلب السماع بسؤاله كيف كان ذلك؟ ليبقى الحكيم ما بقي العجب ولا يعني العجب هنا غير الشر (يقطين، 2006).

أليس هذا ما قامت به شهرزاد لتغير شهريار وتؤجل حكم الإعدام لتحصل على العفو؟ وتلك الحكايات تتقاطع مع سياقات إنسانية مختلفة، والمهم أن شهرزاد خرجت من دائرة الضعف إلى القوة بفضل الحيلة والعقل الراجح، فجسدت المرأة الذكية كما هو الحال في ما سردته من قصص وأخبار، ونوضح تقاطعات المرأة "شهرزاد" مع المرأة عند المثل الشعبي: تتشاكل شهرزاد مع المرأة في المراوغة، فتتخذان من الحديث المستملح والأكاذيب وسيلة لغاية في أنفسهن، والذهنية الشعبية تقول أن المرأة إذا أرادت أمراً لن يوقفها شيء.

ذلك التشاكل مستند لمجموع تداخلات بين المرأة وخاصية المراوغة، فالمرأة تستخدم كل الطرق للوصول لمبتغاه:

المرأة = وسيلة = غاية = المراوغة

المراوغة = وسيلة = وغاية = الخفاء

تختفي المرأة وراء حديثها لغايات ومقاصد أخرى، حسب رؤية عبد الرحمن المجذوب ورغم أنه يريد من وصف:

خَدِيثُ النِّسَاءِ يُوْنِسُنْ وَيَعْلِمُ الْفَهَامَةُ

الذم لصفات المرأة، ولكن يُستشف منه المدح بصيغة الذم، وهذا يزيد من رغبة المتلقي في التأويل، فحديث النساء للأنس والسهر، وكذلك يعلم "الفهامة" فيجمع بين المتعة والعقل، والمستمتع لذلك الحديث يريد منه الشاعر عدم الانقياد وراءه، إذ صوت المرأة يمتاز بالركة والتطريب فيتناسب مع ألوان الغناء والموسيقى، يأنس المستمع إليه حتى في وحشة الليل وسقم الجسم، لذلك اعتبر الشاعر صوتها نعمة ونقمة، يُقال في المثل الشعبي "اللِّسَانُ الْخُلُو يَرْضِيعُ اللَّبَّةُ" وأيضاً "اللِّسَانُ الْخُلُو يَخْرِجُ اللَّفْعَةَ مِنَ الْغَارِ" لذلك يعده البعض من أسلحتها القوية، ما يعني أن المثل يؤكد على طلب أخذ الحيلة والحذر أثناء التعامل مع بنات حواء، فمع ذلك الحديث الحلو محطة لإعمال العقل قبل الوقوع في الشرّك، خاصة أن عذوبة مجالسهن والاستماع إليهن تشبه:

يَدِيرُوا شِرْكَةَ مِنَ الرِّيحِ وَيَحْسِنُوا لَكَ بِلَا مَاءٍ

وهذا القول فيه إشارة إلى الخديعة والانخداع، وذلك بتمكن حواء من وضع خطة ونصب شباكها ليقع فيها من ضاع منه رشده، وغلب هواه عقله.

فهي - حواء - كما يقول الشاعر تصنع عقداً من الريح فكيف يكون لها ذلك؟ وتخلق

له شعره دون ماء بمعنى شدة تمكّنها رغم اختلاف طبيعتها الفيزيولوجية مع الرجل.

والمرأة هي نصف المجتمع وعصب الحياة فيه، وإن كانت بعض الأمثال الشعبية الجزائرية

تخط من قيمتها وتنظر إليها نظرة دونية، فهذا يقتصر على الجزء دون الكل لأنه مثلما يقول

المثل الشعبي: كَايْنُ الصَّالِحِ وَكَايْنُ الطَّالِحِ، فمن الأمثال المعلىة لشأن المرأة نجد:

دَارْ بِلَا مُوْلَانْهَا لِحَلَا وَلَا مَبَاثِهَا، الدُّنْيَا شُوْكَةُ الْمَرْأَةِ وَرَدِثُهَا، هذه الأمثلة وغيرها التي

تسير في سياق إيجابي، تريد أن تبث في أفراد المجتمع رسائل مفيدة عن المرأة ومكانتها المرموقة

في الأسرة والمجتمع ككل، فالتركيز على محور المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية مقتطع من

سياقات اجتماعية ودينية وتراثية إلى غيرها من السياقات، فمنذ القدم كانت المرأة مركزاً للسلطة والقوة، فمثلاً «المصريون عبدوا إيزيس بوصفها الأم والمبدأ الأنثوي الفعال، وانتشرت عبادتها من بعد ذلك في الممالك اليونانية» (جودي نصر، 1982).

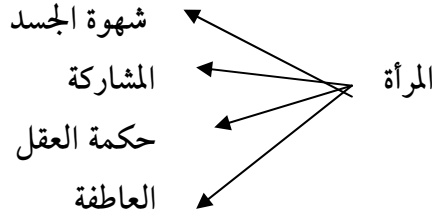
لقد بدأت كافة الديانات القديمة بتقديس الإلهة الأنثى التي تمد الإله الذكر بالحكمة الأصلية، فالإله زيوس عند اليونانيين إله الحكمة كان يستمدّها من زوجته ميتس، كما تقر بعض الدراسات الحديثة على أن كلمة في فيلوصفيا المشيرة للفلسفة، بدايتها مع الإلهة صوفيا إلهة الحكمة والتي يجسدها تمثالها على شكل امرأة جالسة وعلى رأسها تاج على هيئة ثلاثة رؤوس أنثوية، وحوّلها الفنانون والأدباء والفلاسفة يستمدون الحكمة، وفي بلاد الرافدين كانت الأجرام السماوية كالشمس والقمر في دورتهما الطبيعيتين تتجسّدان في "عشتار" رمز الخصب والنماء (شومان، 2011).

وأخذت المرأة احترامها اللازم مع الدين الإسلامي وما فيه من أحكام وقواعد تضبط حقوق وواجبات المرأة، يقول العلي القدير في كتابه العزيز: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢٠-٢١)، ويقول أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، إلى غيرها من الآيات الدالة على مكانة المرأة الخاصة في الإسلام.

ولأن المثل الشعبي كبقية الفنون الأدبية الشعبية الأخرى يستقي موضوعاته من أديم البيئة، فلا بد أن نجد ترسبات إنسانية مختلفة داخل نصوصه، فالأمثلة السابقة:

- دَارْ بَلَا مُوْلَاهَا لِخَلَا وَلَا مَبَاهَا.
- الدُّنْيَا شَوْكَةٌ وَالْمَرْأَةُ وَرْدِيهَا.

تري المرأة مصدر جذب للسعادة الأسرية، فإن أي منزل من دون بنات حواء يكون بلا عنوان، فهو يشبه المنزل المهجور تسكنه الأشباح والأطياف، تخلو منه أشكال الراحة والألفة، لذا تركه أفضل حل؛ **لِخَلَا وَلَا مَبَائِهَا** أي أن الخراب معادل موضوعي لفقد تواجد المرأة بالبيت، ووجودها في الدنيا يزينها ويجعل على هذه الأرض ما يستحق العيش:



خلاصة القول:

إن الأمثال قد تكون إيجابية في حثها على القيم الإيجابية البناءة للمجتمع، وقد تكون سلبية في تركيزها على بناء قيم هدامة وتؤدي إلى تأخر المجتمع. وقد يجد القارئ بعض الأمثال المتناقضة مع مضامين الدين الإسلامي الحنيف، بينما نجد أمثال أخرى تتفق معه، وبعضها الآخر يساعد على تثبيت الهوية الوطنية من خلال حثها على التمسك بالأرض الفلسطينية التي تتعرض يومياً للمصادرة، واعتبارها الأرض مكافئة للعرض، وحثها على خدمة الأرض وإصلاحها وزراعتها... فبمقدار خدمة الإنسان لها تخدمه.

والمتدبر للأمثال المتضمنة في عينة الدراسة، يجد أنها تحث على تمثّل بعض القيم الإيجابية والمثل التربوية، ومنها:

- 1) ضرورة الاهتمام بمصادر المياه، واعتبار الماء سلعة استراتيجية للوطن وللبيئات المحلية، في ظل هجمة صهيونية شرسة للاستيلاء على مصادر المياه الفلسطينية.
- 2) الماء عنصر هام في الحياة، وعناصر الطاقة الحيوية ويمكن تفعيله ليشكل أساساً مهماً للطاقة والتنمية المستدامة.
- 3) من سمات الإنسان الفاضل: الصدق قولاً ووعداً، وأن يكون كريماً ومبتعداً عن البخل والشح، فلا يكون كمن يرسل شخصاً للبحر ويرجعه عطشاناً.

- 4) من سمات الإنسان الفاضل: الصدق قولاً ووعداً، وأن يكون كريماً ومبتعداً عن البخل والشح، فلا يكون كمن يرسل شخصاً للبحر ويرجعه عطشاناً.
- 5) الابتعاد عن إثارة الخلافات بين الناس، مع ضرورة التمسك بالقيم الدينية والوطنية، التي تحجز للإنسان محلاً محترماً في المجتمع.
- 4) على الإنسان أن يشكر من يقدم له معروفاً، ولا ينكر الجميل.
- 5) ضرورة اعتماد المحكّات الإنسانية والمضامين الجوهرية عند اختيار المرأة للزواج، كالعقل والعلم والذكاء والطلاقة اللغوية والدين، وتجنب الاقتصار على جمال الوجه، وطول القامة، إلا إذا اجتمعت هذه المحكّات في امرأة واحدة، حينها نحمد الله سبحانه وتعالى، ونكرر المثل (الخير خيرين)، أي أن الخير أصبح مزدوجاً ومضاعفاً.

التوصيات

- يوصي أصحاب البحث بما يأتي:
- أولاً: تضمين الأمثال في المناهج المدرسية والجامعية، لما لها من دور كبير في تحفيز خيال الطلبة، وتطوير لغتهم اليومية.
- ثانياً: إجراء دراسات أخرى حول الدلالة التربوية لأمثال أخرى متداولة على السنة العامة، أو موثقة في الكتب والموسوعات المتخصصة في الموضوع.
- ثالثاً: تشجيع الطلبة في المدارس والجامعات على دراسة الموروث الشعبي من الأمثال، من خلال تكليفهم بإجراء أبحاث وتقارير وإلقائها خلال المحاضرات والإذاعات المدرسية.
- رابعاً: على أصحاب القرار اتخاذ خطوات إيجابية في رسم السياسة العامة وتنفيذ الخطط المستقبلية، لتحقيق التكيف الفكري لشخصية الفلسطيني، وتلبية احتياجاته ضمن الواقع الذي يعيش فيه، عبر فهمه للمعاني العملية المكثفة والمختزنة في الأمثال الشعبية.
- خامساً: إشراك أصحاب التخصص الشعبي مع هواة جمع الأمثال الشعبية، والقيام بدراسات مشتركة قصد تحصيل أكبر قدر من الفائدة.

سادسا: تقديم حصص إذاعية وتلفزيونية قارة تعنى بالأمثال الشعبية وأبعادها التربوية.
سابعا: استغلال مواقع التواصل الاجتماعي لتقديم الأمثال الشعبية واستخلاص مضامينها الإنسانية على نطاق أوسع جماهيريا.
ثامنا: جمع أكبر قدر ممكن من الأمثال الشعبية العربية، ومقاربتها وفق المناهج النقدية المعاصرة أو الأنثروبولوجية.

مقترحات تربوية للمدرسة الفلسطينية

يشكل التراث مكوناً مهماً من مكونات المجتمع، ويمثل تراكماً تاريخياً له، وتعنى دراسة التراث بالتركيز على عادات وقيم وفنون وثقافة المجتمع. وقد حرصت كثير من الدول المتقدمة مدنياً على إحداث نقلة تكنولوجية متقدمة دون المساس بتراثها، أي أنها قامت بالمزوجة بين أصالتها والتطورات المعاصرة ونجحت في ذلك إلى حد كبير، كما حدث في اليابان والصين سابقاً، وتركيا وماليزيا هذه الأيام.

والفلسطينيون اليوم بأمر الحاجة إلى المحافظة على تراثهم والاستفادة من إيجابياته، والولوج في باب المعاصرة والتحديث في الوقت نفسه، والمؤسسة التربوية تمثل ذلك الباب، إذ يتم البدء من المدرسة، تلك المؤسسة التربوية التي يبدأ فيها أطفالنا حياتهم التعليمية والتربوية. ورأى الباحثان أن يضعا مجموعة من المقترحات بين أيدي المسؤولين التربويين الفلسطينيين ومديري المدارس، والتي قد تسهم في انخراط المدرسة مباشرة على رأس الجهود التي تسعى للمحافظة على التراث، وتنقيته، والاستفادة من إيجابياته.

أ- تكليف طلبة المدارس بإجراء دراسات حول التراث الشعبي الفلسطيني بأشكاله كافة، على أن تتضمن مقارنات مع التراث اليهودي، بهدف دحض الادعاءات الإسرائيلية القائمة على مزاعم ملكية بعض أشكال التراث الفلسطيني وتهويدها تحت سمع وبصر العالم، وكذلك إجراء دراسات تحليلية للأمثال الفلسطينية والعربية.

ب- تشجيع الطلبة على فهم وحفظ الأمثال العربية والفلسطينية خاصة، واستخدامها في خضم الحياة اليومية، مما يكسب الطلبة فهماً وفصاحة وتشبيهات مميزة، مما قد يؤدي إلى تثبيتها في أذهانهم وتسهيل نقلها للأجيال التالية.

ت - كتابة بعض الأمثال ذات المدلولات الإيجابية على جدران المدرسة أو على لوحات خاصة، لتبقى تحت بصر الطلبة، بهدف ترسيخها في عقولهم واستخدامها عند اللزوم.

ث - نشر ثقافة المحافظة على التراث الشعبي الإيجابي من خلال مجلات الحائط والمطويات والإذاعة المدرسية.

ج - اعتماد موضوعات التراث الشعبي ومنها القصص الشعبي في المناهج المدرسية، ضمن مواد اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، وتكليف الطلبة على شكل مجموعات بالقيام بمشاريع بحثية يُرصد لها درجات معينة، بهدف مشاركة جميع الطلبة في العمل الجماعي، وضمان اهتمامهم الجدي بالموضوع.

ح - تثقيف الطلبة في مجال عدم الإسراف في استهلاك المياه، والتركيز على دعوة الإسلام للمحافظة على الماء، كما قال الرسول -عليه السلام-: "كلوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة" رواه النسائي وابن ماجه. وكما نهى عن الإسراف في ماء الوضوء حتى لو كان الإنسان على نهر جارٍ، وغير ذلك من النصوص الشرعية والأدبية. كذلك إرشاد الطلبة إلى متابعة التسريبات المائية بمنازلهم وإجراء الصيانة اللازمة، واستخدام أدوات الترشيح المائي.

خ - إشراك الطلبة في أعمال تطوعية لزراعة الأراضي الخاصة والعامة، بهدف المساهمة في حماية الأرض الفلسطينية من سرطان الاستيطان، وغرس حب الأرض في قلوبهم، وترسيخ انتمائهم لأرض فلسطين المقدسة، وتعويدهم على العمل اليدوي خاصة ما يكون في الأرض.

ملحق (عينه الأمثال) الفلسطينية:

أولا: الأمثال المتعلقة بالماء:

(1) تاجر المية مش خسران.

(2) وداه على البحر ورجعه عطشان.

(3) بتصيد في المية العكرة .

(4) بنشرب مع المية العكرة .

(5) عطشان وحامل المية على ظهره .

(6) البير اللي تشرب منه لا ترمي فيه حجر .

(7) المية ما بتمر من عطشان .

ثانيا: الأمثال المتعلقة بالأرض والنباتات:

(8) الأرض بتنقاس بالشبر .

(9) الأرض ما تخبر عن اللي في بطنها .

(10) اتعب على أرضك بتتعب عليك .

(11) الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها .

(12) اللي ما له أرض ما له عرض .

(13) الأرض للي بيزرع ويفلح ويقلع .

(14) إن جار عليك الزمن جور على الأرض .

(15) لأجل الورد يشرب العليق .

(16) الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة .

ثالثا: الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين):

(17) ما زين إلا زين العين .

(18) لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة بتيجي الحصيد وبتشوف فعلتها .

(19) العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينة .

(20) اللي ما بتزينهاش زنودها، ما بتزينهاش خدودها .

(21) يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان .

(22) زوّق الصوصة تصير عروسة .

ملحق عينة الأمثال الشعبية الجزائرية:

• الأمثال المتعلقة بالماء:

- مِنْ قُطْرَةٍ لِقُطْرَةٍ يَتَحِمَّلُوا الْوَيْدَانَ.
- الْمَاءُ تَحْتُنَّا يَا رَجَالَ.
- الْبَحْرُ يَحِبُّ الزِّيَادَةَ.
- مَا يَبْقَى فِي الْوَادِ غَيْرُ حَجَارُو.
- دَيْرُ الْخَيْرِ وَارْمِيهِ فِي الْبَحْرِ.
- جَرَى الْمَاءُ فِي الدَّقِيقِ.
- الْجُرَّانَةُ هَرَبَتْ مِنْ الْمَطَرِ جَاءَتْ فِي قَاعِ الْبَيْرِ.
- حَدِّثُوا يَرْجِعْكَ الْمَاءُ يَسِيلُ فِي الْعَقْبَةِ.
- إِذَا سَقَاهَا نَيْسَانُ يَرُوحُ الْعَامُ بِلَا تَقْصَانِ.
- إِذَا مَطَرَتْ فِي يَبْرِيزْ تَسِيلُ فِي قَاعِ الْبَيْرِ.
- اسْقِي مِنْ رَأْسِ الْعَيْنِ.
- بَابَا حَادِقْ وَيْمَا أَحْدَقْ مِنْو، هُوَ يَقْيِسْ بِالْعُودِ، وَهِيَ تَزِيدُ الْمَاءَ وَتَنْقِصُ مِنْو.
- الْبَحْرُ وَيَحْتَاجُ.
- بَقَالُوا الْمَاءَ يَحْمَى.
- دَخَلُوا الْمَاءَ لِلصَّبَاطِ.
- شَارِي الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ.
- لَوْ كَانَ مَا قِلْتِ الْبَصْرَ مَا لَغْنِمَ فِي الْبَحْرِ.
- مَا عِنْدُو مَا يَحِطُ فِي الْمَاءِ.
- الْمَاءُ مَا يَسِيلُشْ مِنْ صَبَاغُو.
- الْعَجُوزَةُ الْمَاءَ مَا دِيهَا وَهِيَ تَقُولُ مَحْلَى هَذَا الْبِرُودَةِ.

- المَاء مَادِينَة وَالنِّعْنَاعُ فِي وَدِينَة.
- اِمْمَخَضُ الْمَاءِ تَلْقَى الرِّغْوَة.
- الأمثال المتعلقة بالأرض وعناصرها:
 - الْقِمَحُ يَا كَيْلَة وَالشَّعِيرُ لَا تُسَالُ عَلَيْهِ.
 - الصَّخْرَاءُ عَزَّارَة وَالتِّلْ حُسُوم.
 - فِي فَرَارٍ تَتَلَقَّحُ الشَّجَارُ، وَتَتَزَاجُ الطَّيَارُ، وَتُظْهِرُ الْحَيْلَة مِنْ لِعِشَار.
 - يَخْلِفُ رَبِّي عَلَى الشَّجَرَة، وَمَا يَخْلِفُشْ عَلَى قِصَاصِهَا.
 - إِذَا رَعِدَتْ فِي فَرَارٍ هِيَ لِمَطَارِقٍ لِلصَّغَار.
 - مَا كَانَ شَجَرَة إِلَّا وَهَزَهَا الرِّيح.
 - قَالَهُمْ فَرَارٍ: إِذَا لَقِيتَهَا غَبَارٌ نَقَلَبَهَا نُوَارٌ، وَإِذَا لَقِيتَهَا نُوَارٌ نَقَلَبَهُ غَبَار.
 - الطُّوْلُ لِلشَّجَرِ، وَالْعِلْظُ لِلْبَقَرِ، وَالْعَقْلُ لِلْبَشَر.
 - يَوْمَ عَمِي فَرَارٍ بُوَسْبَعِ تَقْلِيلِيَّاتٍ فِي النَّهَار.
 - يَبْرِيرُ يَجِدُهَا مِنْ قَاعِ الْبَيْرِ، وَلَا يَنْسِفُ عَلَيْهَا تُطِيرُ.
 - يَذُوبُ الثَّلْجُ وَيَبَانُ الْوَسْبَخ.
 - لَيْلُ اللَّيَالِي لِيَلْتَيْنِ، وَاللَّيْ مَا يَتَغَطَّاشُ يَنْوُضُ خَيْر.
 - فِي يَبْرِيرِ خَيْطُ مَا تُنَحِيه، وَفِي مَايِ الْبَسِ إِلَيَّ تَبْغِيه.
 - مَارَسْ أَوْلُو يَهْرِي لِبَرَانَسْ، وَأَخْرُو يَخْلِي اللَّيْنُ قَارِص.
 - وَطَنِي وَطَنِي خَيْرٌ مِنَ الْخَرِيرِ وَالْقُطْنِي.
 - مَطْرَة خَفِيفَة فِي أَفْرِيلٍ تُشْبِعُ الْأَرْض.
 - اللَّيْ يَنْبِعُ الْأَرْضُ يَنْبِعُ الْعَرَض.

• الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن وبالمراة (منصفة / مجحفة):

- مِرْحَبًا بِجَهَنَّمَ عَلَى وَجْهِ الْأَحْبَابِ.
- الْمَالُ وَالصَّغَرُ وَالزَّيْنُ فَائِدَةٌ.
- وَرَيْنِي شُغْلُ يَدَيْكَ مَا هُوَ شُغْلُ عَيْنَيْكَ.
- زَرْقُ الْعَيْنَيْنِ خِدَاعُ الْمُؤْمِنِينَ.
- الزَّيْنُ يَرُوحُ وَيَبْقَاوْ أَمَايُرُو.
- إِلَيَّ يَعْشِقُ الْوَرْدُ يَصْبِرُ لِعَذَابِهِ.
- ثَوَارَةٌ مِنْ زِبْلَةٍ.
- لَا يَعْجَبُكَ ثَوَارُ الدَّفْلَةِ فِي الثَّوَادِ عَامِلُ ضَلَالِيلَ، وَلَا يَعْجَبُكَ زَيْنُ الطُّفْلَةِ حَتَّى تُشُوفَ لِفَعَايِلَ.
- زَيْنُ سَاعَةٍ.
- الزَّيْنُ بَلَا فَعَايِلَ يَخْزِي مُوَلَاثُو.
- الْحِنَّةُ فِي يَدَيْهَا، وَالشُّوكُ فِي وَدْنِهَا.
- رَجْلِيهَا مُحَنَّةٌ، وَوَدْنِهَا مُطَرَّةٌ.
- الْوَجْهُ يَبْرِقُ وَالزَّفُورَةُ تَطْبِقُ.
- إِلَيَّ عِنْدُو الزَّهْرُ، الرِّيحُ يَحْطَبُلُو.
- يَا لَيْلِي مَزُوقٌ مِنْ بَرَّةٍ وَأَشْ حَالِكٌ مِنْ دَاخِلِ.
- زَيْنُ الْحِنْفُوسَةِ ثَوْلِي عَرُوسَةٍ.
- إِلَيَّ يَتَزَوَّجُ لِمَرَا الصَّغِيرَةِ يُحَوِّزُ الْخَيْرَ وَالذَّخِيرَةَ.
- إِلَيَّ عَيْنِيَّةٌ وَخَوَاجِبُو مَلَاخَ، بَاشْ فَائِثَةٌ لِمَلَاخَ؟.
- مَا كِحْلُشْ وَكِي كِحَلَّتْ عَمَّاتُ.
- شَكُونُ شَافْ زَيْنِكَ يَا لَيْلِي مَكِحْلَةٍ فِي الظِّلْمَةِ.

- إذا حيك القمر النجوم تباعة.
- الزين زين لفعائل.
- لمرّا إذا شينت الراجل شان، وإذا زيناثو زيان.
- إليلي مرته شحيحه ورقعته صحيحه، يحرث عزلة تكفيه، وإليلي مرته مصدعه ورقعته مقطعه يحرث بر رب العالمين ما تكفيه.
- إيلا حلفوا فيك الرجال إساها، وإيلا حلفو فيك النساء إسنّاها.
- النساء هم لا يتنسى.
- إليلي ما عندوا بنات ما عرفو حد باش مات.
- لمرّا الخفيفة طلقوها، ولمرّا الثقيلة عاونوها.
- دار بلا مولاتها لخلّا ولا مبائها.
- في الوجه مرّايا وفي القفا سلايا.
- خوذ مرّا ونص يروح النص تبقى مرّا.
- تزوج بنت الأصول لا الزمان يدور.
- زين الطفلة في بياضها ورياضها، والماعون العريان ما يلم كان الذبان.
- إيلي فاتك بالزين فوئو بالنظافة، وإيلي فاتك بالفهامه فوئو بالظرافة.
- الدنيا شوكة والمرأة وردتها.
- النسبة بنت من؟ والليسة مرّة من؟
- حديث النساء يونس ويعلم الفهامه.
- لمليخ مليخ ولو ناض من النوم، وإلخايب إلخايب لو يدوش كل يوم.

المعجم اللغوي للأمثال الشعبية الجزائرية المستشهد بها في المتن :

الجُرَّانَة هَرَبَتْ مِنْ الْمَطَرِ جَاتْ فِي قَاعِ الْبَيْرِ.	الجُرَّانَة: الضفدع	جَاتْ فِي قَاعِ الْبَيْرِ: صارت في قعر البئر
حَدِّثُو يَرْجِعْ لِكُ الْمَاءِ يَسْبِلْ فِي الْعَقْبَةِ.	يَرْجِعْ لِكُ: يجعل لك	الْعَقْبَةُ: المكان المرتفع
إِذَا مَطَرَتْ فِي يَرْبِرْ تَسْبِلْ فِي قَاعِ الْبَيْرِ.	يَرْبِرْ: شهر أفريل	تَسْبِلْ فِي قَاعِ الْبَيْرِ: ينمو الزرع ولو في قعر البئر.
بُقَالُو الْمَاءِ يَحْمَى.	يَحْمَى: يغلي	دلالة على فوات الآوان
يَخْلِفْ رَبِّي عَلَى الشَّجَرَةِ، وَمَا يَخْلِفْشْ عَلَى قِصَاصْهَا	يَخْلِفْ: يعوض	قِصَاصْهَا: من قام بقطعها
إِذَا رَعِدَتْ فِي فَرَارْ هِي لِمَطَارِقِ لِلْصَّغَارِ	إِذَا رَعِدَتْ فِي فَرَارْ: إذا كان الرعد في شهر فيفري	هي لِمَطَارِقِ لِلْصَّغَارِ: الجميع سينشغل بالزراعة
يَوْمَ عَمِي فَرَارْ بُوْسَبِغْ تَقْلِيَّاتِ فِي النَّهَارِ	فَرَارْ: فيفري	بُوْسَبِغْ تَقْلِيَّاتِ فِي النَّهَارِ: بُوْسَبِغْ: سبعة، بمعنى يتقلب الجو فيه كثيرا
لَيْلُ اللَّيَالِي لَيْلَتَيْنِ، وَاللَّيْ مَا يَتَغَطَّاشْ يَنْوُضْ خَيْرْ.	لَيْلُ اللَّيَالِي لَيْلَتَيْنِ: دلالة على ليالي الشتاء الطويلة	إِذَا لَمْ يَجِدِ اللَّحَافَ الْمَتِينَ فَلْيَنْهَضْ مِنْ نَوْمِهِ أَفْضَلَ لَهُ.
فِي فَرَارْ تَتَلَقَّحْ الشَّجَارْ، وَتَتَزَاوِجْ الطَّيَّارْ، وَتُظْهِرُ الْحَايِلَةَ مِنْ لِعْشَارْ	فِي فَرَارْ تَتَلَقَّحْ الشَّجَارْ: فيفري يتلقح الشجر، وتزواج الطيَّار: يتم تزاوج الطيور	وَتُظْهِرُ الْحَايِلَةَ مِنْ لِعْشَارْ: الحاييلة ليس في بطنها جنين، ولِعْشَارْ: الناقة التي تلد بعد عشرة أشهر
مِرْحَبَا بَجَهَنَّمَ عَلَى وَجْوهِ الْأَحْبَابِ.	جَهَنَّمَ: جهنم	دلالة عن التضحية في سبيل من نحب والتحمل لأجل هواهم
نُورَة مِنْ زَبْلَة	نُورَة: الزهور المفرد: زهرة	زَبْلَة: الأوساخ
لَا يَعْجَبُكَ نُورَارُ الدِّفْلَةِ فِي الْوَادِ عَامِلْ ضَلَّالِيلْ	نُورَارُ الدِّفْلَةِ: نوع من النباتات المزهرة المتميزة بجمالها	عَامِلْ ضَلَّالِيلْ: أي كثر الأوراق والأغصان

الأمثال الشعبية الفلسطينية أمثالنا بتحكي عن أحوالنا

رَجْلِيهَا مُحَنِيَّةٌ، وَوَدِينَهَا مُطْرِيَّةٌ	رَجْلِيهَا مُحَنِيَّةٌ: تضع الحناء على رجليها للزينة	وَوَدِينَهَا مُطْرِيَّةٌ: وأذنيها متسخة
إِلَّيَّ عِنْدُو الزَّهْرُ، الرِّيحُ يَحْطَبُلُو.	إِلَّيَّ عِنْدُو الزَّهْرُ: من لديه حظ	الرِّيحُ يَحْطَبُلُو: سيجد من يشتغل بدلا عنه لشدة حظه.
الْوَجْهُ يَبْرِقُ وَالزَّفُورَةُ تَطْبِقُ	الْوَجْهُ يَبْرِقُ: دلالة على شدة البياض والصفاء	وَالزَّفُورَةُ تَطْبِقُ: الرائحة تنته
يَا لَلِّي مُزَوِّقٌ مِّنْ بَرَّةٍ وَاشْ حَالِكٌ مِّنْ دَاخِلْ؟	مُزَوِّقٌ مِّنْ بَرَّةٍ: مزين من الخارج	وَاشْ حَالِكٌ مِّنْ دَاخِلْ: ما شكلك من الداخل؟
زَيْنُ الْخِنْفُوسَةِ ثُولِي عُرُوسَةٍ.	زَيْنُ الْخِنْفُوسَةِ: الخنفوسة حشرة صغيرة قبيحة الشكل	ثُولِي عُرُوسَةٍ: تصبغ عروسا جميلة
إِلَّيَّ يَتَزَوِّجُ لِمَرَا الصَّغِيرَةِ يَحْوِزُ الْخَيْرَ وَالذَّخِيرَةَ	إِلَّيَّ يَتَزَوِّجُ لِمَرَا الصَّغِيرَةِ: من يتزوج المرأة صغيرة السن	يَحْوِزُ الْخَيْرَ وَالذَّخِيرَةَ: يجني الخير الوفير
مَا كِحَلِّشْشَ وَكِي كِحَلَّتْ عُمَاتُ!	مَا كِحَلِّشْشَ: لم تضع الكحل في عينيها	وَكِي كِحَلَّتْ عُمَاتُ: عندما وضعت الكحل في عينيها أصيبت بالعمى
شَكُونُ شَافْ زَيْنِكَ يَا لَلِّي مَكِحَلَّةٌ فِي الظُّلْمَةِ؟	شَكُونُ شَافْ زَيْنِكَ: من رأى جمالك وحسنك؟	يَا لَلِّي مَكِحَلَّةٌ فِي الظُّلْمَةِ: قامت يوضع الكحل في الظلام!!!
إِلَّيَّ مَرَّتْهُ شَحِيحَه وَرَفَعْتَه صَحِيحَه، يَحْرَثُ عِزْلَةَ تَكْفِيَه، وَإِلَّيَّ مَرَّتْهُ مُصَدَعَه وَرَفَعْتَه مَقْطَعَه يَحْرَثُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ مَا تَكْفِيَه.	إِلَّيَّ مَرَّتْهُ شَحِيحَه وَرَفَعْتَه صَحِيحَه: من كانت زوجته غير مسرفة، ويملك -يَحْرَثُ عِزْلَةَ تَكْفِيَه: يحرق قطعة أرض صغيرة تغنيه عن الفقر	-وَاللِّي مَرَّتْهُ مُصَدَعَه وَرَفَعْتَه مَقْطَعَه: من له زوجة مبذرة مسرفة ولا يحسن معها تدبير الأمور، -يَحْرَثُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ: يحرق كل أراضي الكرة الأرضية لن تكفيه.
زَيْنُ الطُّفْلَةِ فِي بَيَاضِهَا وَرِيَاضِهَا، وَالْمَاعُونُ الْعَرِيَانُ مَا يَلِمُ كَانَ الذِّبَانُ	بَيَاضِهَا وَرِيَاضِهَا: حُسْنُهَا وَأَخْلَاقُهَا	وَالْمَاعُونُ الْعَرِيَانُ: الصحن دون غطاء يكثر فيه الذباب

إِلَيَّ فَاتِكْ بِالزَيْنِ فُوْتُوْ بِالنَّظَافَةِ، وإِلَيَّ فَاتِكْ بِالْفَهَامَةِ فُوْتُوْ بِالظَّرَافَةِ	إِلَيَّ فَاتِكْ بِالزَيْنِ فُوْتُوْ بِالنَّظَافَةِ: من تفوق عليك بالنظافة	وإِلَيَّ فَاتِكْ بِالْفَهَامَةِ فُوْتُوْ بِالظَّرَافَةِ: من تفوق عليك بالفطنة أنت عليه باللباقة
النِّسْبَةُ بِنْتُ مَنْ؟ وَاللِّبْسَةُ مِرَّةُ مَنْ؟ مِنْ؟ تكون هذه المرأة	النِّسْبَةُ بِنْتُ مَنْ؟ ابنت من تكون هذه المرأة	وَاللِّبْسَةُ مِرَّةُ مَنْ؟ اللباس يدل على أنها زوجة فلان
فِي الْوُجْهِ مَرَايَا وَفِي الْقَفَا سَلَايَا	فِي الْوُجْهِ مَرَايَا: في وجهك يُبدى لك صفاء	وَفِي الْقَفَا سَلَايَا: من وراء ظهرك يُخفي مقصدا (دلالة عن الخبث والخذاع)
النِّسَاءُ هَمٌّ لَا يَتَنَسَى.	النِّسَاءُ هَمٌّ: النساء غم ونكد	لَا يَتَنَسَى: لا يمكن نسيان همهن
لِمَرَا إِذَا شَيَّيْتُ الرَّاجِلْ شَانْ، وإِذَا زَيْنَاوْ زَيَانْ. المرأة إذا أرادت جعل زوجها حزينا كئيبا كان لها ذلك	لِمَرَا إِذَا شَيَّيْتُ الرَّاجِلْ شَانْ: المرأة إذا أرادت جعل زوجها حزينا كئيبا كان لها ذلك	وإِذَا زَيْنَاوْ زَيَانْ: المرأة إذا أردت إصلاح حال زوجها تفنتت في ذلك
اللسانُ الحَلُو يَرْضَعُ اللبَّة	اللسانُ الحَلُو: صاحب اللسان اللبق	يَرْضَعُ اللبَّة: بمعنى يرضع اللبوة لشدة لباقة.

المراجع

* القرآن الكريم:

- إبراهيم، زهير (2013). أدب الأمثال الشعبية في المأكولات النابلسية، دراسة مقدمة إلى المؤتمر الرابع للتراث الشعبي الفلسطيني في محافظة نابلس: هوية وانتماء ، نابلس ، جامعة القدس المفتوحة ، 26 / 3 / 2013م.
- إبراهيم، نبيلة (1974). أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط2، القاهرة: دار نهضة مصر.
- الأسترا باذي، رضي الدين (1275-1859). شرح الكافية، الأستانة.
- ابن عبد ربه الأندلسي، (1402-1982). أبو عمر أحمد بن محمد. العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان.
- ابن منظور: لسان (1414هـ - 1999م) جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان.
- أبو زر، ماهر فؤاد (2004). أخطاء عقائدية في الأمثال والتراكيب والعادات الشعبية الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.
- أبو سويلم، أنور (1987)، المطر في الشعر الجاهلي، عمان: دار عمار.
- الأشهب، رشدي (2000). حكايات شعبية من القدس.
- إبراهيم ، نبيلة (دون تاريخ)، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مصر: دار النهضة.
- أنس الوجود، ثناء (2000)، رمز الماء في الأدب الجاهلي، مصر: دار قباء للطباعة والنشر.
- باز، بطرس (بدون تاريخ). جواهر الحكم، عمان: المطبعة الاقتصادية.
- باشلار، غاستون (2007)، الماء والأحلام، ترجمة على نجيب إبراهيم، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
- البرغوثي ، عبد اللطيف (. 1987-1993-1998) القاموس العربي الشعبي الفلسطيني ، الجزء الأول-الجزء الثالث.
- البغدادي: عبد القادر، (1387هـ-1969). خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة.
- بكار، محمد محمود، (1984). الأمثال من الكتاب والسنة، مجلة منار الإسلام، 72-68 / 5.

- بنشريفه، محمد (2003)، جمع الأمثال عند القدماء، ندوة الأمثال العامية في المغرب تدوينها وتوظيفها العلمي والبيداغوجي 2001، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2003.
- بن شنب، محمد (دون تاريخ)، الأمثال العربية في الجزائر والمغرب، ج1، الجزائر.
- بن هدوقة، عبد الحميد (1993)، أمثال جزائرية، الجزائر: دار القصة للنشر والتوزيع.
- بوخالفة، عزي (2013)، الحياة البدوية في الروايات الشفهية الهلالية الجزائرية، ج1، الجزائر: بدعم من وزارة الثقافة.
- بورايو، عبد الحميد (2011)، في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجليات "مقالات وحوارات، الجزائر: فيسرا للنشر، 2011.
- بوتارن، قادة (1987)، الأمثال الشعبية الجزائرية، بالأمثال يتضح المقال، تر عبد الرحمن حاج صالح، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (1375-1956). يتيمة الدهر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة.
- جودي نصر، عاطف (1982)، الرمز الشعري عند الصوفية، لبنان: دار الأندلس، ط3.
- حداد، منعم (1989). المثل الشعبي والمثل الرسمي، الأسوار للأبحاث الفكرية والثقافية والوطنية، العدد الثالث، عكا.
- حسن، محمود السيد، (2001). التعبير اللغوي في أمثال القرآن، جامعة الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الأزارطة- الإسكندرية.
- الحامده، محمد (1998). القصة الشعبية والتربية البدوية، مجلة التراث والمجتمع، العدد الثاني والثلاثين، البيرة- فلسطين.
- حسن، عمر خليل (1988). المرأة والمثل الدارج في فلسطين، التراث والمجتمع، عدد 19، البيرة- فلسطين.
- حنا، جبران سمارة (2000). نفحات عطرية من القصص التراثية، غزة: مؤسسة ينايع.
- الحناش، محمد (1990). مشروع نظرية حاسوبية-لسانية في بناء معاجم آلية للغة العربية، مجلة التواصل اللساني المجلد الثاني، العدد 02، ص110.
- (حوى، سعيد (1988). المستخلص في تزكية الأنفس، ط4، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

- الخشت، محمد عثمان(1988). المرأة المثالية في أعين الرجال، القاهرة: مكتبة ابن سينا.
- خليل، سميحة (1997م): حكاية من بلدي، مجلة التراث والمجتمع، العدد السابع، أيار.
- زلهائم، رودلف، (1987). الأمثال العربية القديمة، ترجمه وحققه رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط3.
- رمانى، إبراهيم (1997)، الغموض في الشعر العربي الحديث، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(1977). المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان.
- سويلم، صالح(2011). صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 7، ص34-41.
- السيوطي، جلال الدين (دت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- شبل، مالك (2002)، معجم الرموز الإسلامية (شعائر، تصوف، حضارة)، تحقيق أنطوان الهاشم، لبنان: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.
- شير، مينيكا (2004). النساء في أمثال الشعوب "إياك والزواج من كبيرة القدمين"، ترجمة هالة كمال ومنى إبراهيم، القاهرة: دار الشروق.
- شكارنة، عمر(1999). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 34، البيرة- فلسطين.
- شكارنة، عمر(1999). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد33، البيرة- فلسطين.
- شكارنة، عمر(1998). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد31، البيرة- فلسطين، ص؟؟؟
- شكارنة، عمر(1998). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد32، البيرة- فلسطين، ص؟؟؟
- شكارنة، عمر(2000). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد35، البيرة- فلسطين، ص؟؟؟

- شملان، إبراهيم أحمد (1972). الشعب المصري في أمثاله العامية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- شومان، نعيمة (2011)، المرأة منذ العصر الحجري والمرأة في الإسلام كناسان، بيروت، دار الفارابي.
- صالح، أحمد رشدي (1959). فنون الأدب الشعبي، ج2، القاهرة: دار الفكر.
- عساف عبد وحمد، علي خليل (1998). حكايات فلسطينية للأطفال، نابلس.
- العطيات، أحمد (1991). أمثالنا الشعبية في الميزان، ج1، ط1، عمان.
- عمار، حارص. الأمثال الشعبية ودورها في تنمية التفكير الناقد والقيم لدى تلاميذ الحلقة الإعدادية من خلال تعليم الدراسات الاجتماعية وتعلمها. مجلة نهر العلم (kenana online.com).
- عرنيطة، يسرى جوهريّة (1968). الفنون الشعبية في فلسطين، بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية.
- غيثري سيدي محمد، (1998). التركيب الفعلي العربي -دراسة لسانية حاسوبية - رسالة دكتوراه بإشراف أ/ د. عبد الكريم بكري- جامعة تلمسان الجزائر.
- فزاري، أمينة (2011)، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، القاهرة: دار الكتاب الحديث.
- قباجي، مولود طه (1970). الأمثال التركمانية، قيمتها ودلالاتها التاريخية، مجلة التراث الشعبي العراقي، عدد 90.
- قباني، نزار (دون تاريخ)، أروع قصائده، تقديم غالية محمد حسن، الجزائر: دار الهدى.
- قطب، محمد (1980). منهج الفن الإسلامي، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار الشروق.
- كراب، الكزاندر هجري (1967). علم الفولكلور، ترجمة رشدي صالح، القاهرة: دار الكتاب
- عابدين، عبد المجيد (د ت)، الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- بن الشيخ، التلي (1990)، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- كناعنة، شريف (1992). الدار دار أبونا- دراسات في التراث الشعبي، القدس: مركز القدس العالمي للدراسات الفلسطينية.

- الكندري، لطيفة حسين ومالك، بدر محمد (2011). صورة المرأة في الأمثال الشعبية من منظور طلبة كلية التربية الأساسية في الكويت.
<http://latefah.net/artic2/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%85%d8%ab%d8%a7%d9%84.pdf>
- المبيض، سليم عرفات (1986). الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- المجذوب، عبد الرحمن (د ت)، القول المأثور، تقديم وشرح نور الدين عبد القادر بن إبراهيم، المغرب: مكتبة الوحدة العربية، دت.
- محمد عليان، محمد (2009). من صور التراث الشعبي في القدس: المثل المقدسي، دراسة مقدمة لمؤتمر التراث الشعبي الفلسطيني في القدس الشريف: هوية وانتماء، جامعة القدس المفتوحة- رام الله، 29/12/2009م. -كتاب وقائع المؤتمر.
- مسكين، سعاد (2012)، خزانة شهرزاد (الأنواع السردية في ألف ليلة وليلة)، مصر، رؤية للنشر والتوزيع.
- مطلوب، أحمد، معجم لمصطلحات البلاغة، عربي-عربي، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 1996م.
- مهدي، محمود (الماء في الدراسات التراثية). مقال على موقع الوعي www.alwae.com
- ميتشل، دينكين (1981)، معجم علم الاجتماع، تر ومراجعة إحسان حمد الحسن، بيروت. www.diwanalarab.com
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1982م
- نجم، منور عدنان وعلي، عزيزة عبد العزيز (2006). صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية. دراسة مقدمة للمؤتمر العلمي التاريخ الشفوي: الواقع والطموح (15-16 أيار)، الجامعة الإسلامية، غزة.
- نعيمة، عبد الفتاح ناصف (الماء تلك النعمة المهدرة). موقع المختار الإسلامي، ar.islamway.net/article
- النمورة، محمود طلب (1998). الفلكلور في الريف الفلسطيني، القدس: مطبعة الأمل.
- يقطين، سعيد، الرواية والتراث السرد، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

- يعقوب، إميل بديع (1415- 1995) موسوعة أمثال العرب، موسوعة أمثال العرب، دار الجليل، بيروت، ط1.
- يونس، عبد الحميد (1995)، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، مصر: دار الكتب.
<http://www.thaqafaonline.com>
- Labelle Jacques :lexique-grammaire comparée ;formes verbales en français du Québec, université du Québec a Montréal, LADL , « LANGUES », revue trimestrielle, les expressions figées par Laurence DANLOS et autres, N09 larousse, Paris, 1988.

مواقع الكترونية

(kenana online.com)
www.alodaba.com
<http://latefah.net/artic2/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%85%d8%ab%d8%a7%d9%84.pdf>
ar.islamway.net/article
tymaroc.ibd.a3.org/t1-topic
<http://www.thaqafaonline.com>
www.diwanalarab.com

**الدلالة التربوية للأمثال الشعبية
المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن
في منطقة بيت لحم وعرب التعمارة**

الدلالة التربوية للأمثال الشعبية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن في منطقة بيت لحم وعرب التعمارة

د. زهير حسن حسين الحروب د. إدريس محمد صقر جرادات

ملخص

هدفت الدراسة إلى استقراء الدلالة التربوية للأمثال الشعبية الفولكلورية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن في منطقة بيت لحم وعرب التعمارة، لأهميتها الكبيرة في حياة الفرد والمجتمع الفلسطيني، فهي مصدر مهم لتعليم الحكمة والقيم الإيجابية الاجتماعية والدينية والسياسية والبلاغة اللغوية، وتساعد في بذل جهود إضافية لإحياء التراث الفلسطيني، في زمن تتعرض فيه الهوية الفلسطينية لهجوم إسرائيلي استتصالي يريد محو كل ما يتعلق بالتاريخ الفلسطيني.

ورصد الباحثان سبعين من الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن شكلت مجتمع الدراسة، ثم انتقيا اثنين وعشرين مثلاً منها اعتماداً على قوة ارتباطها المعنوي مع عنوان الدراسة. واتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي (تحليل المضمون) المرتكز على وصف المثل وتحليل مضامينه التربوية.

واستعمل الباحثان نوعين من أدوات الدراسة هما: السماع المباشر للأمثال من بعض رواتها، والبحث عن الأمثال في الكتب والموسوعات والمجلات المتخصصة في التراث الشعبي. وتوصل الباحثان إلى بعض المضامين التربوية المؤكدة على سلوكيات إيجابية، والمحذرة من سلوكيات سلبية. وأشارت الدراسة إلى مجموعة من المقترحات والتوصيات العامة والبحثية والأكاديمية لاستكمال إجراء دراسات علمية في هذا المجال.

الإطار العام للبحث

مقدمة

تعتبر الأمثال الشعبية من المجالات الهامة التي تؤسس للهوية الذاتية للشعب والأمة، من خلال عمليات السرد على نطاق الأسرة النووية والممتدة والعشيرة، سواء في البيت، أم المضافة، أم شق العرب، أم الجلسة حول الموقد، أم في مَحْرَم وخدر النساء، أم الحكواتي في حِلّه وترحاله، لأنها نتاج أدبي مجهولة المؤلف.

لسرد الأمثال الشعبية ضوابط مهمة، وتحتاج إلى قوة ذاكرة ومهارة في العرض والقدرة على التأثير في المستمعين، من خلال الاستماع والإصغاء والمشاركة الوجدانية والمتابعة مع الراوي .

وللأمثال الشعبية رسالة تربوية تسعى إلى تحقيقها من خلال التهيئة الوجدانية والإدراكية وترك الأثر البليغ في النفس، عبر رواية أخبار ومواقف واقعية أو خيالية يعجب بها الناس، وتربّي لقيمة خلقية معينة تشتق من الكتب المقدسة أو أساطير الأولين والحيوانات والشعوب والبداءة والريف والحضر والبطولات والمغامرات وممارسات الحياة العامة.

وتستمد الأمثال الشعبية محتواها من التقاليد، والعادات، والطقوس الدينية، والمعتقدات الشعبية، والظواهر الكونية، والتي تنقل من السلف إلى الخلف، ومن الآباء والأجداد إلى الأبناء، وهي قابلة للتطور والتجديد، وتعرض لعمليات حذف وإضافة وتعديل، وهي انعكاس للوجود الاجتماعي (النمورة، 1998).

وتشكل الأمثال الشعبية مصدراً من أهم المصادر التي تحكم فكر الأمة، وتنبع أهمية هذا المصدر من القداسة - أو على الأقل - الاحترام الشديد الذي تحظى به الأمثال لدى غالبية الأميين وأنصاف المتعلمين، وقطاع عريض من المتعلمين (العطيات، 1991).

ويصعب تحديد البعد الزمني لبداية اللغة الدارجة والأمثال التي نطقت بها، بيد أنها ولا شك ترجع إلى ما بعد الفتح الإسلامي بقليل، حيث سادت اللغة العربية وانتشرت لهجاتها في كل صقع، بحسب الناموس الطبيعي لتعدد اللهجات (شكارنة، 1998).

ويرى كناعنة (1992) أن الأمثال الشعبية من أكثر أنواع التراث الشعبي انتشاراً وتداولاً، فاستعمالها لا يتطلب أية مواصفات أو مهارات معينة من قبل المستعمل، ولا توجد أية ظروف نفسية أو مناسبات اجتماعية تمنع استعمال الأمثال، وإن لكل طرف ولكل مناسبة مجموعة من الأمثال تتناسب معها.

ولم يترك المثل في حياة الناس ميداناً من الميادين، إلا وله فيه قول، ويؤيد ذلك المثل نفسه عندما يقول "ما خلّى المثل قول إلا قاله". ويعتبر المثل الشعبي فرعاً من أهم فروع الفولكلور أي (علم العامة)، وهذا العلم بأمس الحاجة إلى الجمع والتحليل في فلسطين. ويرى شكارنة (1998) أن أصواتاً بدأت ترتفع منوّهة ومنبّهة ومشيرة إلى أهمية التراث في دراسات العلوم الإنسانية، حيث إنه يعتبر بحق خير ما يمثل حياة تلك الشعوب، ويعطي الصورة الصادقة والدقيقة لأوضاعها الاجتماعية خاصة وجوانبها الحياتية الأخرى عامة طيلة الحقبة المنصرمة.

وتأتي مصداقية المثل في التعبير عن الواقع، من خلال تميزه عن أنواع الأدب الأخرى، في كونه بعيداً عن سيطرة الحكام وسطوتهم، فلا يستطيعون أن يوقفوا قوله أو يمنعوا انتشاره. ويعتبر المثل من أهم الفنون الشعبية التي تكشف عن مختلف التيارات الاجتماعية، ومن خلاله يمكن التعرف إلى طبيعة العلاقات بين أفراد المجتمع، وفي جميع نواحي حياته (شملان، 1972). وقد ساور المثقفين العرب خوف من أن يكون الاهتمام بالأدب الشعبي ومنه الأمثال عامل تفريق بين العرب لا عامل توحيد، ونظر رجال الدين في كثير من الحالات للموروث الشعبي بوصفه مجرد خرافات وبدع معادية للدين. كما أن كثيراً من المثقفين رأوا في الاهتمام بالتراث الشعبي المصاغ باللهجات العامية المحلية خطراً على اللغة العربية الفصحى، التي هي من أهم عوامل توحيد العالم العربي، واللغة التي حفظ بها الأدب والعلم والتراث العربي (كناعنة، 1992).

وتعتبر الأمثال الشعبية عنصراً هاماً من عناصر التراث الفلسطيني، الذي يتعرض لمحاولات طمس وتهويد، وذلك بهدف إضعاف صلة الإنسان الفلسطيني بثقافته وأرضه فلسطين (حداد، 1989).

وللهجة الدارجة في فلسطين سماتها المميزة التي لا يستغني عنها دارس الأمثال ليقف على أسرار تلك اللهجة وليفهم الأمثال ومدلولاتها ومغازيها، وتختلف هذه اللهجات من منطقة إلى أخرى. إن اللهجات العامية المنبثقة عن اللغة العامية في فلسطين تستطيع أن تجسّد القيم الجمالية في محتوياتها وأسلوبها، وأنها مستكملة لمقوماتها بوصفها أداة فنية قادرة على عكس ذاتية الشعب الفلسطيني والإفصاح عن عواطفه ومعتقداته (شكارنة، 1999، عدد 33). وجاءت الدراسة الحالية استكمالاً لدراسات عديدة أجريت في فلسطين بهدف البحث عن خفايا ومضامين التراث الشعبي الفلسطيني، ملقياً الضوء على جانب مهم منه ألا وهو جانب المثل الشعبي، في مجال المضامين التربوية الكامنة في ثنانيا الأمثال ذات العلاقة بالماء والخضراء والوجه الحسن.

مشكلة الدراسة:

وجد الباحثان أن هناك حاجة ماسة لدراسة هذا النمط من التراث الشعبي الذي يتعرض لعمليات طمس وتهويد واندثار وانتحال من قبل الجانب الإسرائيلي، الذي ما فتئ يعمل على جمع ونشر الأمثال والقصص الشعبية التي تثير العداوة والبغضاء بين القبائل العربية في النقب، ويكرّس مراكز بحوث وباحثين لهذا الغرض بهدف زعزعة أمن واستقرار المجتمع العربي وإثارة الصراعات فيه، وعليه يمكن الإشارة إلى ما يلي :

أولاً: هناك تساؤل واضح حول أهمية رواية الأمثال الشعبية المذكورة بقيم المجتمع التربوية في ظل عصر العولمة وطغيان الفضائيات والانترنت ..

ثانياً: هناك شعور سائد بأن القائمين على صناعة القرار في الدوائر الحكومية الرسمية لا يعطون الأمثال الشعبية الاهتمام الكافي.

ثالثاً: ضرورة التمييز بين الدلالات السلبية والدلالات الإيجابية للأمثال الشعبية، وتجنب السلبية منها.

حدود الدراسة

- تحدد الدراسة وإمكانية تعميم نتائجها المحددات التالية:
- الحدود الموضوعية: وتتضمن سرد الأمثال الشعبية كما هي على لسان الراوي باللهجة المحكية، وقد حدد الباحثان عينة من الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن، بوصفها بؤرة الدراسة.
- الحدود البشرية: جمع الأمثال الشعبية من الآباء والأجداد والكتب والنشرات والمراجع التراثية.
- الحدود الزمنية: تم جمع الأمثال الشعبية خلال العامين 2013/2014م.
- الحدود المكانية: ركزت الدراسة على بعض الأمثال المتداولة في منطقة بيت لحم وعرب التعمارة.

أهداف الدراسة

سعت الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

- 1- العمل على إحياء جانب مهم من التراث الفلسطيني وهو الأمثال الشعبية لتنميتها والحفاظة عليها، في وقت تتعرض فيه الهوية الفلسطينية لهجوم إسرائيلي استتصالي.
- 2- تقديم معلومات تخدم أصحاب القرار في اتخاذ خطوات إيجابية في رسم السياسة الثقافية العامة والخطط المستقبلية بإظهار الأمثال الشعبية ونشرها عالمياً بما ينسجم مع الأهداف المتوخاة في صياغة الشخصية الفلسطينية المؤمنة بأهدافها.
- 3- استقصاء الدلالات التربوية والتوجهات الفكرية لعينة من الأمثال الشعبية الفلسطينية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن، وذلك لأهميتها في حياة الفرد والمجتمع.
- 4- تعليم الحكمة والقيم الإيجابية المتضمنة في الأمثال الشعبية قيد الدراسة للأجيال الجديدة (كالتعليم الديني، والبلاغة اللغوية، والأفكار الاجتماعية والسياسية)، واستقباح الرذيلة، ومدح الفضيلة.

أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة من خلال النقاط الآتية:

- 1- تعتبر هذه الدراسة من الدراسات والبحوث القليلة والنادرة في فلسطين التي تتناول هذا الموضوع، فالأمثال الشعبية من مؤشرات التواصل التاريخي والاجتماعي للبلد والشعب، وفيها صدى الماضي بصوت الحاضر.
- 2- يمكن أن يشكل البحث إضافة علمية إلى المكتبة المحلية والتي هي بحاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات، فهي تحتزن التراث وتصور واقع المجتمع ومشكلاته وحاجاته وإمكاناته.
- 3- استفادة التربويين من هذه الدراسة، خاصة أن الأمثال الشعبية مصدر وفير للتجارب الشخصية الفردية والجماعية، وتقديم مادة أدبية ممتعة يخلق فيها الخيال بلا قيود.

مصطلحات الدراسة

المثل الشعبي في اللغة: من الجذر الثلاثي مَثَلَ، ومنه المثل والمثل معناه الشبيه، والنظير المثل، وجمعها أمثال، وهو القول السائر بين الناس. والمثل بمضربه، أي الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام (النمورة، 1998).

المثل الشعبي اصطلاحاً: قول موجز قيل في مناسبة ما، وأصبح يُتمثل به للتعبير عن كل حالة تشبه هذه المناسبة التي قيل فيها (النمورة، 1998).
وهو قول مأثور تظهر بلاغته في إيجاز لفظه، وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة، وأخذ ليقال في مثل تلك المناسبة.

وهو جملة محكمة البناء بليغة العبارة، شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات

(kenana online . com/users/Haris Ammar)

وعرفه سو كولوف: جملة قصيرة، صورها شائعة، تجري سهلة، أسلوبها مجازي، تسود مقاطعها الموسيقى اللفظية (صالح، 1956).

وعرفه آرثر تايلور: أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية، يوصي - في غالب الأحيان - بعمل أو يصدر حكماً على وضع من الأوضاع (شعلان، 1972).

ووصف داهل أسلوب المثل بأنه أسلوب الجملة القصيرة نسبياً، المنغمة في الغالب، المجازية دائماً (صالح، 1956).

أما رينر فقد عرفه بأنه جملة محبة إلى النفوس تغرس في عقول الناس حقائق سامية (باز، بون تاريخ).

أما الشاعر التركي إبراهيم شناسي فقد وصف المثل بأنه حكمة العوام تجري على ألسنتهم، وتصور ماهية الشعب، وهي عامرة بالمعنى الغزير (قباجي، 1970).

أما بالنسبة إلى كراب فإن المثل يعبر في شكله الأساسي عن حقيقة مألوفة، صيغت في أسلوب مختصر حتى يتداوله جمهور الناس، وقد يعبر المثل عن الحقيقة بطريقة حرفية فيكتفي بترديد هذه الحقيقة، كما هو الحال بالنسبة لأمثال المواعظ، وقد يلجأ إلى استخدام الاستعارة (كراب، 1967).

ويرى (عمار، بدون تاريخ) أن المثل يتضمن خلاصة خبرات وتجارب الشعوب عبر الزمان، يستخدمه الناس من مختلف الطبقات للتعبير عن الموقف الراهن، ولخص الناس على فعل شيء ما، أو لمنعهم من إتيان شيء آخر. وقد استخدمه العرب لتعليم أبنائهم، إذ إنه يشكل مخزناً لبعض وقائع العرب وتاريخهم. ومن أهداف الأمثال غرس وتنمية القيم على اختلاف أنواعها. (kenana online.com).

ويرى الباحثان أن المثل هو عبارة بليغة ومختصرة، تتميز بانضغاط ألفاظها، وكثافة معانيها، وتعدد أوجه تفسيرها في بعض الأحيان، وتعبر عن قضية معينة دينية أو اجتماعية أو سياسية، أو وصف لسمات شخصيات اجتماعية، أو نصائح حياتية، وهي جملة المبنى والمعنى، وتؤدي إلى المعنى المراد دون تعقيد.

والألفاظ الأمثال لا تغير تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنية وجمعاً، بل ينظر فيها دائماً إلى مورد المثل، أي أصله (البرغوثي، 1998).

منهج الدراسة وإجراءاتها

تتبع الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي (تحليل المضمون) الذي سار وفق الخطوات التالية:

1- الجانب الوصفي لواقع الأمثال الشعبية المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن في منطقة بيت لحم.

2- الجانب التحليلي (تحليل المضمون) للدلالة التربوية والمحتوى لكل مثل شعبي.

أدوات الدراسة

اتفق الباحثان على استخدام الأدوات الآتية لمناسبتها للدراسة الحالية:

أولاً: السماع المباشر، وذلك لتجميع الخبرات حول ما نسمع عنه أو نعيشه، بهدف التعرف على واقع الأمثال الشعبية التي كنا نسمعها ونحن فتية صغار أو يرويها الآباء والأجداد أو الشعراء الشعبيون.

ثانياً: البحث عن الأمثال في الكتب والموسوعات والمجلات المتخصصة في التراث الشعبي.

ثم قام الباحثان باتباع منهج تحليل المضمون في توضيح معاني ومضامين عينة الأمثال قيد الدراسة.

وقد ذكر الباحثان الأمثال بلهجاتها العامية ثم ترجمتها إلى الفصحى، مبررين ذلك بما يلي:

1- الاختلاف الكبير بين الرواة في رواية الأمثال الشعبية الواحدة والتنوع في اللهجات.

2- التنوع الجغرافي في سماع الأمثال الشعبية من الرواة.

3- بهدف الامتداد العربي والقومي، لأن حصر الدراسة في اللهجة المحكية يؤدي إلى حصرها في بيئة جغرافية محددة

ويرى شكارنة (1999) أن شرح الأمثال وفهم مغزاها واستيعابها فيه شئ من الصعوبة، لأن فيها ما يرمز إلى غير فحواها، وفيها من الألفاظ المبهمة في معناها ومبناها ما يستغل على الباحث أحياناً، لأنها قيلت في عصور مختلفة، ومن أقوام مختلفة على درجات متباينة من المعرفة والجهل. كما يصعب فهم المثل وتحديد معناه ومغزاه، يصعب أيضاً تحليله من أشباهه وأمثاله من الفنون القولية.

الإطار النظري

يرى الأستاذ الأنثروبولوجي مالنوسكي أن من الخطأ أن ننظر إلى الأمثال على أساس أنها شكل من أشكال الفولكلور أو مستند أوتوغرافي خاص بأحوال الشعوب، إنما هي في الواقع عمل كلامي يدعو قوة معينة إلى التحرك. وفي اعتقاد الذين يصدر عنهم هذا الكلام

أنه يؤدي إلى أقوى أنواع التأثير على مجرى الأمور، وعلى السلوك الإنساني. فالمعنى والغاية هما القاسم المشترك بين جميع أمثال الشعوب في العالم، وإن اختلفت في تراكيب جملها أو في صلاحيتها. وهي تكون كتاباً ضخماً يتصفح فيه القارئ أخلاق الأمة وعبقريتها وفطنتها وروحها (عرنيطه، 1968).

الفرق بين المثل والحكمة

الحكمة صياغة فردية عميقة، بينما المثل صياغة الجماعة السطحية الساذجة. لكن الحكمة تلتقي مع المثل في جوانب، وتختلف معه في أخرى. ولذلك قيل: الحكمة هي عصارة خبرة الحياة، وخلاصة فهم لأسرارها، ويبدلها ذهن ذكي فردي في جملة مرصوصة رصاً محكماً تستخدم في المناسبات. وهي من جوامع الكلم تنم عن فهم عميق لفلسفة الحياة والمجتمع، فهي علم وفن. بينما المثل يشبه الحكمة في إيجازه ورصه، ولكنه يختلف عنها في منطقته. والحكمة تفيد معنى واحداً من نهْي أو أمرٍ أو إرشادٍ، بينما المثل يفيد معنيين ظاهراً وباطناً (شكارنة، 1999).

أقوال الفلاسفة في المثل

أرسطو: كأن الأمثال مخلفات حكم قديمة أدركها الخراب، فسلمت هي من بين تلك الحكم لمتانتها وجزالة ألفاظها.

سرفنتيس: المثل زبدة اختبار طويل، مفرغة في قالب صغير.

ابن المقفع: إذا جُعِلَ الكلام مثلاً، كان أوضح للمنطق، وأنقى للسمع، وأوسع لشعوب الحديث.

الفارابي: هو ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم وتغنّوا به (kenana online.com).

لغة الأمثال

نشأت لغة الأمثال عبر المراحل الآتية:

أولاً: المثل في العصر الجاهلي: وقد صيغ باللغة الفصحى حيث كانت سليقة القوم التي جُبلوا عليها، ومع ذلك لم تخل من لحن.

ثانياً: المثل في صدر الإسلام وبنى أمية: وهو امتداد للمثل الجاهلي من حيث مبناه اللغوي وإن اختلف من حيث المدلول والمعنى، بسبب تغير الحياة الإسلامية الجديدة.

ثالثاً: المثل في العصر العباسي: وقد شهد هذا العصر ظهور لهجات عامية إقليمية في كل إقليم، ونضجت العاميات، وانحرفت عن الفصحى.

ومما ساعد على فساد اللسان العربي التأثير بالكتب المترجمة عن الفرس واليونان والهنود، وابتعاد العرب عن وطنهم الأصلي، ودخول الكلمات الأعجمية، وظهور الكلمات العامية، ونشوء اللحن، وظهور كلام المولدين. والكلمة المولدة هي التي استحدثها العرب، ولم تُسمع من فصحاءهم فيما مضى ولا رويت عنهم (شكارنة، 1999).

واستعرض شكارنة (1998) مجموعة تعريفات للمثل كتبت من قبل بعض العرب القدماء، وخرج بحصيلة للسلمات المثلّية البارزة لدى هؤلاء القدماء، وهي:

أولاً: غلب الجانب اللغوي والأدبي على الجانب الموضوعي.

ثانياً: سيرورتها بين الناس وتعميمها.

ثالثاً: أعطت الجانب البلاغي أهمية كبيرة.

رابعاً: أهميتها بالنسبة لغيرها من فنون القول والاهتمام الزائد بها من قبل الناس في كل زمان ومكان.

خامساً: لا يجوز تغييرها أو الحذف منها إلا لضرورة شعرية.

سادساً: يقصر استخدامها عند الكتاب في الغالب الأهم، على التحلية الأسلوبية، فلم تكن غاية للدرس والانتقاد.

كيف نشأ المثل

يرى شكارنة (1998) أن الجملة المثلّية ارتبطت ارتباطاً حسيّاً ومعنوياً بمجموعة من المسلّمات الدينية، والمعتقدات الشعبية الناتجة عن الخبرة الحياتية المباشرة للإنسان الفلسطيني ضمن بيئته، وظروفه الحياتية الأخرى المؤثرة. ولكل مثل قصة، وقد تضيع القصة ويبقى المثل معبراً عن مضمونها. وقد ينشأ المثل عن حادث تاريخي، أو حكمة، أو شعر، أو قصة شخصية.

خصائص الأمثال

تتميز الأمثال بالخصائص الآتية:

1. الإيجاز، حيث كلمات قليلة تعبر عن تجربة دهور.
 2. إصابة المعنى في المواقف المتشابهة.
 3. الأصالة، فالأمثال عربية المنشأ وبعضها مرتبط بالدين.
 4. الواقعية، لتمييز الحياة المجتمعية الريفية العربية عموماً بالواقعية.
 5. البلاغة، فهي ذات ألفاظ موجزة ومركزة وتصيب المعنى.
 6. الموسيقى، فهي ذات جرس موسيقي ويوجد تناغم بين ألفاظها وتناسق بين الجمل، وتجانس بين الأحرف والجمل والتراكيب.
 7. الإحساس، حيث تعكس بصدق مشاعر الشعب وأحاسيسه وآماله وآلامه وأفراحه وأحزانه وتفكيره وحكمته. ومن خلالها نستكشف آراءه في مختلف شؤون الحياة وموقفه منها، ونظراته إلى الكون وتفسيره لمظاهره. (kenana online.com).
- وذكر شكارنة (1998) الخصائص الآتية للمثل الشعبي:

1. الإيجاز
2. إصابة المعنى ووضوحه.
3. الشيوخ.
4. التميز الطبقي.
5. الأسلوب العامي.
6. صدى للتجربة الشعبية.
7. ذات صبغة تعليمية تهيئية.
8. البعد الزمني المجهول، فبداية المثل غير محددة زمنياً (شكارنة، عمر، 1998 مجلة التراث والمجتمع، عدد 31).

أهمية الأمثال الشعبية

يلخص السويدي كارل باكستروم أهمية الأمثال الشعبية في النقاط الآتية:

- (1) تتحدث الأمثال عن سعادة من يتداولها، وعن شقائهم، وعن الغنى والفقر، والشرف والخزي، والجمال والقبح، والقوة والضعف، والعظمة والوضاعة.
- (2) الأمثال من الناحية العلمية تريح النفس، وتسخر وتمتدح، ثم تهزل في الوقت الذي تتضمن فيه أفكار جادة.
- (3) تلقي الأمثال الدروس بأسلوب من المرح الحاذق، وهي مليئة بكنوز من الأحكام السليمة، والحكمة العملية، والعدالة، والمشاركة العاطفية، ثم السخرية اللاذعة الذكية.
- (4) تتكرر نفس الأمثال عند الشعوب المختلفة، وإن لم يُعبّر عنها من الناحية الشكلية بنفس الألفاظ.
- (5) تستقيح الأمثال الرذيلة، وتعلي من شأن الفضيلة، فهي بهذه الصفات ذات قيمة تهيئية (عريضة، 1968).

وذكر شكارنة (1998) أن أهمية المثل الشعبي في فلسطين تكمن فيما يلي:

- أ- شاهد عدل: على حالة اللغة الدارجة في فلسطين، وهي صادقة كل الصدق لأنها تصدر عن فطرة نقية وطبيعة غير خادعة، توضح طبيعة اللهجات في فلسطين، وما يعترى الألفاظ من تغيير أو تبديل من بنية لأخرى.
- ب- فن أدبي مستور: هي فن أدبي ظل بعيداً عن سطوة الحاكم وسيطرته، وهي ظاهرة أدبية تلائم النفس، وتحفظ عن ظهر قلب بكل سهولة من قبل معظم الناس، وهي بالنسبة لحياة الناس كالمالح للطعام تتدخل في معظم أحاديثهم.
- ت- دراسة للقطاعات الشعبية: إذ تكشف عن طبيعة الشعب وذكائه، والبحث فيها إنما هو بحث في حياة فئات العامة والخاصة من الناس، وتعبّر عن أخلاق الناس. وهي وثيقة اجتماعية هامة لرصد الجانب الاجتماعي لحياة السكان الفلسطينيين في حِلّهم وترحالهم، في مدنهم وأريافهم وبواديهم. وتعتبر قوانين غير مكتوبة يدين بها الناس، ويلتزمون بمضمونها نصاً وروحاً في الغالب عن طيب خاطر ودون أدنى غضاضة إلا

عند أقلهم (من لا يؤمنون بها وهم قلة)، لما لها من تأثير فعال يترجم عن نزعاتهم العامة، ويكشف عن ملامح شخصياتهم من حيث التقاليد والقيم والعادات التي حرصوا ويحرصون على التقيّد بها.

ث- ضرورة تاريخية: إنها تمثل عصارة تجارب الشعب الفلسطيني وخبراته في مسيرته الحياتية عبر الأجيال السحيقة، وهي زبدة تاريخه الطويل، وقاموس تاريخ الشعب الفلسطيني بكل طبقاته وقطاعاته، ويمكن اعتبارها مصدراً هاماً للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي.

ج- بضاعة محلية: حيث يمكن استجلاء خصائص البيئة الفلسطينية ومقومات المجتمع الفلسطيني ومواقفه من خلال المثل الدارج الذي يكشف عن المناخ الفكري والشعوري الذي تنمو فيه المواهب والملكات. إنها بضاعة محلية خالية من كل غريب مستورد، ولم تعبت بها الأحداث والأيام.

ح- تعاليم الآباء وتربية الحكماء: فهي تنطوي على مبادئ الفضيلة والشرف والصدق والإحسان والمعروف وحسن السلوك والاقتصاد والكرم والضيافة والعزم والثبات والتأني والصبر والأخذ بالثأر والاحتراس من الأعداء، والتواضع والإيثار، وحرب على الرذيلة، وضرورة الاستشارة، وضرورة التربية الصحيحة.

خ- السالب والموجب: في الأمثال الدارجة السئ والضرار والمثبّط، كما أن فيها جمالاً وخيراً وفضائل يُعْتز بها. ولذلك أصبح من الضروري تنقيتها من خلال الغرلة، مع المحافظة على النافع منها والتمسك بها وتنميتها والاستفادة منها في قوة الاندفاع إلى الأمام (شكارنة، عمر، 1998، مجلة التراث والمجتمع، عدد 34).

وتتكون الأمثال من جمل قصيرة تقال في موقفٍ ما، إما للتحذير من الوقوع في نفس الخطأ، أو للتحفيز على تعلم شيء ما مثل (اقنع تشبع). وبعضها يدعو إلى تعديل السلوك السئ (من حفر حفرة لأخيه سقط فيها). ويحث بعضها الناس على تعلم شيء معين، أو الحث على مواصلة التعلم والبحث عن كل جديد (الجديد حبه شديد، يموت المعلم وهو يتعلم).

كما أن بعضها يدعو إلى الترابط الاجتماعي، والتحلي بمكارم الأخلاق، والتفكير واستشارة الآخرين، وتنمية المفاهيم اللغوية kenanaonline.com.

ويرى الدكتور نوفل نوفل (بدون تاريخ) أن الأمثال ترتبط بالقيمة الاجتماعية، وتشكل أعظم الأساليب التربوية المتبعة في التعليم والتعلم. وهي محفزات لتنشئة اجتماعية تعنى بدمج الفرد في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه. كما أنها تعتبر عوامل مساعدة في تحقيق تربية متكاملة بأبعادها الأخلاقية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية.

وللأمثال دور مهم في تغيير القيم، إذ تدعو إلى السلوك والتمثل بالقيم، وهي تقوم مقام النصيحة، وتثير دوافع وانفعالات يصدر عنها سلوكيات. لذا كان من الضروري اختيار الأمثال المناسبة ونشرها في المجتمع، وهو عمل ذو مسؤولية كبيرة. www.alodaba.com.

أما جاسم محمد صالح فيعتقد أن الأمثال الشعبية لأي شعب من الشعوب، تشكل مرآة ناصعة لثقافته وهويته وقيمه ومبادئه وأخلاقه التربوية التي يؤمن بها، ويعمل على نشرها بين أبنائه، ويعمل على جعلها فلسفة اجتماعية له. وكما كان المثل الشعبي بما يمتلكه من إيجاز اللفظ ودقة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، وتركيز الفكرة، وسهولته في الحفظ، فقد استعمل في نشر المفاهيم التربوية السائدة www.alodaba.com.

وورد على الموقع الإلكتروني kenanaonline.com (موقع متخصص في التراث الشعبي) أن أهمية الأمثال تبرز خلال النقاط الآتية:

1. تلعب دوراً مميزاً في إبراز القيم الاجتماعية، كالترابط والتقدير والاحترام والتعامل الحسن بين الأفراد.
2. العمل على تنمية القيم الاقتصادية في المجتمع، مثل العمل والحرص عليه وتقديره والدقة والمحافظة على الثروات الطبيعية.
3. ترسيخ المعايير الدينية والأخلاقية وتعميمها على المواطنين.
4. هي حكمة الشعوب، والمرآة التي تعكس مشاعر الناس على مختلف مستوياتهم.
5. تعتبر المتنفس الأكثر استخداماً لمشاكل الناس والمعبر عن همومهم.

6. تعتبر معايير أخلاقية يضعها عقلاء القوم لتكون ضابطاً سلوكياً ومنهجاً أخلاقياً لعامّتهم وخواصّهم، يتناقلها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل.

7. تسرد كفاح الشعوب في عبارات موجزة سهلة الحفظ والتلقين.

يتضح مما سبق أن المثل يؤثر بقوة على السلوك الإنساني، وأن معنى وغاية الأمثال يشكلان عاملاً مشتركاً بين أمثال مختلف شعوب العالم. ويعبر المثل عن ثقافة المجتمع السابقة والحالية، وبالتالي يمكن دراسة ثقافة المجتمع من خلال أمثاله السائدة، من خلال تلك التي تحت على التقدم والقيم الجميلة ورفع المعنويات والسير إلى الأمام.

الدراسات السابقة

أجرى المبيض (1986) دراسة بعنوان "الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية"، وتوصل الباحث إلى أن الكثير من الأمثال قد عبرت عن البيئة الفلسطينية، فبعضها متعلق بالأرض والزرع، والضرع والثمر والشجر، والجو وتقلباته. ومن الأمثال التي ذكرها الباحث ولها علاقة مباشرة بدراستنا الحالية:

- احصد على بدري قبل ما تيجي الشوبة.
- موسم التين فش عجين.
- أرض مالحة وسما قاذحة.
- أرض النجيل بصير فيها مستحيل.
- اتعب على أرضك تتعب عليك.

وبحث حسن (1988) في رسالة ماجستير بعنوان "المرأة والمثل الدارج في فلسطين" مدى استطاعة الأمثال التي درجت على ألسنة الناس أن ترسم صورة شبه واقعية لحياة المرأة. وتركزت خطة البحث على عدة خطوات: إذ قام برصد الأمثال الشعبية ومراجعتها مراجعة خاصة ناقلة، وتقسيم الدراسة إلى موضوعات، ومراجعة ما دون من أمثال لكل موضوع على حدة، وقام بوضع الأمثال في الموضوع الواحد ضمن أطر محددة، وبذلك تمكن من تصنيف الأمثال المتعلقة بالمرأة تحت عناوين فرعية كثيرة.

وهدفت دراسة العطيات (1991) المعنونة "أمثالنا الشعبية في الميزان" إلى توضيح ما يراه كاتبها مخالفاً للصواب، ونقض لبعض الأمثال الشعبية السلبية، معتمداً على مقاييس الشرع والعقل والواقع السليم. وقام الباحث بتصنيف عينة الأمثال الخاضعة للبحث إلى عدة محاور هي: قبول الأمر الواقع، والأنانية، وإساءة الظن، والزواج.

وأجرى كناعنه (1992) دراسة بعنوان: الترابط بين الأمثال الشعبية والأبعاد الاجتماعية. هدفت الدراسة إلى التعرف على الترابط بين الأمثال الشعبية من قبل الفئات المختلفة من جهة، والمتغيرات الاجتماعية والنفسية التي تميز هذه الفئات عن بعضها من جهة أخرى. واعتمدت الدراسة طريقة الجمع من الطلبة، بأن يقوم كل طالب في الشعبة الدراسية في جامعة بير زيت بكتابة أكبر عدد ممكن من الأمثال الشعبية التي يتذكرها خلال عشر دقائق. تكونت العينة من (106) فرداً من طلبة جامعة بير زيت منهم (74) ذكراً، (32) أنثى (96) مسلماً، (10) من المسيحيين، (46) من سكان المدينة، (41) من القرى، (19) من المخيمات.

توصلت الدراسة إلى أن مجموع الأمثال التي تم ذكرها بلغ (316) مثلاً بنسبة (12.4%). للفرد الواحد، وتراوح ما ذكره الفرد من (1-28) مثلاً. كما أشارت الدراسة إلى وجود فروق ملموسة بين معدل عدد الأمثال ونوعها التي يعرفها أفراد المجموعة حسب مؤشرات اجتماعية معينة.

وأظهرت الدراسة إلى وجود ارتباط ذي دلالة بين متغيرات (الجنس والدين ونوع البيئة الاجتماعية، والمنطقة الجغرافية، ونوع المدرسة التي تخرج منها الشخص، وحقل التخصص في الجامعة) مع عدد ونوع الأمثال الشعبية التي يعرفها الفرد.

وقام أبو زر (2004) بدراسة قدمها للحصول على درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بغزة، وكانت بعنوان "أخطاء عقائدية في الأمثال والتراكيب والعادات الشعبية الفلسطينية". هدفت الدراسة إلى جمع الأخطاء العقائدية الشائعة في أقوال الناس من أمثال وتراكيب وفي العادات والتقاليد، والتي قد تصل بالكثير من الناس إلى حد الكفر دون أن يعلموا. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على توثيق الأمثال الشعبية المخالفة

للعقيدة أو ما اعتقد أنها كذلك، وعمل على تحليلها وبين أوجه الخطأ فيها، بعد أن بين الوجه الصحيح للمسألة موضوع النقاش، على ضوء العقيدة الصحيحة الموافقة لفهم السلف الصالح.

أما دراسة نجم وعلي (2006) التي كانت بعنوان "صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية"، فقد كان هدفها التعرف إلى الصورة المقدمة عن المرأة من خلال الأمثال الشعبية الفلسطينية، والكشف عن مدى توافق الصورة المقدمة عن المرأة مع المنظور الإسلامي. تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي وتحليل المضمون. وتكون مجتمع الدراسة من (200) مثل شعبي متداولة على السنة كبار السن، وتكونت عينة الدراسة من (100) مثل شعبي، وكانت أهم نتائجها كما يلي:

أولاً: قدمت الأمثال صور المرأة المتعددة (الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية) التي ساهمت في تشكيل جوانب الصورة العامة للمرأة.

ثانياً: أشادت الأمثال بالصورة المتميزة التي احتلتها المرأة من خلال علاقتها بالزوج والأبناء والمجتمع.

ثالثاً: اشتملت الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تناولت صورة المرأة على جوانب سلبية تتعارض مع معايير الكتاب والسنة.

وأوصت الباحثتان بما يلي:

(1) العمل على تأهيل التراث الفلسطيني وغربلته شرعياً، وإقصاء كل ما يتعارض مع تعاليم الإسلام.

(2) ضرورة تفعيل الإعلام الفلسطيني في إحياء الأمثال الشعبية التي عبرت عن الصورة الناصعة والمضيئة للمرأة وتعزيزها بنظرة الإسلام لها.

(3) توعية المرأة بدور الأمثال الشعبية في التنشئة الاجتماعية.

(4) إدخال بعض عناصر التراث الفلسطيني خاصة ما يتعلق بالمرأة في المناهج الفلسطينية.

(5) تعزيز التراث الفلسطيني تعزيزاً موضوعياً والتركيز على ما يتصل بالمرأة.

وهدف دراسة محمد عليان (2009) التي كانت بعنوان "من صور التراث الشعبي في القدس : المثل المقدسي" لسبر أغوار المثل المقدسي كنمط حيوي من أنماط التراث، له تأثيره ووجوده ويرتبط بأزقة القدس وحاراتها، وبالعيون المقدسية الساهرة التي تُطارَد، وتُحصَر لتبعد عن أهلها وعن محيطها وعن ماضيها لتبدو غريبة يسهل اقتلاعها، بعد أن توارث المقدسيون عن أسلافهم مشافهة تراثهم العريق، محافظين عليه، وهم كغيرهم من الناس يضيفون وينقصون تبعاً لهواهم ومستجداتهم. وأشارت الدراسة إلى أهمية المثل ودوره في حياة المقدسي وإبراز ما فيه من تميز وخصوصية (ما ضاع حق وراه مُطالب).

أما دراسة الكندري ومالك (2011) والتي كانت بعنوان "صورة المرأة في الأمثال الشعبية من منظور طلبة كلية التربية الأساسية في الكويت"، فقد هدفت إلى التعرف إلى صورة المرأة في الأمثال الشعبية الدارجة، والكشف عن مدى توافق الصورة المذكورة آنفاً مع معتقدات طلبة كلية أخرى. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يتضمن كشف الأنساق الفكرية المتضمنة في الخطاب الثقافي، وتكونت عينة الدراسة من (671) طالباً وطالبة من كلية التربية الأساسية في دولة الكويت. وكانت أداة الدراسة استبانة بوصفها أداة الدراسة الرئيسة. وكانت أهم نتائج الدراسة كما يأتي:

- 1) الأمثال الجيدة من أفضل طرق التعليم والتربية الاجتماعية من وجهة نظر الطلبة (81%). من أفراد العينة).
- 2) يستخدم الطلبة المثل الشعبي في الدول العربية مضموناً وشكلاً بصفة عامة في موضوع المرأة رغم وجود شيء من التفاوت.
- 3) يتعلم الناشئة الأمثال الشعبية عن طريق الاستماع إلى كبار السن (96% من أفراد العينة)، ثم من خلال الديوانية، ثم الأسرة.
- 4) وافق (28%) من أفراد العينة على البند القائل « شاور المرأة واخلف شورها »
- 5) النساء أنفسهن قد يتشربن قيم معاداة النساء وينقلنها للجيل الجديد تماماً، كما قد يفعل بعض الرجال.

6) هناك أمثال شعبية مشبعة بالتحيز ضد المرأة لا زالت تعشعش في أذهان بعض الطلبة مثل "موت البنات ستر".

7) الأمثال السلبية التي ذكرها الطلبة أكثر من الأمثال الإيجابية.

وأجرى سويلم (2011) دراسة بعنوان "صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية". وهدفت الدراسة إلى الكشف عن صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية. تكونت عينة الدراسة من أمثال المرأة الواردة في بعض كتب الأمثال الشعبية الأردنية. استخدم الباحث أسلوب تحليل المحتوى، وأسفرت الدراسة عن النتائج الآتية:

إن الأمثال الشعبية خصّت المرأة بحصة كبيرة من الأمثال التي تظهرهن بصورة سلبية تعبر غالباً عن نظرة دونية للمرأة في الأدوار المتعلقة بها كبنت، ومطلقة، وأرملة، وعجوز، بينما لم تشغل الأمثال التي تقدم الصورة الإيجابية إلا حيزاً ضيقاً خصوصاً في دورها بوصفها أمّاً. وأوصى الباحث بوضع خطة شاملة تهدف إلى تصحيح النظرة النمطية الخاطئة للمرأة في الثقافة الشعبية، خاصة أن هذه النظرة لا تنسجم مع نظرة الإسلام لها.

وأجرى إبراهيم (2013) دراسة بعنوان "أدب الأمثال الشعبية في المأكولات النابلسية"

تناولت الدراسة جانباً من الفولكلور القولي المتمثل بالأمثال التي يتداولها النابلسيون في مأكولاتهم، وبرزت أهمية الدراسة لارتباطها بالهوية والخصوصية التي تتجلى لدى شريحة من المجتمع الفلسطيني، سارت الدراسة على المنهج الوصفي والاستقرائي لما يتم تداوله من أمثال شعبية خاصة بالمأكولات.

عالجت الدراسة مصادر الأمثال الشعبية، وخصائصها وفوائدها وأنواعها ومصادرها وصلتها بالمأكولات الشعبية النابلسية التي من أهمها الكنافه والمطبق والعوامة والمقلوبة والمسخن والمحاشي والعكوب والمسقعة والششبرك.

وعرضت الدراسة مجموعة من الأمثال الشعبية ذات الدلالة بالمأكولات الشعبية، وأشارت إلى أن الأمثال الشعبية وثيقة تاريخية واجتماعية، وأنها المرأة التي تعكس ما بداخلها وتكشف حولها، وكل ما يمت إليها بصلة من عادات وتقاليده وقيم وتاريخ.

بعد استعراض الدراسات العشر السابقة، يظهر لنا أن سيع دراسات منها أجريت في فلسطين، واثنان في الأردن، وواحدة في الكويت. كما أن أربع دراسات منها كانت متعلقة بالمرأة، أما الست دراسات الأخرى فقد كانت متعلقة بالمأكولات، والتراث الشعبي بشكل عام، ونقد الأمثال بوجه عام، والترابط بين الأمثال الشعبية والأبعاد الاجتماعية، والأمثال من وجهة نظر العقيدة الإسلامية، والجغرافيا الفولكلورية في فلسطين.

ولم يتمكن الباحثان من الحصول على دراسات متعلقة مباشرة بالماء والخضراء (الأرض والنبات)، بخلاف ما عثروا عليه من دراسات متعلقة بالمرأة (الوجه الحسن)، مع أن الدراسات الواردة أعلاه كانت كافية لإضاءة طريق هذه الدراسة.

مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من عدد كبير من الأمثال التي وصل إليها الباحثان من مصادر مختلفة تمثلت في:

أولاً: من الآباء والأجداد والرواة الذين يروون ويتناقلون القصص والأمثال الشعبية في منطقة عرب النعامرة وبيت لحم.

ثانياً: الموسوعات التراثية والكتب والمجلات المتخصصة في التراث.

وقام الباحثان بمحصر الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن فبلغت (70) مثلاً شكلت مجتمع الدراسة.

عينة الدراسة

قام الباحثان بعملية تفحص للأمثال التي يتضمنها مجتمع الدراسة بهدف تحديد عينة الأمثال المرتبطة بمقولة "الماء والخضراء والوجه الحسن" مباشرة وبوضوح، فاتفقا على اعتماد ستة وعشرين مثلاً بوصفها عينة الدراسة، منها ثمانية أمثال متعلقة بالماء، واثنان عشر مثلاً متعلقة بالأرض والنبات، وسبعة أمثال متعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين).

والأمثال التي شكلت عينة الدراسة هي:

أولاً: الأمثال المتعلقة بالماء.

- (1) تاجر المية مش خسران (لا يمكن لتاجر الماء أن يخسر في تجارته).
- (2) ودّاه على البحر ورجّعه عطشان (أرسله إلى البحر وأعادته عطشاناً).
- (3) بتصيد في المية العكرة (يصطاد في الماء العكر).
- (4) بنشرب مع المية العكرة (يشرب مع الماء العكر).
- (5) عطشان وحامل المية على ظهره (يحمل الماء على ظهره لكنه في نفس الوقت عطشان).
- (6) البير اللي تشرب منه لا ترمي فيه حجر (لا ترمي حجراً في البئر الذي تشرب منه).
- (7) المية ما بتمر من عطشان (الماء لا يمر من خلال عطشان).

ثانياً: الأمثال المتعلقة بالأرض والنباتات.

- (1) الأرض بتنقاس بالشبر. (الأرض تقاس بالشبر).
- (2) الأرض ما تخبر عن اللي في بطنها (لا تخبر الأرض عما في داخلها).
- (3) اتعب على أرضك بتتعب عليك (بقدر تعبك يكون تعب الأرض عليك).
- (4) الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها (الأرض المنخفضة تشرب ماءها وماء غيرها من المناطق المرتفعة).
- (5) اللي ما له أرض ما له عرض (من لا أرض له لا عرض له).
- (6) الأرض للّي بيزرع ويفلح ويقلع (الأرض لمن يزرع المزروعات فيها ويحافظ عليها ويقطفها).
- (7) إن جار عليك الزمن جور على الأرض (إذا جار عليك الزمن، فعليك أن تعتمد على الأرض).
- (8) لأجل الورد يشرب العليق (سقاية الورد بالماء تسقي العليق دون قصد مسبق).
- (9) الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة (قد تكون البنت طويلة لكن عقلها صغير مثل عقل بنت الماعز).

ثالثاً: الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين).

- 1) ما زين إلا زين العين (الزين هو زين العين).
- 2) لا يعجبك زينها وبياض خرقته، بكرة بتيجي الحصيدا وبتشوف فعلتها (إياك أن تعجب من زينها وبياض ثيابها، غدا ستري فعلها الحقيقي في الحصيدا).
- 3) العقل بالراس زينة، اللي عدتمه حزينة (العقل في الرأس زينة، ومن فقدته تكون حزينة).
- 4) اللي ما بتزينهاش زندها، ما بتزينهاش خدودها (من لم تزين بزندها، لن تزينها خدودها).
- 5) يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان. (يا من تتزوج المرأة البيضاء، ستقضي عمره وأنت فرحان).
- 6) زوق الصوصة تصير عروسة (إذا زوقت الصوصة فإنها تصبح عروسة).

عرض النتائج وتحليلها

أولاً: الأمثال المتعلقة بالماء.

- تاجر المية مش خسران (لا يمكن لتاجر الماء أن يخسر في تجارته).
- وداه على البحر ورجعه عطشان (أرسله إلى البحر وأعاده عطشاناً).
- بتصيد في المية العكرة (يصطاد في الماء العكر).
- بنشرب مع المية العكرة (يشرب مع الماء العكر).
- عطشان وحامل المية على ظهره (يحمل الماء على ظهره لكنه في نفس الوقت عطشان).
- البير اللي تشرب منه لا ترمي فيه حجر (لا ترمي حجراً في البئر الذي تشرب منه).
- المية ما بتمر من عطشان (الماء لا يمر من خلال عطشان).

خلق الله سبحانه وتعالى الماء لإحياء الإنسان والأرض والكائنات الحية ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ النحل: ٦٥.

والماء عصب الحياة، وأهم مكون من مكوناتها، وارتبط استقرار الإنسان على وجه الأرض بالماء، وارتبطت الحضارات القديمة بمصادر مائية، وعرف بعضها بالمسمى المائي مثل

حضارة بين النهرين وحضارة وادي النيل، ودبت الحياة في مكة المكرمة بعد أن تفجّر بئر زمزم استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم: ٣٧.

وكلمة الماء مرادفة لكلمة الحياة، لأن الماء يعني الزراعة والغذاء والشراب والطاقة، وقد وصل الأمر إلى أن حجم الأراضي الزراعية يتحدد ليس فقط بحجم الأراضي القابلة للزراعة، وإنما بكميات المياه العذبة المتوفرة أيضاً. ولهذه الأهمية الكبرى للماء جعله الله سبحانه وتعالى شائعاً بين البشر جميعاً، فحق الانتفاع بالماء مكفول للجميع دون إسراف ولا إفساد ولا احتقار ولا تعطيل، وهذا يعني عدم جواز احتكار مصادر الماء أو منعها عن الآخرين. وقد حرص المسلمون منذ فجر الإسلام على توفير الماء للجميع، واعتبر ثروة يمكن التصدق بها كالمال، كما حدث في قصة بئر رومة الذي كان تحت يهودي وكان يمنع المسلمين من مائه، فقال صلى الله عليه وسلم "من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين" رواه البخاري. فاشتراها عثمان - رضي الله عنه (عبد الفتاح، موقع المختار الإسلامي ar.islamway.net/article).

كما جعل الماء وسطاً مناسباً لنمو كثير من الحيوانات والنباتات والطحالب الضرورية للإنسان، واللازمة لاستمرارية حياته وحياة غيره من الكائنات الأخرى ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا قَلْبًا وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل: ١٤.

وعندما نعلم أن الله سبحانه وتعالى قد جعل من الماء كل شيء حي، ويحتاجه الإنسان والحيوان والنبات، فجسم المولود حديثاً يحتوي ما يقارب 80% من كتلته ماء، وعند الشيخوخة تصل إلى حوالي 50%، ولا يستغني عنه البدن نهائياً في عملياته الحيوية ولا يستطيع الإنسان العيش بدونه إلا أياماً معدودات، فهو مذهب للفيتامينات والأملاح والأحماض الأمينية والجلوكوز، وله دور كبير في هضم وامتصاص ونقل واستخدام العناصر الغذائية، وهو الوسيط الآمن للتخلص من السموم والفضلات، كما يسهم في إنتاج الطاقة،

وعليه يعتمد التنظيم الحراري في الجسم، ويدخل في تركيب الأطعمة جميعها.... حينها نتأكد بدون شك من صحة المثل (تاجر المية مش خسران) فلا غناء عنه [مهدي، الماء في الدراسات التراثية، www.alwae.com].

وقد نزل القرآن في بيئة صحراوية جافة تفتقد إلى الماء في معظم أرجائها، وإن وجد في ناحية ما، فقد كان من الصعب استخراجه، لعدم توفر الأدوات اللازمة لذلك، وتأخر التكنولوجيا الضرورية لحل هذه الإشكالية، وينسحب الحال نفسه على كثير من المناطق العربية، خاصة تلك البعيدة عن مصادر المياه من ينابيع وأنهار وبحيرات، كما هو الحال في المناطق الفلسطينية الجنوبية، إذ كان الناس قديماً يقطعون مسافات كبيرة من أجل الحصول على ماء الشرب، لهم وحيواناتهم. وكان بعضهم_ وخاصة البدو_ دائمي الترحال بهدف الحصول على الماء والكلأ.

وكانوا يبذلون جهوداً جبارة في محاولاتهم للعثور على الماء الخفي من خلال شم التراب، ورائحة بعض النباتات، وحركة الحيوان، ثم تطورت معارفهم إبان النهضة العربية الإسلامية إلى علوم لها قواعدها وقوانينها.

وإذا ما تذكرنا أن الإسلام قد اعتبر طهارة المسلم من الحدث الأصغر والجنابة والحيض والنفاس شرطاً لصحة العديد من العبادات كالصلاة والطواف ومسّ المصحف، والماء هو المصدر الأول لهذه الطهارة... أدركنا أن تاجر الماء ليس خسراناً (مهدي، الماء في الدراسات التراثية، www.alwae.com).

ويشكل الماء حوالي ثلثي حجم الكرة الأرضية موزعاً بالشكل الآتي:

97٪ مياه مالحة وتمثل بجاراً ومحيطات.

3٪ مياه عذبة تتوزع كالآتي:

(22٪ مياه جوفية، 77٪ كتل جليدية، 1٪ يشكل دورة الماء في الطبيعة).

يتبين لنا من هذه الأرقام أن كمية المياه النقية قليلة جداً، وإذا نظرنا بمنظار أجدادنا المفتقرين لتكنولوجيا الحفر وتحلية المياه والمواصلات السريعة، حينها نفهم جيداً معنى

المثل (تاجر المية مش خسران)، لأنها تجارة بمادة استراتيجية لا يستغني عنها أحد، وكانت صعبة المنال في مناطق واسعة من بلادنا (موقع الكتروني: tymaroc.ibd.a3.org/t1-topic). ويعاني الوطن العربي من مشكلة مائية كبيرة، فلا يمتلك سوى حصة مائية قليلة (0.5%) من مجموع المياه المتجددة في العالم (المياه المرتبطة بالتساقطات التي تجري على سطح الأرض ويدخل بعضها إلى الباطن)، ويتركز الجزء الأكبر منها في مصر وسوريا والعراق. وهناك أكثر من (60) مليوناً من العرب لا تتوافر لديهم مياه صحية.

وزادت الصراعات بين الدول حول مجاري المياه من استفحال المشكلة في الوطن العربي، كالصراع بين إسرائيل والعرب حول حوض الأردن وهضبة الجولان، والصراع بين مصر وأثيوبيا حول نهر النيل، والصراع بين العراق وتركيا وسوريا حول نهري دجلة والفرات.

وتمثل الأراضي المتصحرة أكثر من ثلثي مساحة العالم العربي، وتشكل الأراضي المهددة بالتصحّر حوالي خمس الأراضي، والأراضي الصالحة للزراعة لا تمثل سوى (11.6%) من مساحة الأراضي الكلية.

وتعتبر الكثير من الدول الآن المياه بوصفها جزءاً من أمنها الغذائي، وأصبحت محوراً مهماً من محاور الصراع الدولي في الربع الأخير من القرن العشرين، وزاد الأمر تعقيداً مع بداية القرن الواحد والعشرين، إذ أصبحت المياه مفجراً لحروب يمكن أن تحدث بين الدول، خاصة بعد صدور تقارير دولية من قبل البنك الدولي والمجلس العالمي للمياه تحذر فيها من شح المياه وندرتها، ودعوتها لترشيد المياه، والحفاظ على مصادرها من التلوث، كما عقدت العديد من المؤتمرات الدولية والإقليمية لدراسة هذه القضية، وحددت الأمم المتحدة يوم الثاني والعشرين من آذار يوماً علمياً للمياه. (عبد الفتاح، موقع المختار الإسلامي ar.islamway.net/article).

ويشكل الماء إكسير الحياة للمزارعين الفلسطينيين المعتمدين على الزراعة المروية، إذ يزود هذا النوع من الزراعة المواطنين بما يحتاجونه من الخضار والفواكه، ويسد حاجات الناس الغذائية، في ظل منافسة مستعرة مع المزارعين الإسرائيليين. وينطبق نفس الأمر على كثير من

الصناعات الفلسطينية التي تحتاج إلى الماء، كالصناعات الغذائية، وصناعات حجر البناء والبلاط وغيرها.

وقد حرص الاحتلال الإسرائيلي على السيطرة على مصادر المياه الفلسطينية، فأضحى الفلسطيني يشتري ماءه من المحتل الإسرائيلي، علماً بأن ما يصله من الماء لا يشكل سوى نسبة ضئيلة جداً مما يصل للمستوطن الجاثم على أرضه ومقدراته.

لذلك، ليس مستغرباً أن يكون للماء حضور كبير في الأمثال الشعبية الفلسطينية والعربية، لأنه يمثل سلعة غالية للإنسان المحروم من أرضه ومائه بالرغم من توفر التكنولوجيا والعلم الحديثين بين أيدي الجميع.

إن تاجر الماء لن يخسر أبداً (تاجر المية مش خسران)، لأن سلعته لا يستغني عنها أحد، وهي أس الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء: ٣٠. ويشكل الماء سلعة لا يمكن أن تبور لأنها مادة مستهلكة، ومن الصعب تدويرها وإعادة استخدامها مرة أخرى، خاصة في المناطق الصحراوية، ولذلك فإن الربح مضمون لتاجر الماء، وفي أسوأ الأحوال فإنه لن يخسر.

هل من المنطق أن تأخذ شخصاً إلى منطقة مائية، ثم تقفل به راجعاً إلى بيته وهو عطشان (ودّاه على البحر ورجّعه عطشان). ويضرب هذا المثل في الشخص المتحایل على الآخرين، الذي يقوم منهجه الحياتي على التّصب والدّجل وتضخيم الأمور، والمبالغة في الوصف، بحيث يوحى للآخرين بقدرته على الفعل وخدمتهم ومساعدتهم، لكنه في الحقيقة بعكس ذلك، فهو كذاب. وقد يكون للمثل علاقة بصفة البخل، إذ تذهب مع البخل إلى أي مكان، ويمنعه بخله من أن يقدم لك أي نوع من التكريم، خاصة وأنت ذاهب لأجل مصلحته الشخصية. فهل من المعقول مثلاً أن يأخذك إلى بلد بعيد، ثم تعود بعد زمن طويل جائعاً لتأكل من بيتك. وقد يتضمن المثل التّهي عن بعض الصفات الممقوتة كالكذب وإخلاف الوعد، مما يتناقض والقيم الدينية والإنسانية التي حث عليه الإسلام والأديان الأخرى..

وذكر حوى (1988) أن البخل من الأمراض الهادمة للألفة والحياة الاجتماعية السليمة والتعاون. ويترتب على ذلك استساغة العزلة، وتراجع قيم البذل والإيثار والبذل

والتضحية والمروءة والعطف والمحبة والحنان، والإقدام على عمل الخير، والجهاد، والمواساة. ويدفع البخل المرأة إلى التردد في القيام بواجبات الأمومة، وتردد الرجل في القيام بواجباته الزوجية.

وقد ربط القرآن بين الإنفاق وزكاة النفس ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ الليل: ١٨.

وذم القرآن البخل فقال: ﴿وَمَنْ يُؤَقِّ شَعَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: ٩.

وقال: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ آل عمران: ١٨٠.

وقد يؤدي الشح إلى سفك الدماء واستحلال المحارم، فقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم" أخرجه مسلم.

والبخيل محروم من الجنة، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة" أخرجه أحمد والترمذي وحسنه. كما أن البخيل يفتقد إلى الإيمان، كما ورد في الحديث الشريف: "خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخيل وسوء الخلق" أخرجه الترمذي.

أما الكذب فهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وهو الأصل الذي يبنى عليه النفاق. قال صلى الله عليه وسلم: "إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً متفق عليه.

وقال أيضاً: "إن التجار هم الفجار، فقيل: يا رسول الله، أليس أحل الله البيع؟

قال: نعم ولكنهم يخلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون" مسند أحمد.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة يشنؤهم الله: التاجر أو البائع الحلاف، والفقير المحتال، والبخيل المتأن" أخرجه أحمد بإسناد جيد.

إن الكذب مشين لأصحاب المروءة، وملوث لنفوس المحترمين، ومسيء لأهل النخوة، ويسبب الضرر للناس... فكيف يسوِّغ المرء لنفسه أن يأخذ إنساناً إلى البحر ويرجعه عطشاناً؟... هل هو البخل، أم الكذب؟

ويرى الباحثان أن مفهوم "الماء العكر" قد يستخدم لوصف المجتمع الذي يعجُّ بالمشاكل والفتن والخلافات والقيال. ويكون الماء عكراً عندما يختلط الماء الصافي بمواد ملوثة كالأتربة والأوساخ وأية مواد أخرى تغير صفة النقاء فيه وتفسد صلاحيته للشرب والنظافة. كذلك المجتمع الذي تحتل علاقاته الطبيعية القائمة على الود والتصالح والتعاون، فيتحول إلى مجتمع مضطرب تغزوه الخلافات والتناقضات بسبب الفتن التي يحийها شخص تسلل وبدا يثير الدسائس ويفتعل الخلافات، لذلك قالوا في المثل (بتصيد في المية العكرة)، فتجده على الأعم الأغلب كاذباً، وغير مؤتمن، وثرثراً، وسفيهاً، وحاقدًا، ومفترياً على الأبرياء، ومغتتاباً، ونمّاماً، وسيئ الظن، ولا يراعي جيرة، ولا يقدر صداقة. ويهرب منه الناس هروبهم من الطاعون، هو سيئ بكل ما تعني الكلمة من معنى.

والذي يتصيد في الماء العكر إنسان يجب ممارسة الخصومة التي نبهنا آباؤنا منها، لأنها تحق الدين، وتنقص المروءة، وتضيع اللذة. ويدخل في إطار الخصومة الفحش والسبّ وبذاءة اللسان والسخرية والاستهزاء وإفشاء الأسرار والغيبة والنميمة.

وهناك نوع آخر من البشر يتسم بالأخلاق الفكرية والقلبية والنفسية الراقية، والتعامل الحسن، ويسهم في نشر السلام المجتمعي أينما حل وحيثما اتجه، لا يتدخل فيما لا يعنيه، ومرحب به في كل مكان (بشرب مع المية العكرة)، وهو إنسان يجسّد الدواء لا الداء، بعكس ذلك الذي (يتصيد في المية العكرة). ولعل استخدام الماء في هذه الأمثال يتضمن دلالة تؤشر إلى أهمية القضية المبحوثة، إذ إن فائدة الشخص لمجتمعه أو ضرره، متعلقة بالماء الذي يمثل

الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء: ٣٠.

أما المثل القائل (عطشان وحامل مية على ظهره)، فقد يُضرب في الإنسان الذي لديه إمكانيات وقدرات معينة لكنه لا يستثمرها الاستثمار الأمثل. فقد تجد إنساناً يحمل أعلى الدرجات العلمية لكنّه عاجز عن التفاعل الاجتماعي مع عائلته أو مجتمعه، وقد تجده عاجزاً

عن التكيف مع وسطه الوظيفي، وغير قادر على تقدير ذاته، وذوي إرادة ضعيفة، وغير قادر على الانسجام، كما أنه غير ميّال للمنافسة التي هي عامل مهم في تبوّء المركز الذي يطمح إليه الإنسان، أي أنه مصاب بالقصور الذاتي بنسبة أو بأخرى، حيث لا قابلية لديه للتغيير ولا للتغيير. وقد ينطبق عليه المعنى الضمني للآية الكريمة ﴿كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الجمعة: ٥. وربما يؤشر المثل اتجاه أناس يملكون الثروات الهائلة لكنهم عاجزون لأسباب سيكولوجية عن الاستفادة منها، ومن هذه الأسباب وجود سمة البخل، حيث يقتّر الإنسان على نفسه وعلى عياله، مع أن لديه الإمكانيات الكافية لتكون معيشته من أرقى المستويات، كالعيس في البيداء يقتلها الظما..... والماء فوق ظهورها محمول.

ويتضمن المثل القائل (البر اللبي تشرب منه لا ترمي فيه حجر) على معنيين إيجابيين: المعنى الأول: وهو المعنى المباشر، إذ يتضمن المثل دعوة صريحة للمحافظة على مصادر المياه من التلوث، من خلال تجنب إلقاء القاذورات والحجارة في مصادر الماء كالآبار والينابيع، لأنه مصدر لحياة البشر والحيوان والنبات.

المعنى الثاني: وهو معنى غير مباشر، ويحث على احترام وتقدير من يعمل لك معروفاً، وأن ترد المعروف بمثله، وأن لا تسعى إلى من وفرّ لك عملاً عنده بالمحافظة على الأمانة التي ائتمنك عليها، وأن تحافظ على جبل الود مع من احترّمك وقدرّك وأحسن إليك. قال تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ الرحمن: ٦٠.

فإياك أيها الإنسان أن تردّ على المعروف بالمنكر، وعلى الإحسان بالإساءة، لأن هذا السلوك من سلوكيات الإنسان قليل التهذيب وغير الفاضل، والشكر طاعة من الطاعات التي يؤديها المؤمن، ولا يشكر الله من لا يشكر الناس.

ويصور المثل القائل (المية ما بتمر من عطشان) الإنسان الأناني والطماع بإنسان عطشان بحاجة إلى ماء كثير حتى يرتوي، وليس لديه استعداد لسقاء غيره قبل أن يرتوي، وربما لا يمر ماء الشرب إلى غيره رغم ارتوائه، بسبب أنانيته وشحّه، وربما بسبب ضعف إيمانه بأن مصدر الرزق هو الله سبحانه وتعالى. والقضية ليست مرتبطة بماء الشرب وحده، وإنما هو شحيح في كلّ شيء، وليس لديه استعداد للمّ يد المساعدة لأحد، ويعتقد بأنه مركز الكون، وأن قوته في

تراكم الثروة وتجميعها بشتى السبل، دون أن يفيد أحداً غير نفسه، وربما يحرم نفسه ثم يموت ونفسه تشتت شيئا ما كان متوفراً لديه قبل أن يدهمه ملك الموت.

ثانياً: الأمثال المتعلقة بالأرض والنباتات.

- (1) الأرض بتنقاس بالشبر. (الأرض تقاس بالشبر)
 - (2) الأرض ما تُخْبَرُ عن اللي في بطنها (لا تخبر الأرض عما في داخلها).
 - (3) اتعب على أرضك بتتعب عليك (بقدر تعبك يكون تعب الأرض عليك).
 - (4) الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها (الأرض المنخفضة تشرب ماءها وماء غيرها).
 - (5) اللي ما له أرض ما له عرض (من لا أرض له لا عرض له).
 - (6) الأرض للي بيزرع ويفلح ويقلع (الأرض لمن يزرع المزروعات فيها ويحافظ عليها ويحصدها).
 - (7) لأجل الورد يشرب العليق (سقاية الورد بالماء تسقي العليق دون قصد مسبق).
 - (8) الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة (قد تكون البنت طويلة لكن عقلها صغير مثل عقل بنت الماعز).
- لقد جعل الله الأرض معاونة للإنسان على الحياة، وهياها بكل ما تتطلبه هذه الحياة من مطالب، قال تعالى:

﴿وَبَرَكْ فِيهَا وَقَدَّرْ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ فصلت: ١٠.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾ الأعراف: ١٠.

﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَازِلِكُمْ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ الملك: ١٥.

«وجعلنا في الأرض رواسي أن تتمد بهم»، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الأنبياء: ٣١.... (قطب، 1980).

للأرض أهمية خاصة في عقل ووجدان الإنسان الفلسطيني منذ قديم الزمان، فهي التي تمدّه بالغذاء، وعليها تقوم حياته، ولم يكن هناك مصدر آخر لمعيشته، في زمن كان فيه

التخلف العلمي والتكنولوجي يزرع على صدور الناس، فلا صناعة، ولا عمل خارجي، فالأرض مصدر وحيد للارتزاق والعيش بكرامة.

وفي لحظات تاريخية معينة بلغت أهمية الأرض مبلغاً شغل الآباء عن متابعة أبنائهم في المدارس، بسبب عملهم في الأرض بهدف توفير لقمة العيش لهم. كما أن الأرض تعد مصدراً لمصاريف كثير من المتعلمين في المدارس والجامعات بعد بيع إنتاجها. لكن الأرض بالقابل كانت سبباً لكثير من الخلافات، مثل خلافات القسمة، والري الجائر، والتعدي الحدودي، وكثيراً ما أدت إلى حروب عائلية ربما لم تنته (حنا، 2000).

ويرى شكارنة (2000) أن ما يميز الإنسان الفلسطيني تفاعله مع الطبيعة، ويستوحي من هذا التفاعل مثله العليا، ومن هذه المثل (من لا أرض له لا هوية له)، فما المقصود بالهوية؟

إنها إثبات وجود على سطح الأرض ضمن نطاق معين محدود، وهذا يعني إثبات شخصه لا صورته على بقعة أرض معينة في وطنه.

إن للأمثال الشعبية الفلسطينية المتعلقة بالخضراء (الأرض والنباتات) في زمننا أهمية خاصة، في ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، ومصادرة الأراضي وإقامة المستوطنات، وبالتالي أصبحت هذه الأمثال مصدر إلهام للناس من ناحية حب الأرض والتمسك بها، وعدم بيعها لأية جهة تحوم حولها الشبهات.

لذلك كانت الأرض مهمة جداً لدى الفلسطيني، ولشدة أهميتها فهي تقاس بالشبر. ولا نستغرب إذا رأينا بعض الفلسطينيين يرفض بيع أرضه أو أي جزء منها مهما كانت حاجته.

وينصح المثل باستخدام الأرض لإخفاء ما يود الإنسان إخفاءه داخل الأرض. ولقد ثبت المقصود بهذا المثل في أجلى معانيه، عندما استخدمت المقاومة الفلسطينية في غزة سلاح الأنفاق لإيواء المجاهدين، وتخزين السلاح، وقواعد لقصف الصواريخ باتجاه الجانب الصهيوني في حرب عام 2014، بمهارة وحذق، وحقت نتائج باهرة في تكبيد العدو الصهيوني خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وقصفوا تل أبيب تحت سمع وبصر الطائرات

التي كانت تجوب أجواء قطاع غزة بالعشرات، وحققوا النصر المبين بإمكانيات عسكرية بسيطة مقارنة بما يملكه العدو من أرقى أشكال التكنولوجيات (الأرض ما بتخبّر عن اللي في بطنها). ولا عجب في ذلك، ونحن نرى أشياء ثمينة وغير ثمينة خبئت في الأرض، ولم يتم اكتشافها إلا بعد آلاف السنين، وربما هناك أشياء ما زالت مخفية ولم تكتشف حتى هذه اللحظة، وربما لن تكتشف إلى يوم القيامة. فالأرض حافظة لأسرار الإنسان، وعلاقته معها تتسم بالود والصدقة. ولعل المثل يود التأكيد على أن الإنسان هو الذي يفشي أسرار الناس، وبدون اطلاع الإنسان على الأسرار ستبقى طي الكتمان. وهناك مثل آخر منتشر في الدول القمعية يعاكس هذا المثل في المعنى وهو (انتبه في للحيطان آذان)، ويتضمن هذا المثل تحذيراً للناس من الحديث في السياسة وكل ما يخالف الحكومة لأنه يؤكد أن الجدران لها آذان تسمع، لذلك يجب عليك أن لا تتكلم، وإلا فالعاقبة ستكون وخيمة. بينما في المثل السابق لا يوجد للأرض آذان، وهي لا تخبر عما في بطنها، وتشكل موضعاً يصلح لحفظ الأسرار أكثر فاعلية من البشر، وأكثر أماناً.

وتقدم الأرض لك بمقدار ما تقدم لها (اتعب على أرضك بتتعب عليك، اكبر على أرضك بتكبر عليك)، ومن الصعب أن تقدم لك شيئاً دون أن تبذل لها تعباً وعرقاً. فإذا حفرتها ستجد فيها الماء. وإذا حرثتها وسهلتها وزرعتها وسقيتها وحمتها من الديدان والحشرات، حينها ستجد الأرض مليئة بالفواكه والخضروات. أما إذا أهملتها فلن تجد فيها ما يسرك. لذلك شبه مثل آخر العلاقة بين الإنسان والأرض بعلاقة اثنين متحابين متعانقين ويتبادلان القبل (هو والأرض مباوسة). فهذا المثل يدعو للعمل والنشاط وحبّ الأرض، ويجذر ضمناً من الكسل والتراخي. ولا يستحق ملكية الأرض إلا من يتعب ويعرق ويشقى في خدمتها.

كما أن أهمية الأرض تختلف باختلاف موقعها والهدف من استخدامها، فالأرض الجبلية يمكن استخدامها للبناء وإقامة المؤسسات المختلفة، بينما الأرض المنخفضة وخاصة السهلية منها، تستخدم للزراعة، لأنها أرض ثرية بالمواد العضوية الغذائية والماء المتدفق إليها من الجبال، ولذلك قال المثل (الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها).

وإذا نظرنا نظرة حرفية للمثل نجد أنه يصدق تماماً على الأراضي المنخفضة، إذ تأتيها حصتها من المياه ومعظم حصص غيرها من الأراضي الجبلية أو المرتفعة.

أما إذا أردنا استنتاج المعنى الضمني للمثل، فيمكننا الاستنتاج أن الأرض المنخفضة (الواطية) تصوير لأولئك البشر الذين يفضلون أن يعيشوا متطفلين على غيرهم، ولا يرجون سبل المعالي من خلال الجهد الذاتي، فيبقون في الأسفل، يصفقون للسلطات الحاكمة، ويدعمونها مهما كان سلوكها بهدف الاسترزاق السهل. ويكررون نفس السلوك حينما تتبدل السلطة، فيحاولون الاستئثار بكل مكتسبات السلطة الجديدة، على حساب فئة أخرى أثرت كرامتها وعزتها، ورفضت النزول للأسفل والسير مع القطيع.

ويقارن المثل الخامس أعلاه بين الأرض والعرض، معتبراً الأرض مساوية للعرض أو الشرف، فيقول (اللي ما له أرض ما له عرض).

ومن المعروف أن عرض الإنسان من وجهة نظر الفلسطيني لا يقدر بثمن، وكثيراً ما تم تفضيل الموت على انتهاك العرض. فكم من فتاة قتلت بحق أو بغير حق، بسبب اعتقاد وليّ أمرها بأنه قد خُذش عرضها بطريقة أو بأخرى. فقضية العرض لدى الفلسطيني قضية حساسة جداً، ولأهمية الأرض، تمت معادلتها بالعرض.

وقد بذل الفلسطينيون تضحيات جمة في سبيل المحافظة على أرضهم، وحمايتهم من غول الاستيطان الصهيوني منذ بدايات احتلال فلسطين، وهناك يوم فلسطيني مشهود سُمّي بيوم الأرض، وهو يوم الثلاثين من آذار من كل عام، وكانت بداية اصطلاحه عام 1976 حينما ارتكب الإسرائيليون مذبحه بحق الفلسطينيين المدافعين عن أرضهم في قرية كفر قاسم الفلسطينية. وقد دأب الفلسطينيون على اعتبار هذه اليوم يوماً مميزاً تقام فيه الاحتفالات، وتشتد فيه المقاومة بمختلف أشكالها، ويسقط فيه الشهداء والجرحى... وما زالت المسيرة مستمرة حتى يأذن الله بأمر من عنده.

واعتبر الفلسطينيون أن الإنسان الذي يملك أرضاً فهو لا يستحقها إن لم يصلحها ويحرثها ويزرعها ويحصدها، ولذلك قالوا في المثل: الأرض للي يزرع ويفلح ويقلّع (الأرض لمن يزرعها ويحافظ عليها ويجني ثمارها بتعبه).

وتكتسب عملية استصلاح الأراضي أهمية خاصة لدى الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي، الذي ما فتى يصادر الأراضي وخاصة الأراضي البور (غير المزروعة). ولذلك يحاول الفلسطينيون بذل أقصى طاقتهم للمحافظة على أراضيهم من خلال استصلاحها وزراعتها بالمزروعات المناسبة، بهدف حمايتها من السرطان الاستيطاني المنتشر في أرجاء فلسطين كافة.

كما أن الزراعة في فلسطين تشكل عماد الاقتصاد المحلي، فإذا عزف أصحاب الأراضي عن زراعتها، فإن الاقتصاد سيتعرض لنكسة، مما يؤدي إلى اعتماد الناس على الاقتصاد الإسرائيلي، الذي يتحكم في العرض والطلب، ومن ثم يحدد السعر الذي يراه، في ظل وضع لا يُمكن معظم الفلسطينيين من الحصول على حاجتهم من الخضروات والفواكه التي يمكنهم زراعتها على ما تبقى لهم من أراضي، وإشباع السوق المحلي بها، وبأسعار مناسبة، ودون تحكم من الخارج.

وهناك نقاشات تدور في الإطار الشعبي حول التمسك بالأرض، فهناك فئة من الناس تصر على أن تتمسك بملكية أرضها، وتعتبر من العيب المشين أن يتصرف بها أو المبادلة مقابل أي شيء آخر كالبنا أو السيارة حتى لو كان فيه فائدة كبيرة. وكثيراً ما أدت هذه القناعات إلى إشكاليات عائلية ترتب عليها خصومات ومشاجرات عنيفة بين الأقارب، لأن هناك طرف آخر لا يرى في التصرف في الأرض بيعاً أو مبادلة أمراً معيباً، من هنا جاء مثل آخر يدعم وجهة نظر الفئة الثانية، حيث يقول: (إن جار عليك الزمن جور على الأرض). وهذا يعني أن الإنسان الذي لديه أرض، يمكنه أن يتخلص من مشكلاته المالية، ويسر حياته من خلال (الجور على أرضه)، فيبيع جزءاً من أرضه مقابل الاستغناء عن الحاجة إلى الناس؟

وهناك أمثال فلسطينية جاءت تتحدث عن جانب معين متعلق بالنباتات (الخضراء) ارتأى الباحثان تسليط الضوء على مضامين ودلالات اثنين منها في هذه الدراسة، لملائتهما أغراض الدراسة.

يرى قطب (1980) أن هناك صلة قرى بين الإنسان ونبات الأرض، فكلاهما نابت من الأرض، لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ نوح: ١٧. وهذا يعني أن صلة الإنسان

بالنبات هي صلة أصيلة وطبيعية وليست مصطنعة، فالإنسان مجبر على التعامل مع قريبه، وعليه أن يحافظ على النباتات الحيوية كمحافظته على أبنائه وأقربائه.

يقول أحد هذين المثليين: (لأجل الورد يشرب العليق). فما هي العلاقة بين الورد والعليق؟

يزرع الناس الورد، تلك النباتات الجميلة التي تريح النفس، وتضفي جملاً وبهاء على البيئة، ويظهر بجانب الورد نباتات أخرى تنمو تلقائياً بسبب توفر الماء والتربة المناسبة، ومن هذه النباتات نبات العليق، وهو نبات شوكي له فوائد طبية، لكنه لا يزرع لأهداف جمالية. والمزارع يزرع الورد لأجل الورد، ولا يريد العليق، لكن العليق ينمو بجانب الورد مستفيداً من البيئة المناسبة لنموه.

وفي هذا المثل إشارة إلى بعض التعاملات البشرية، فقد تضطر إلى بذل المعروف إلى شخص معين تحبه، لكنك تكره أخيه أو ابنه أو زوجته، حينها تكون أمام أحد خيارين: فإما أن تقطع جبل الودّ وعمل المعروف مع من تحب، بسبب علاقته مع آخرين لا تحبهم، أو تستمر في عمل المعروف وأنت تعلم مسبقاً أن هذا المعروف سيصل إلى أناس آخرين لا تستلطفهم أو تكرههم. وفي هذا المثل دلالة تربوية وقيمية إيجابية، إذ يحث على عمل المعروف مع الناس المحتاجين له بغض النظر عن حيثيات علاقتك معهم. وفي المثل (اعمل معروف وارمي في البحر) نفس المعاني، إذ يحث المثل على عمل المعروف لجميع الناس سواء كنت تعرفهم أم لم تعرفهم.

ويأتي هذا المثل متوافقاً مع توجيهات الدين الإسلامي الذي أمرنا بإحسان التعامل مع جميع الناس، وأن نكون إيجابيين، وأن نصل من قطعنا، وأجرنا عند الله سبحانه وتعالى. واستخدم المثل النباتات للتمثيل والتشبيه، فقد شبه المرأة الطويلة بالنخلة، وشبه عقل المرأة الغبية الساذجة بعقل السخلة (بنت الماعز).

إننا كثيراً ما نُخدع بمظهر إنسان معين، سواء كان ذكراً أم أنثى، فنحكم عليه من خلال صفات مظهرية (كالطول، والشكل، واللباس، واللون)، وعند اختباره في أي موقف نكتشف أننا أصدرنا حكماً خاطئاً، لأن المخبر يختلف عن المظهر. ولذلك يدعونا المثل إلى اعتماد

محكات عديدة ومتنوعة عند تقييم شخصية الإنسان إلى جانب الصفات المظهرية، ومن هذه المحكات: الذكاء، والفتنة، وسرعة البديهة، والشجاعة، وحسن التصرف، والكرم، والعلم....الخ). فالعقل حسام قاطع، وهو متمم لدين الإنسان، والحكم القاطع لا يكون إلا للعقل والسلوك لا للصفات المظهرية كما ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم - رواه مسلم.

ثالثاً: الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين).

- ما زين إلا زين العين (الزين هو زين العين).
 - لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة يتجي الحصيد وبتشوف فعلتها (إياك أن تعجب من زينها وبياض ثيابها، غدا سترى فعلها الحقيقي في الحصيد).
 - العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينة (العقل في الرأس زينة، ومن فقدته تكون حزينة).
 - اللي ما بتزينهاش زندها، ما بتزينهاش خدودها (من لم تتزين بزندها، لن تزينها خدودها).
 - يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان. (يا من تأخذ المرأة البيضاء، ستقضي عمره وأنت فرحان).
 - زوق الصوصة تصير عروسة (إذا زوقت الصوصة فإنها تصبح عروسة).
- قبل الخوض في الدلالات التربوية لهذه الأمثال، رأى الباحثان أن من الضرورة البدء بمقدمة أولية تتضمن إشارات قرآنية حول الجمال، كمقدمة للحديث لاحقاً في ثانيا التحليل عن وجهة نظر الإسلام في الجمال بمختلف أشكاله.
- يعتبر الجمال من أوسع المنافذ إلى النفس... تهش له بفطرتها، وتلتقي روحها بروحه في أخوة واستجابة واشتياق. والجمال في هذا الكون مقصود كالكمال، بل إنهما اعتباران لحقيقة واحدة، فالكمال يبلغ درجة الجمال. وقد وجه القرآن النظر إلى جمال السماوات بعد أن وجه النظر إلى كمالها:

"وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ ﴿٥﴾ الْمَلِك: ٥.

إنه الجمال، الجمال الذي يملك الإنسان أن يعيشه ويتملأه، ولكن لا يجد له وصفاً فيما يملك من الألفاظ والعبارات. والحياة معجزة الخلق الكبرى، جميلة بكل صورها وأشكالها، والقرآن يوجه القلب إليها، ويعقد صلة القربى بين الإنسان وغيره من الأحياء في هذا الوجود، النبات والحيوان والطير قال تعالى:

"وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء، فأخرجنا منه خضيراً نُخرجُ منه حباً متراكباً، ومن التخل من طلَعها قنواثٌ دانية وجناتٌ من أعناب، والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه، ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ الأنعام: ٩٩.

يقول المولى عز وجل: انظروا إلى الجمال المبثوث في هذه الكائنات الحية، وتمتعوا بهذا الجمال في تلك اللوحة الطبيعية الحية المتناسقة البهيجة! فالجمال هنا هدف مغد للروح. والجمال عنصر أصيل في بنية الكون والأحياء، وعنصر مطلوب، مطلوب ليستمتع به الناس، وموهبة يذكر الله بها الناس ليشكروه ويعبدوه. لذلك فإن كل واقع ينحرف عن مستوى الإنسان فهو خاطئ، ولا يمكن أن يكون صواباً لجرد أنه هو الموجود. الإنسان في نظر الإسلام إنسان، لا هو بالحيوان، ولا هو بالملاك (قطب، 1980).

جاءت الأمثال المتعلقة بأهمية الوجه الحسن (الزين والجمال) متضاربة فيما يعلّق باعتماد هذا المحك في الحكم على النساء، وربما على الرجال أيضاً في بعض المواطن. فبعض الأمثال قدّست جمال الوجه باعتباره محكاً وحيداً لاختيار الزوجة، والبعض الآخر اعتبر الجمال عنصراً ثانوياً في الحكم على النساء، مفضلة عناصر أخرى عليه، مع تأخير عنصر الجمال بوصفه عنصراً ثانوياً، يأتي في الترتيب بعد عناصر أكثر أهميّة كالعقل والقدرة على العمل ورعاية البيت.

ومن الأمثال التي فضّلت عنصر الجمال على غيره المثل القائل (ما زين إلا زين العين). ففي هذا المثل تم تفضيل جمال العيون باعتباره العنصر الأساس للحكم على النساء، والعين جزء من الجسم، ولكن المثل لم يتطرق إلى السمات الجسمية والقيمية الأخرى، فماذا لو كانت المرأة جميلة العيون، لكنها عرجاء أو غيبّة أو سيئة الخلق، هل سيبقى قائل المثل متمسكاً بهذا

المحك في الحكم النهائي والكلي على المرأة؟... أم أنه سيعتمد هذا العنصر بوصفه جزءاً من مجموعة عناصر أخرى يستخدمها في حكمه حسب الأولوية؟.

ومن الأمثال التي تؤكد اعتماد محك واحد لتقييم النساء المثل القائل (يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان)، أي أن من يتزوج المرأة البيضاء سيبقى سعيداً طوال حياته. وفي مثل آخر (خذها بيضة ولو أنها مجنونة)، ويعني أن من يتزوج المرأة البيضاء سيبقى سعيداً طيلة حياته، حتى لو كانت مجنونة. فما مدى صحة هذا الرأي؟

يرى الخشت (1989) أن من الرجال من ينظرون إلى الجمال الأنثوي في رشاقة الجسم وانسيابه، بينما يركز آخرون على تناسق الوجه وبهائه في حين يجمع البعض في نظرتهم بين اعتبار رشاقة الجسم وبهاء الوجه. وبعض الرجال يفضلون السمراء، وآخرون الشقراء، وطائفة أخرى البيضاء. وقد أشارت دراستان قام بهما وجنز Wiggins سنة 1968، وسالي بك Sally Beck في جامعة بتلر بأمريكا سنة 1979 إلى أن الفروق الفردية بين الرجال في اختيارهم للإناث تعكس خصائص الذكر وخلفيته الاجتماعية والثقافية والحضارية.

يتضح لنا مما سبق أن بياض البشرة هو محك يستخدمه بعض الرجال في تقييم المرأة، وليس جميع الرجال، ومن ثمّ يكون المثل السابق صحيحاً لفئة معينة من الرجال، ولا يجوز تعميمه. وقد نجد رجالاً آخرين يفضلون المرأة السمراء (سمرة ونقشة، ولا بيضة ووحشة). وربما تكون السوداء من صاحبات العقول الذكية، والالتزام الديني والأخلاقي، وتكون عوناً لزوجها على تقلبات الدهر.

وينطبق نفس الكلام على المثل القائل (زوّق الصوصة بتصير عروسة) الذي يعني أن المرأة مهما كانت بشعة، فإن هذه البشاعة ستختفي عند تزويقها وتجميلها صناعياً. ومن الواضح أن المثل يركّز اهتمامه على الجمال الجسدي متجاهلاً الجوانب الأخرى للجمال، والتي تكتسب أهمية أكبر لدى كثير من الناس، ويمكن اعتبار هذا المثل والأمثال التي تشبهه من النوع السليبي الذي ينظر للموضوع من زاوية واحدة، متجاهلاً الزوايا الأخرى.

إن تركيز بعض الرجال على السمات المظهرية للأنثى ليس مستهجنًا من وجهة نظر بعض الدراسات المعاصرة، التي بينت أن تحريك السمات الجسدية الأنثوية للذكور أكبر من

تحريك السمات الجسدية الذكرية للإناث، فالذكور غالباً ما يختارون الإناث على أسس جسمية، كنقطة ابتداء على الأقل. وهذا ما تؤكدُه أيضاً النصوص الأدبية والشعرية والأعمال الفنية.

وقد وجد ديون (1977) أن جاذبية الوجه تعد نقطة الارتكاز الأولى للجاذبية، وأنها تساعد صاحبها أو المتعامل معه، على إقامة علاقات اجتماعية أكثر استدامة ووفقاً، كما أن لذلك أثراً بينا في توجيه السلوك نحو مسالك لا تتسم بالضعف والعدوانية. وأكدت بعض الدراسات أن الأفراد الأكثر جاذبية من ناحية الشكل يملكون في نظر من يتعاملون معهم خصائص إيجابية، بعكس الذين لا يملكون هذه الجاذبية فينظر إليهم على أنهم يحملون خصائص سلبية. وإن الناس عامة يتصفون بالكسل في حكمهم على جاذبية الغير، إذ لا يكلّفون أنفسهم عناء التعمق، ويحكمون على الأشخاص من مظهرهم، ويننون أحكاماً على أساس ملاحظات ضحلة، وهذا ما يحدث في مقابلات الدراسة والعمل والتوظيف، حيث يتأثرون بسرعة بمظاهر جسمية في شخص يروونه جذاباً، ويننون أحكامهم النهائية على ذلك (الحشت، 1989).

وتتضمن عينة هذه الدراسة أمثالاً أخرى أكثر إيجابية من الأمثال التي تم الحديث عنها أعلاه، وهي:

لا يعجبك زينها وبياض خرققتها، بكرة بتيجي الحصيدا وبتشوف فعلتها
اللي ما بتزينهاش زنودها، ما بتزينهاش خدودها
العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينة

المثل الأول يركّز على ضرورة عدم الانخداع بجمال بشرة المرأة، أو بلباسها، والأهم من كفل ذلك التركيز على فعلها الإيجابي وتأثيرها في أسرتها ومجتمعها.
والمثل الثاني يقلل من أهمية زينة الخدود، معتبراً فعل الزنود (الأيدي) أكثر أهمية، إذ ما الفائدة من امرأة جميلة من الناحية المظهرية، لكنها تفتقر إلى المهارات الحياتية اللازمة للولوج في الحياة اليومية، من مهارات علمية وبيئية واجتماعية واقتصادية ودينية.

بينما المثل الثالث يعتمد العقل بوصفه المعيار الأول في الحكم على النساء، وأن من لم تملك عقلاً راجحاً متالفاً في الحكم والتمييز وتسيير شؤون الحياة، تكون قد فقدت أمراً عظيماً من الصعب تعويضه بأية سمات مظهرية أخرى.

ويعتقد العطيات (1990) أن أكثر الناس يجعل الشرط الوحيد عند اختيار الزوجة هو جمالها المظهري، في حين أن تأثير الشكل الخارجي مؤقت، منحصر في بداية التعارف، ولا يلبث هذا الشكل أن يُنسى مع الوقت، وتحلُّ محلُّه الصورة الشاملة المكونة من مجموع ما له علاقة بالشخص ومن ضمن ذلك الشكل، ولا يعود الشكل هو المكون الوحيد للصورة، بل يدخل في ذلك السلوك اليومي الذي هو الجوهر الداخلي للإنسان أكثر بكثير من المظهر الخارجي، ومن هنا فإن بناء الزواج على أساس هشٍّ كالجمال الخارجي هو بناء على أساس فاسد.

كما أن الجميل أو الجميلة إن لم يتصفا بصفات أخرى تحرس ذلك الجمال وتصونه، فإن ذلك الجمال يكون -عادة- نقمة على أصحابه. فالشخص الجميل يكون عادة معرضاً لمحاولات الغواية والفتنة من الناس، أكثر من غير الجميل، وفي هذه الحالة فإن احتمال وقوع المخذور يزداد كلما كان رأس مال الشخص جمالاً. فالجمال الداخلي والانسجام المبني على التفاهم الفكري والشعوري بين الطرفين، أمران مهمان إلى جانب الجمال المظهري.

وإن الإنسان لا يتزوج لإشباع الميل الجنسي فحسب، بل يفعل ذلك لأغراض متعددة، منها محاولة الحصول على السكينة والطمأنينة والمودة والصدقة، فهل يستطيع الجمال وحده أن يحقق هذه الأهداف، وهل يُسرُّ الرجل المثقف بزوجة جميلة لا تفرق بين عمر بن الخطاب وعمر بن أبي ربيعة، أو بين فلسطين وإسرائيل؟. وهل تفرح مثقفة واعية بزوجها الجميل الذي لا قضية له سوى بطنه وفرجه؟ أم هل يُسرُّ الرجل الذي يريد أن يصبح له بيت وأبناء بزوجة جميلة لا تعرف من الحياة سوى الحفلات والأزياء؟

ويرى قطب (1980) أنه حين يُنظر للإنسان بوصفه جسداً خالصاً، يصبح متعة حسية بعيدة عن كل إشراق، حين يصبح ضرورة غليظة، حين يصبح جوعة طعام أو شراب

أو جنس لا تشيع ولا تهدأ، حين ينحصر في حدود ما تدركه حواسه لا يجاوزها إلى العالم الفسيح الذي تدركه الروح فيما وراء الوعي... لا يعود إنسانا، وإنما يرتكس إلى عالم الحيوان. ويعتقد الخشت (1989) أن الوجود البشري يتألف من مقومات أخرى غير الجسد مثل: الروح، والعقل، والنفس. وهذه المقومات ليست منفصلة عن بعضها، وإنما تكون وحدة واحدة، وحدة روحية عقلية نفسية جسدية، وحدة الإنسان. ولا يستطيع أي إنسان أن ينكر ما للعامل الجسدي من أهمية، لكن ليس منعزلا عن غيره من العوامل الأخرى. فقد أشارت الدراسات إلى أن العامل الجسدي الشكلي هو أكثر العوامل تأثيرا في انجذاب الأطفال والفتيات إلى بعضهم البعض، فمن كان شكله جذاباً منهم، ذكراً أو أنثى، يحظى بقبول أكبر وحب أعظم.

وقد ظهرت إشكالية الاختيار على أساس العنصر الجمالي المظهري بقوة في النقاش الديني الإسلامي اليومي، وما رافقه من اختلافات في وجهات النظر تجاه تفسير بعض الأحاديث النبوية الشريفة.

قال صلى الله عليه وسلم:

"لا تنكح المرأة لجمالها فلعلّ الجمال يردبها، ولا لمالها فلعل مالها يطغيها، وانكح المرأة لدينها" رواه ابن ماجه.

وقال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" رواه الشيخان.

ويتساءل الخشت (1988): كيف يضع الرسول صلى الله عليه وسلم عنصر من عناصر المرأة الصالحة ثم يستبعده في الحديث الثاني؟

ثم يرد: إن المقصود من الحث على الدين، وأن المرأة لا تنكح لجمالها، ليس النهي عن مراعاة الجمال وأخذه في الحسبان، وإنما النهي عن الاختيار على أساس الجمال المحض وحده دون النظر لسائر الجوانب، لأن المرأة إن كانت جميلة الجسد وليست جميلة الأخلاق، لا ينبغي الالتفات إليها، لأن بلاءها سيكون شديداً، وسيشق على الرجل مفارقتها، وستنغص عليه معيشتة، وتسود بين الناس وجهه، وتشوش الغيرة في قلبه. فهو إما أن يسلك سبيل الحمية

والأنفة فيبقى متوتراً قلقاً، وإما أن يسلك سبيل التساهل معها فيكون متهاوناً ديّوثاً، فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها. فالجمال مع فساد الأخلاق وغياب سائر مقومات المرأة الصالحة نقمة لا نعمة، ويجب أن يؤخذ الجمال مع سائر العناصر وليس وحده، لكنه أحد عناصر تقييم المرأة. لذلك من المستحبّ النظر إلى المرأة عند الاختيار، فقال صلى الله عليه وسلم: "إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة، فلينظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدّم بينكما" رواه الترمذي. يؤدّم بينكما: يؤلف بينكما.

وقد كان أسلافنا ينظرون إلى النساء قبل خطبتهن، حرصاً منهم على القيام بخطوة أولى وأساسية لإتمام زواج ناجح، واعترافاً عملياً منهم بأهمية الشكل الخارجي، إلى جانب الدين والأخلاق والمهارات العملية والذكاء، وغير ذلك من المحكّات الضرورية. فقال الأعمش في هذا المضمّار: كل تزويج يقع على غير نظر، فأخره همّ وغم.

ويلاحظ أنه كلما زادت درجة تطور الإنسان الفكري والحضاري، فإنه لا ينظر للمرأة من بعد واحد فقط، كأن ينظر إليها من جهة جماها فقط... وإنما ينظر إليها نظرة تكاملية من مختلف زوايا التقييم: العقل والجمال والأخلاق والروح الدينية. وظهرت هذه النظرة التكاملية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سُئل: أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره" رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بخير ما يكتز المرء: المرأة الصالحة، التي إذا نظر إليها أسرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته" رواه الطبراني عن عبد الله بن سلام بإسناد صحيح.

التي تسر إذا نظر إليها: كناية عن الجمال وحسن المظهر.

تطيعه إذا أمر: كناية عن توافق المرأة مع الرجل.

ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره: كناية عن حسن تدبّنها واستقامة أخلاقها. وقال

صلى الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" - حديث حسن صحيح رواه الترمذي وأبو داود.

وقد وردت أمثال أخرى تؤكد أهمية التدقيق في اختيار الزوجة منها (يا ميخذ القرد على ماله، بروح القرد ويظل القرد على حاله)، ومعناه أن المال لن يرفع من مستوى القرد، والمراد من ذلك المرأة الغنية، فمعيار المال بمفرده ليس معياراً جدياً وصالحاً للاختيار لأن المال قد يزول في أية لحظة، وتبقى المرأة كما هي دون أي تقدم.

وفي مثل آخر (زينة البنات لا توخذ، دور على الأصيلة).

وتحل الكارثة إذا فقدت المرأة الزين والعقل معا (لا زين فيها ولا عقل مواريتها).

وتؤكد بعض الأمثال على ضرورة تحري حقيقة أم العروس بحيث تكون من النوع الحر وشبهها المثل بالذهب (بنت الحرة زي الذهب في الصرة).

واللباس يجب أن لا يخدع الناس عند الزواج، لأن الجمال يكون ذاتياً، ولا يأتي من اللباس (اللي ما بتزينه عروقه، ما بتزينه خروقه)، ويلاحظ أن العروق قد استخدمت للدلالة على جمال الجسم.

وقد يخطئ الرجل في اختيار الزوجة من خلال انخداعه بالمظهر المصطنع، فيقع في مشكلة حياتية يصعب حلها إلا من خلال توضيحات كبيرة (بخت الرمايم قايم، وبخت الزينات نايم). وهل صحيح أن من يأخذ الجميلة يستريح (خذ مليح واستريح)؟.. هو خطاب للمذكر مع أن المثل ينطبق على الجنسين. وهل الملاحه وحدها مدعاة للراحة؟ وهل الزواج من المرأة الجميلة يسمح للرجل بالجلوس في البيت والامتناع عن العمل (خذ الجميل واقعد في ظله)؟

والجواب لا، لأن هذه المرأة بحاجة إلى أن يشتغل الرجل ليلاً ونهاراً من أجل تلبية رغباتها، خاصة إذا كانت لا تملك من المؤهلات غير هذا الجمال.

ويحلل عطيات (1990) بعض الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن تحليلاً لطيفاً ارتأى الباحثان تضمينها في هذه الدراسة، لما تتميز به من عمق في التحليل، وتضيف لهذه الدراسة معاني جديدة، وقد تسهم الأمثال المضافة في زيادة توضيح معاني الأمثال المدرجة ضمن عينة الدراسة.

الأمثال:-

- (1) باخذ الغندور ولو سكتني في القبور.
 - (2) خذي الحلو واتملي فيه، اغزلي واطعميه.
 - (3) خذ الحلو واقعد قبالة، وإن جعت شاهد جماله.
- تحت هذه الأمثال على الزواج بجميل الشكل بغض النظر عن النتائج المترتبة على ذلك، كأن الزواج رحلة تستغرق يوماً أو بعض يوم. والزواج قفص حقيقي إن دخله المرء، أصبح من المحتم عليه أن يتكيف داخله، والتراجع عنه يؤدي إلى خسائر فادحة في الأموال والأعصاب وراحة البال.

إن الغندور الذي لا يملك سوى غندرته سيصيب زوجته بالجلطة تلو الجلطة نتيجة عطفه وحنانه على الأخريات اللواتي يُردن التمتع به مع استعدادهن لإسكانه لا بين القبور وإنما بين القصور. أما التي تاخذ الحلو لحلاوته ولو أدى الأمر إلى أن تغزل بيدها لإطعامه، ستعلم بعد حين أن الحلو لن يبقى جالساً منتظراً حتى تبيع غزلها وتطعمه، لأن هناك من عندهن الاستعداد لإطعام هذا الحلو التافه ما لذ وطاب. وإن الحلو لن يظل جالساً قبال المرأة حتى تشبعه لأنه ليس بالجمال وحده يحيا الإنسان. ولما كنت قد اخترت الحلو لحلاوته وحسب، فالغالب أن مثل هذا الحلو لا تحكمه في السلوك مفاهيم راقية، بل تسيره المصلحة والمنفعة، ومن هنا فإنه يبحث عن تكافئه مقابل تمتعها بجماله، ولا يكفيه استعدادها للصوم مقابل ذلك. وإن كنا نعذر العجائز في اعتماد معايير الحسن والجمال فإننا لا نعذر الشباب المثقفين الذين يرتكبون نفس الخطأ.

وذكر الخشت في دراسته (1988) تسعاً وخمسين صفة للمرأة المثالية، تمحورت غالبيتها العظمى على صفات لا تتعلق بالجمال المظهري، وإن تحدث بعضها عن ضرورة حفاظ المرأة على مظهر لائق أمام زوجها. والصفات هي:

أن تكون منطقية في متطلباتها، وأن لا تنسى أنها أنثى، ولا تحتلق النكد، وتحافظ على صورتها الحلوة التي رآها عليها الرجل أول مرة، واللباقة، والحرص على تحصيل خبرات جديدة، ومستقلة الشخصية، وتحسن معاملة أهل الزوج، وأن تكون نظيفة وتحافظ على

النظافة، ولا تفرط في الزينة، ، ومستقلة الشخصية، وتحسن معاملة أهل الزوج، ومخلصة لزوجها، وغير مسرفة في الاختلاط بالجيران، ولا تركز على ماضي زوجها، ولا تعتبر المال أصدق دليل على الحب، وليست مسرفة في طعامها وشرابها، وليست مهملة، وتقدر الأمور بقدرها، ولا تحمل سجلاً أسود لنقائص زوجها، وتتخذ موقفاً إيجابياً تجاه عيوبها وعيوب زوجها، وتتنزّه عن الشجار والجدال، ولا تدفع زوجها للتهوّر من خلال تهويل النزاع، ليست خداعة ومزيّفة للحقائق، وليست متّانة، وليست أئانة أو متمارضة، وغير ثرثارة أو متشدّقة، وغير برّاقة، وغير حدّاقة: أي لا تتطلع إلى ما يملكه الآخرون من مقتنيات جذّابة، ولا تضع نفسها في موضع التهم، وتفهم الرجل وتحاول التكيف معه، وتحسن تدبير شؤون المنزل، ولا تضع حق زوجها بحجة حق الله، ولا تفشي سراً، وتشارك زوجها حلّو الحياة ومرّها، وتوافق رغبات زوجها ولا تخالفه إلى ما يكره، وتعيد فن الحديث، وتعبر عن مشاعرها وتعطي زوجها الفرصة ليعبر عن مشاعره، وتشارك زوجها حلّو الحياة ومرّها، وتوافق رغبات زوجها ولا تخالفه إلى ما يكره، وتعيد فنّ الحديث، وتعبر عن مشاعرها وتعطي زوجها الفرصة ليعبر عن مشاعره، وترضى بما قسم الله لها، وغير مفرطة في الغيرة، وليست متكبرة، وتحدث بنعمة ربها أو على الأقل لا تنكرها، وليست لعوباً، وتعطي قبل أن تأخذ، وتتجنب التوافه، وليست مترددة، وليست لوّامة، ووفية بعهدّها، وتحترم رغبات زوجها وذوقه، ولا تترك أولادها للخدم أو للشارع، وليست روتينية في حياتها، ومتجددة، ولا تحب إلا رجلاً واحداً، وتحسن الاستماع إلى زوجها، ولا تتبع الرجل كظله، وليست لحوحاً، وليست نزّاعة للسيطرة، ومنظمة... لكن ليس إلى درجة الهوس، وصبورة، ولا تشوّه صفاتها الجميلة... كالحنان، والوفاء، والوقار، والاستقرار، والتنظيم، والجلد.

ويرى الباحثان أن هذه الصفات جوهرية فعلاً، وأن عدداً كبيراً من هذه الصفات يجب أن تتوفر في الرجل المثالي أيضاً، وهي صفات يجب أن تطلبها المرأة في الرجل، مثلما يطلبها الرجل في المرأة، لأنها صفات إنسانية وليست مرتبطة بالجنس.

مناقشة النتائج

عرضت الدراسة تحليل المعاني المتضمنة في ظلال ستة وعشرين مثلاً شعبياً من الأمثال المتعلقة بالماء والخضراء والوجه الحسن، واستقراء دلالاتها الفكرية والتربوية.

والمتمعن بدقة في هذه الأمثال، يتوصل إلى الحقيقة القائلة بوجود معنيين للمثل الواحد، المعنى الظاهري والمعنى المجازي. وحتى المعنى الظاهري فإنه يمكن تفسيره بأكثر من طريقة ووجهة نظر، كما هو الحال في المثلين الآتيين:

المثل الأول: الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها.

المثل الثاني: إن جار عليك الزمن جور على الأرض.

ويجد المتدبر لمعاني الأمثال أن الأمثال المدرجة ضمن موضوع واحد، يمكن أن تحتل معاني متضاربة، فالمثل (يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان) يعتبر بياض بشرة المرأة المحك الوحيد لاختيار الزوجة، بينما نجد تناقض وأمثال أخرى تتحدث عن أسس اختيار الزوجة ومعايير جمالها كما في الحالات الآتية:

فالمثل (ما زين إلا زين العين) يركز على جمال العين وليس على لون البشرة.

والمثل (لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة تيجي الحصيدا وبتشوف فعلتها) يركز على قدرة المرأة على العمل، ويحتقر اعتماد جمال الجسم والثياب في تصنيف النساء. والمثل (العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينه) يعتبر المستوى العقلي للمرأة هو أساس المفاضلة وليس جمال الوجه.

أما المثل (زوق الصوصة تصير عروسة) فيعطي الجمال المظهري الصناعي أهمية أكبر من الأهمية المتعلقة بالجمال الطبيعي أو المستوى العقلي والأخلاقي.

بينما نجد أن المثل (الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة) يشنع على من تمتلك الجمال الجسدي على حساب العقل.

ويعزو الباحثان تضارب الأمثال في معايير المفاضلة بين النساء، إلى نشوء الأمثال في بيئات فلسطينية متباينة ثقافياً، فينتشر مثلٌ معيّن في بيئة معينة، ولا ينتشر في بيئة أخرى، وقد تكون البيئتان في نفس المحافظة.

وظهر للباحثين أن الأمثال قد تكون إيجابية في حثها على القيم الإيجابية البناءة للمجتمع، وقد تكون سلبية في تركيزها على بناء قيم هدامة وتؤدي إلى تأخر المجتمع. وقد يجد القارئ بعض المثل المتناقضة مع مضامين الدين الإسلامي الحنيف، بينما نجد أمثال أخرى تتفق معه، وبعضها الآخر يساعد على تثبيت الهوية الوطنية من خلال حثها على التمسك بالأرض الفلسطينية التي تتعرض يومياً للمصادرة، واعتبارها الأرض مكافئة للعرض، وحثها على خدمة الأرض وإصلاحها وزراعتها... فبمقدار خدمة الإنسان لها تخدمه.

والمتدبر للأمثال المتضمنة في عينة الدراسة، يجد أنها تحث على تمثّل بعض القيم الإيجابية والمثل التربوية، ومنها:

- (1) ضرورة الاهتمام بمصادر المياه، واعتبار الماء سلعة استراتيجية للوطن وللبيئات المحلية، في ظل هجمة صهيونية شرسة للاستيلاء على مصادر المياه الفلسطينية.
- (2) من سمات الإنسان الفاضل: الصدق قولاً ووعداً، وأن يكون كريماً ومبتعداً عن البخل والشح، فلا يكون كمن يرسل شخصاً للبحر ويرجعه عطشاناً.
- (3) الابتعاد عن إثارة الخلافات بين الناس، مع ضرورة التمسك بالقيم الدينية والوطنية، التي تحجز للإنسان محلاً محترماً في المجتمع.
- (4) على الإنسان أن يشكر من يقدم له معروفًا، ولا ينكر الجميل.
- (5) ضرورة اعتماد المحكّات الإنسانية والمضامين الجوهرية عند اختيار المرأة للزواج، كالعقل والعلم والذكاء والطلاقة اللغوية والدين، وتجنب الاقتصار على جمال الوجه، وطول القامة، إلا إذا اجتمعت هذه المحكّات في امرأة واحدة، حينها نحمد الله سبحانه وتعالى، ونكرر المثل (الخير خيرين)، أي أن الخير أصبح مزدوجاً ومضاعفاً.

التوصيات

يوصي الباحثان بما يأتي:

أولاً: تضمين الأمثال في المناهج المدرسية والجامعية، لما لها من دور كبير في تحفيز خيال الطلبة، وتطوير لغتهم اليومية.

ثانياً: إجراء دراسات أخرى حول الدلالة التربوية للأمثال أخرى متداولة على ألسنة العامة، أو موثقة في الكتب والموسوعات المتخصصة في الموضوع.

ثالثاً: تشجيع الطلبة في المدارس والجامعات على دراسة الموروث الشعبي من الأمثال، من خلال تكليفهم بإجراء أبحاث وتقارير وإلقائها خلال المحاضرات والإذاعات المدرسية.

رابعاً: على أصحاب القرار اتخاذ خطوات إيجابية في رسم السياسة العامة وتنفيذ الخطط المستقبلية، لتحقيق التكيف الفكري لشخصية الفلسطيني، وتلبية احتياجاته ضمن الواقع الذي يعيش فيه، عبر فهمه للمعاني العملية المكثفة والمختزنة في الأمثال الشعبية.

مقترحات تربوية للمدرسة الفلسطينية

يشكل التراث مكوناً مهماً من مكونات المجتمع، ويمثل تراكمًا تاريخياً له، وتعنى دراسة التراث بالتركيز على عادات وقيم وفنون وثقافة المجتمع. وقد حرصت كثير من الدول المتقدمة مدنياً على إحداث نقلة تكنولوجية متقدمة دون المساس بتراثها، أي أنها قامت بالمزاوجة بين أصالتها والتطورات المعاصرة ونجحت في ذلك إلى حد كبير، كما حدث في اليابان والصين سابقاً، وتركيا وماليزيا هذه الأيام.

والفلسطينيون اليوم بأمس الحاجة إلى المحافظة على تراثهم والاستفادة من إيجابياته، والولوج في باب المعاصرة والتحديث في الوقت نفسه، والمؤسسة التربوية تمثل ذلك الباب، إذ يتم البدء من المدرسة، تلك المؤسسة التربوية التي يبدأ فيها أطفالنا حياتهم التعليمية والتربوية. ورأى الباحثان أن يضعاً مجموعة من المقترحات بين أيدي المسؤولين التربويين الفلسطينيين ومديري المدارس، والتي قد تسهم في انخراط المدرسة مباشرة على رأس الجهود التي تسعى للمحافظة على التراث، وتنقيته، والاستفادة من إيجابياته.

أ- تأسيس أجنحة تراثية دائمة في المدارس تضم كل ما يمكن جمعه من التراث المادي كأدوات الصناعة والزراعة، والأدوات التي كانت تستخدم لتسهيل حياة الفلسطيني اليومية، مع ضرورة تثبيت نشرات تعريفية بهذه الأدوات. كما تضم معارض للألبسة التراثية الفلسطينية.

- ب- تشجيع طالبات المدارس والجامعات على ارتداء ألْبسة التراثية، ليس بهدف الاستعراض في المناسبات فقط، وإنما لتكون ألْبسة دائمة وعن قناعة راسخة، خاصة وأن الكثير من هذه الملابس تنطبق عليها شروط اللباس الشرعي.
- ت- تنشيط المطبخ التراثي المدرسي، من خلال إعداد وجبات غذائية تراثية، وتشجيع الطلبة على تناولها.
- ث- تدريب الطلبة على الفنون الشعبية التراثية كالذبكة والشعر الشعبي والغناء والعزف على الأدوات الموسيقية الشعبية كالشّابة وغيرها، وتشكيل الفرق الطلابية المهتمة بهذه الموضوعات، وإجراء المسابقات المتنوعة بين المدارس في هذا المضمار.
- ج- تزيين الغرف الإدارية المدرسية والممرات بالأدوات والمواد والصور التراثية المتنوعة.
- ح- تشجيع الرحلات المدرسية إلى المواقع والمعارض التراثية.
- خ- تكليف طلبة المدارس بإجراء دراسات حول التراث الشعبي الفلسطيني بأشكاله كافة، على أن تتضمن مقارنات مع التراث اليهودي، بهدف دحض الادعاءات الإسرائيلية القائمة على مزاعم ملكية بعض أشكال التراث الفلسطيني وتهويدها تحت سمع وبصر العالم، وكذلك إجراء دراسات تحليلية للأمثال الفلسطينية والعربية.
- د- تشجيع الطلبة على فهم وحفظ الأمثال العربية والفلسطينية خاصة، واستخدامها في خضمّ الحياة اليومية، مما يكسب الطلبة فهماً وفصاحةً وتشبيهات مميزة، مما قد يؤدي إلى تثبيتها في أذهانهم وتسهيل نقلها للأجيال التالية.
- ذ- كتابة بعض الأمثال ذات المدلولات الإيجابية على جدران المدرسة أو على لوحات خاصة، لتبقى تحت بصر الطلبة، بهدف ترسيخها في عقولهم واستخدامها عند اللزوم.
- ر- نشر ثقافة المحافظة على التراث الشعبي الإيجابي من خلال مجلات الحائط والمطويات والإذاعة المدرسية.
- ز- اعتماد موضوعات التراث الشعبي ومنها القصص الشعبي في المناهج المدرسية، ضمن مواد اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، وتكليف الطلبة على شكل مجموعات بالقيام

بمشاريع بحثية يُرصد لها درجات معينة، بهدف مشاركة جميع الطلبة في العمل الجماعي، وضمان اهتمامهم الجدي بالموضوع.

س- تثقيف الطلبة في مجال عدم الإسراف في استهلاك المياه، والتركيز على دعوة الإسلام للمحافظة على الماء، كما قال الرسول-عليه السلام-: 'كلوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة' رواه النسائي وابن ماجه. وكما نهى عن الإسراف في ماء الوضوء حتى لو كان الإنسان على نهر جارٍ، وغير ذلك من النصوص الشرعية والأدبية. كذلك إرشاد الطلبة إلى متابعة التسريبات المائية بمنزلهم وإجراء الصيانة اللازمة، واستخدام أدوات الترشيح المائي.

ش- إشراك الطلبة في أعمال تطوعية لزراعة الأراضي الخاصة والعامة، بهدف المساهمة في حماية الأرض الفلسطينية من سرطان الاستيطان، وغرس حب الأرض في قلوبهم، وترسيخ انتمائهم لأرض فلسطين المقدسة، وتعويدهم على العمل اليدوي خاصة ما يكون في الأرض.

المراجع

- إبراهيم، زهير(2013). أدب الأمثال الشعبية في المأكولات النابلسية، دراسة مقدمة إلى المؤتمر الرابع للتراث الشعبي الفلسطيني في محافظة نابلس :هوية وانتماء ، نابلس ، جامعة القدس المفتوحة ، 26 /3 /2013م.
- إبراهيم، نبيلة (1974). أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط2، القاهرة: دار نهضة مصر.
- الأشهب، رشدي(2000). حكايات شعبية من القدس.
- باز، بطرس(بدون تاريخ). جواهر الحكم، عمان: المطبعة الاقتصادية.
- البرغوثي، عبد اللطيف: القاموس العربي الشعبي الفلسطيني ، الجزء الأول-الجزء الثالث، 1987-1993-1998م.
- أبو زر، ماهر فؤاد(2004). أخطاء عقائدية في الأمثال والتراكيب والعادات الشعبية الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.

- حداد، منعم (1989). المثل الشعبي والمثل الرسمي، الأسوار للأبحاث الفكرية والثقافية والوطنية، العدد الثالث، عكا.
- الحمامده، محمد (1998). القصة الشعبية والتربية البدوية، مجلة التراث والمجتمع، العدد الثاني والثلاثين، البيرة- فلسطين.
- حسن، عمر خليل (1988). المرأة والمثل الدارج في فلسطين، التراث والمجتمع، عدد 19، البيرة- فلسطين.
- حنا، جبران سمارة (2000). نفحات عطرية من القصص التراثية، غزة: مؤسسة ينابيع.
- حوى، سعيد (1988). المستخلص في تزكية الأنفس، ط4، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- الخشت، محمد عثمان (1988). المرأة المثالية في أعين الرجال، القاهرة: مكتبة ابن سينا.
- خليل، سميحة (1997م): حكاية من بلدي، مجلة التراث والمجتمع، العدد السابع، أيار.
- سويلم، صالح (2011). صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 7، ص 34-41.
- صالح، أحمد رشدي (1959). فنون الأدب الشعبي، ج2، القاهرة: دار الفكر.
- شكارنة، عمر (1999). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 34، البيرة- فلسطين.
- شكارنة، عمر (1999). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 33، البيرة- فلسطين.
- شكارنة، عمر (1998). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 31، البيرة- فلسطين.
- شكارنة، عمر (1998). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 32، البيرة- فلسطين.
- شكارنة، عمر (2000). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 35، البيرة- فلسطين.

- شير، مينيكا (2004). النساء في أمثال الشعوب إياك والزواج من كبيرة القدمين، ترجمة هالة كمال ومنى إبراهيم، القاهرة: دار الشروق.
- شملان، إبراهيم أحمد (1972). الشعب المصري في أمثاله العامية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- عساف عبد وحمد، علي خليل (1998). حكايات فلسطينية للأطفال، نابلس.
- العطيات، أحمد (1991). أمثالنا الشعبية في الميزان، ج 1، ط 1، عمان.
- عمار، حارص. الأمثال الشعبية ودورها في تنمية التفكير الناقد والقيم لدى تلاميذ الحلقة الإعدادية من خلال تعليم الدراسات الاجتماعية وتعلمها. مجلة نهر العلم (kenana online.com).
- عرنيطه، يسرى جوهري (1968). الفنون الشعبية في فلسطين، بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية.
- قباجي، مولود طه (1970). الأمثال التركمانية، قيمتها ودلالاتها التاريخية، مجلة التراث الشعبي العراقي، عدد 90.
- قطب، محمد (1980). منهج الفن الإسلامي، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار الشروق.
- كراب، الكزاندر هجري (1967). علم الفولكلور، ترجمة رشدي صالح، القاهرة: دار الكتاب.
- كناعنة، شريف (1992). الدار دار أبونا- دراسات في التراث الشعبي، القدس: مركز القدس العالمي للدراسات الفلسطينية.
- الكندري، لطيفة حسين ومالك، بدر محمد (2011). صورة المرأة في الأمثال الشعبية من منظور طلبة كلية التربية الأساسية في الكويت.
<http://latefah.net/artic2/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%85%d8%ab%d8%a7%d9%84.pdf>
- المبيض، سليم عرفات (1986). الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.

- محمد عليان، محمد (2009). من صور التراث الشعبي في القدس: المثل المقدسي، دراسة مقدمة لمؤتمر التراث الشعبي الفلسطيني في القدس الشريف: هوية وانتماء، جامعة القدس المفتوحة - رام الله، 29/12/2009 م. - كتاب وقائع المؤتمر.
- مهدي، محمود (الماء في الدراسات التراثية). مقال على موقع الوعي www.alwae.com
- نجم، منور عدنان وعلي، عزيزة عبد العزيز (2006). صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية. دراسة مقدمة للمؤتمر العلمي التاريخ الشفوي: الواقع والطموح (15-16 أيار)، الجامعة الإسلامية، غزة.
- نعيمة، عبد الفتاح ناصف (الماء تلك النعمة المهدرة). موقع المختار الإسلامي، ar.islamway.net/article
- النمورة، محمود طلب (1998). الفلكلور في الريف الفلسطيني، القدس: مطبعة الأمل.

مواقع الكترونية

(kenana online.com)
www.alodaba.com
<http://latefah.net/artic2/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%85%d8%ab%d8%a7%d9%84.pdf>
ar.islamway.net/article
tymaroc.ibd.a3.org/t1-topic

ملحق (عينه الأمثال)

أولاً: الأمثال المتعلقة بالماء.

- (1) تاجر المية مش خسران.
- (2) وداه على البحر ورجعه عطشان.
- (3) بتصيد في المية العكرة .
- (4) بنشرب مع المية العكرة .
- (5) عطشان وحامل المية على ظهره .
- (6) البير اللي تشرب منه لا ترمي فيه حجر.
- (7) المية ما بتمر من عطشان.

ثانياً: الأمثال المتعلقة بالأرض والنباتات.

- (8) الأرض بتنقاس بالشبر.
- (9) الأرض ما تخبر عن اللي في بطنها.
- (10) اتعب على أرضك بتتعب عليك.
- (11) الأرض الواطية بتشرب ميتها وميت غيرها.
- (12) اللي ما له أرض ما له عرض.
- (13) الأرض للي بيزرع ويفلح ويقلع.
- (14) إن جار عليك الزمن جور على الأرض.
- (15) لأجل الورد يشرب العليق.
- (16) الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة.

ثالثاً: الأمثال المتعلقة بالوجه الحسن (الجمال والزين).

- (17) ما زين إلا زين العين.
- (18) لا يعجبك زينها وبياض خرقتها، بكرة بتيجي الحصيدو وبتشوف فعلتها.
- (19) العقل بالراس زينة، اللي عدمته حزينة.
- (20) اللي ما بتزينهاش زنودها، ما بتزينهاش خدودها.
- (21) يا ماخذ البيض يا مقضي الزمان فرحان.
- (22) زوق الصوصة تصير عروسة.

**القيم الجمالية
في الأمثال الشعبية الفلسطينية**

القيم الجمالية في الأمثال الشعبية الفلسطينية (1)

د. إدريس محمد صقر جرادات د. سامي الزبيدي

ملخص:

سعت الدراسة إلى توضيح القيم الجمالية في الأمثال الشعبية الفلكلورية في فلسطين وذلك للعمل على إحياء هذا الجانب الهام من تراثنا الشعبي والعمل على تقليل حجم المعاناة التي يتعرض لها الشخص في ممارساته اليومية وتقديم معلومات تخدم أصحاب القرار في اتخاذ خطوات إيجابية في رسم السياسة العامة بالاستناد إلى الموروث الشعبي المقارن. حاولت الدراسة الإجابة على الأسئلة الآتية:

- 1- ما الأمثال الشعبية الفلسطينية والتي تمارس في الواقع الشعبي والتي لها علاقة بالجمال؟
 - 2- ما الدلالة التربوية للأمثال الشعبية الفلسطينية من خلال التحليل؟
- اعتمد الباحثان المنهج التحليلي (تحليل المضمون) للدلالة على القيم الجمالية لعينة من الأمثال الشعبية باستخدام الملاحظة المقصودة غير المباشرة للأمثال الشعبية التي تُروى على ألسنة الرواة وبالرجوع إلى النشرات والكتب والدوريات وأرشيف مراكز التراث الشعبي. أشارت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن المثل الشعبي الفلسطيني تناول الجمال بكافة جوانبه الظاهرة، والباطنية، والصورة الكلية والجزئية، وفرعياتها، كما تناول المثل التناقض مع الطبيعة المحيطة، وأشار أيضا إلى مظاهر القبح كنقيض للجمال. كما أشارت الدراسة إلى مجموعة من المقترحات والتوصيات العامة والبحثية والأكاديمية لاستكمال إجراء دراسات علمية في هذا المجال.

(1) د. سامي جودة الزبيدي - أستاذ جامعي كليات الجامعة الأهلية ومعهد اعداد المعلمين - العراق -

د. إدريس جرادات - مدير مركز السنبال للدراسات والتراث الشعبي - سعين - الخليل - فلسطين

الإطار العام للبحث*

مقدمة:

المثل الشعبي : هو تجربة أو موقف ضخيم يختزل في جملة قصيرة يحمل قيمة أو حكمة لموقف قد يتكرر في زمن مختلف. وكذلك يمكن القول أن المثل الشعبي هو قيم أو حكم تتوارثها الشعوب جيل عن جيل يعطي - رغم اختزاله - تصورات واضحة عن أدبيات الشعوب وعاداتها وطباعها وأخلاقياتها. فهو يشكل بعض معتقدات الشعوب المتناقلة شفهيًا عبر مراحل الزمن ، هو انعكاس لثقافة ووجدان الشعوب ، لذا نجد أغلب الشعوب تحتفظ بأدبها الشعبي لأنه جزء من تجربتها الحية ، وموروثها الإنساني

شفاهية تنقل المثل الشعبي بين الناس وسهولة حفظه، ساعد في تشكيل أنماط من الاتجاهات الاجتماعية ، وتحولها إلى أنماط مقبولة، لأنها ارث اجتماعي ، يحمل في مبادئه تجارب اجتماعية معمقة ، ليس سهلا التخلي عنها ، أو تغييرها ، والمثل الشعبي حاله حال الآداب الشعبية يقبل السيورة ، ويخضع في كثير من صورته إلى التماهي مع الأمثال الشعبية عند شعوب العالم الأخرى ، لا سيما التي توجد بينها مقاربات في أحوالها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والأخلاقية .

من الصعب تحديد تاريخ معين للمثل الشعبي ، إذ أن الإنسان استخدم المثل للتعبير عن مواقفه ، وإن المواقف بدأت مع وضع الإنسان قدمه على الأرض، هذه المواقف ذاتها كانت تشكيل لقيم وعادات الإنسان وأخلاقه، لذا لخص مواقفه ورمزها لتسهيل على ذاكرته حفظها واسترجاعها عند تكرار الموقف وإن اختلف الزمن ، وتغيرت المؤثرات إلا أن المواقف قد تشابه في مضامينها وتختلف في إشكالها وظروفها .

ليس بالضرورة أن تستمر الأمثال التي تطرح في معالجاتها للواقع، فقد تختفي الكثير منها وتحذفها الذاكرة، لعدم توافر عامل التكرار الذي يحفظ استمرارها وإبقائها في دائرة التداول والتعامل ، والذي يستمر منها ما هو منسجما مع مواقف الناس حيث تعيده الذاكرة مع تعرضها لهزات المواقف وتحدياتها .

وقد يحمل المثل حلولاً إيجابية للكثير من هذه التحديات ويدعو إلى تجاوزها والاستمرار في السير متخطياً المرحلة دون توقف ، ومنها ما هو سلبي يدعو إلى التقاعس والتراجع وإقفال أبواب التفكير واليأس من الحلول لأن الكثير ممن جربوا فشلوا .

هذا وذاك كلها تجارب اجتماعية حية عاشها الناس وخلصوا منها إلى هذا التقييم بفرعيه الإيجابي والسلبي ، وهو صورتان لواقع واحد تتصارع فيه قوتان ، قوة الإصرار والعزيمة ، وقوة الضعف والهزيمة، المورث يحمل لنا الصورتين معا ، وهنا يأتي دور الثقافة في التعامل مع المثل في تكوين القيم والاعتقادات، وكيفية التعامل معهما تعاملًا إيجابيًا، ولاستفادة من الإيجابي في تكون قيم إيجابية ومعتقدات صحيحة، والتنبيه إلى السلبي منها وتصحيح مساراته وتجاوزه ومحاولة تخطيه، أو حذفه من ذاكرة النشء واستبداله بغيره في تكوين الاتجاهات الصحيحة النافعة. توثيق المرجع***

تعتبر الأمثال الشعبية من المجالات الهامة التي تؤسس للهوية الذاتية للشعب والأمة من خلال عمليات السرد على نطاق الأسرة النووية والممتدة والعشيرة سواء في البيت أو المضافة أو شق العرب أو الجلسة حول الموقد أو في محرم وخدر النساء أو الحكواتي في حله وترحاله لأنها نتاج أدبي مجهول المؤلف.

لسرد الأمثال الشعبية ضوابط مهمة وتحتاج إلى قوة ذاكرة ومهارة في العرض والقدرة على التأثير في المستمعين من خلال الاستماع والإصغاء والمشاركة الوجدانية والمتابعة مع الراوي .

للأمثال الشعبية رسالة تربوية تسعى إلى تحقيقها من خلال التهيئة الوجدانية والإدراكية وترك الأثر البليغ في النفس من خلال رواية أخبار ومواقف واقعية أو خيالية يعجب بها الناس وتربي لقيمة خلقية معينة تشتق من الكتب المقدسة أو أساطير الأولين والحيوانات والشعوب والبداءة والريف والحضر والبطولات والمغامرات وممارسات الحياة العامة.

الأمثال الشعبية تستمد محتواها من التقاليد والعادات والطقوس الدينية والمعتقدات الشعبية والظواهر الكونية والتي تنقل من السلف إلى الخلف ومن الآباء والأجداد إلى الأبناء،

وهي قابلة للتطور والتجديد وتعرض لعمليات حذف وإضافة وتعديل وهي انعكاس للوجود الاجتماعي.⁽¹⁾

ويرى كناعنة أن الأمثال الشعبية من أكثر أنواع التراث الشعبي انتشارا وتداولاً، فاستعمالها لا يتطلب أية مواصفات أو مهارات معينة من قبل المستعمل، ولا توجد أية ظروف نفسية أو مناسبات اجتماعية يمنع معها استعمال الأمثال، وإن لكل طرف ولكل مناسبة مجموعة من الأمثال تتناسب معها.⁽²⁾

ولم يترك المثل في حياة الناس ميداناً من الميادين، إلا وله فيه قول، ويؤيد ذلك المثل نفسه عندما يقول: ما خلى المثل قول إلا قاله. ويعتبر المثل الشعبي فرعاً من أهم فروع الفولكلور أي (علم العامة)، وهذا العلم بأمس الحاجة إلى الجمع والتحليل في فلسطين. وقد نهل المثل الدارج في فلسطين من المنهل الشعبي باستخدام العبارة البسيطة الساذجة المرسلة، أو المصنعة التي ترمي إلى القصص والتصوير، أو إلى الألغاز واللعب بالألفاظ، وظهر الفكر ركيكاً ينم عن ضحالة الفكر وسطحية التجربة، وذلك كله بسبب انصراف الناس عن اللغة الفصيحة بطغيان الجهل وندرة المتعلمين، مما جمد القرائح، وتدنى بالفكر، ففسدت ملكة اللسان، وانحط الأسلوب الإنشائي في الغالب، خاصة في العهد التركي الذي امتد أربعة قرون. لكن ذلك كله لم يمنع الاستفادة من هذه الأمثال في دراسة النواحي الفكرية للمجتمع، بل هي مرتع خصيب لدراسة جوانب الحياة الشعبية.⁽³⁾

*مقتبس من دراسة د. ادريس جرادات، د. زهير الحروب بعنوان: الماء والخضراء والوجه الحسن في المثل الشعبي الفلسطيني، 2013م - دراسة غير منشورة.

(1) (النمورة، 1998).

(2) كناعنة (1992)

(3) (شكارنة، 1999، عدد 34).

مشكلة الدراسة:

وجد الباحثان من خلال علاقتهما على موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك ومن خلال الايميل أن هناك حاجة ماسة لدراسة هذا النمط من التراث الشعبي الذي يتعرض لعمليات إهمال وتشويه وإقصاء في ظل عصر العولمة وعدم انتباه، وعليه يمكن الإشارة إلى ما يلي :

1. أولاً: هناك تساؤل واضح حول أهمية رواية الأمثال الشعبية المذكورة بقيم المجتمع التربوية في ظل عصر العولمة وطغيان الفضائيات والانترنت .
2. ثانياً: هناك شعور سائد بأن القائمين على صناعة القرار في الدوائر الحكومية الرسمية لا تعطي الأمثال الشعبية الاهتمام الكافي.

حدود الدراسة:

تحدد الدراسة وإمكانية تعميم نتائجها المحددات الآتية:

- *الحدود الموضوعية: وتتضمن سرد الأمثال الشعبية كما هي على لسان الراوي باللهجة المحكية. وقد حدد الباحثان عينة من الأمثال المتعلقة بالجمال ، بوصفها بؤرة الدراسة.
- *الحدود البشرية: جمع الأمثال الشعبية من الآباء والأجداد والكتب والنشرات والمراجع التراثية من أرشيف مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي في سعين-الخليل-فلسطين..

- *الحدود الزمنية: تم جمع الأمثال الشعبية خلال العام 2013/2014م.
- *الحدود المكانية: تطبق الدراسة في منطقة الريف الفلسطيني- الضفة الغربية ومن منطقة الخليل خصيصاً.

أهداف الدراسة:

- 1-العمل على إحياء جانب مهم من التراث الفلسطيني المهمش وهو الأمثال الشعبية لتنميتها والحفاظة عليها.

- 2- تقديم معلومات تخدم أصحاب القرار في اتخاذ خطوات إيجابية في رسم السياسة الثقافية العامة والخطط المستقبلية بإظهار الأمثال الشعبية ونشرها عالميا بما ينسجم مع الأهداف المتوخاة في صياغة الشخصية المؤمنة بأهدافها.
- 3- استقصاء الدلالات الجمالية لعينة من الأمثال الشعبية الفلسطينية، وذلك لأهميتها في حياة الفرد والمجتمع.

أهمية الدراسة

- 1- تعتبر هذه الدراسة من الدراسات والبحوث القليلة والنادرة التي تتناول هذا الموضوع فالأمثال الشعبية من مؤشرات التواصل الاجتماعي والثقافي للبلد والشعب وفيها صدى الماضي بصوت الحاضر.
- 2- يمكن أن يشكل البحث إضافة علمية إلى المكتبة المحلية والتي هي بحاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات، فهي تحتزن التراث وتصور واقع المجتمع ومشكلاته وحاجاته وإمكاناته.
- 3- استفادة التربويين واللغويين والباحثين من هذه الدراسة، خاصة أن الأمثال الشعبية مصدر وفير للتجارب الشخصية الفردية والجماعية، وتقدم مادة أدبية ممتعة يخلق فيها الخيال بلا قيود والتي تعبر بعفوية عن واقع الأمة والشعب والأقليات العرقية في المجتمع.

مصطلحات الدراسة

- ***المثل الشعبي في اللغة:** من الجذر الثلاثي مَثَلَ، ومنه المثل والمثل معناه الشبيه والنظير المثل جمعها أمثال، وهو القول السائر بين الناس المثل بمضربه، أي الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام.
- ***المثل الشعبي اصطلاحاً:** قول موجز قيل في مناسبة ما، وأصبح يُتمثل به للتعبير عن كل حالة تشبه هذه المناسبة التي قيل فيها .⁽¹⁾

(1) (النمورة، 1998).

وهو قول مأثور تظهر بلاغته في إيجاز لفظه، وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة، وأخذ ليقال في مثل تلك المناسبة.

منهج الدراسة وإجراءاتها:

تتبع الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي (تحليل المضمون) الذي يسير وفق الخطوات التالية:

- 1- الجانب الوصفي لواقع الأمثال الشعبية والتشبيهات في الريف الفلسطيني-الضفة الغربية.
- 2- الجانب التحليلي (تحليل المضمون) للدلالة الجمالية والمحتوى لعينة من الأمثال الشعبية الفلسطينية.

أدوات الدراسة:

أولاً: السماع المباشر، وذلك لتجميع الخبرات حول ما نسمع عنه أو معايشة الظاهرة وذلك للتعرف على واقع الأمثال الشعبية التي كنا نسمعها ونحن فتية صغار أو يرويها الآباء والأجداد أو الشعراء الشعبيون.

ثانياً: البحث عن الأمثال في الكتب والموسوعات والمجلات المتخصصة في التراث الشعبي. ثم قام الباحثان بإتباع منهج تحليل المضمون في توضيح معاني ومضامين عينة الأمثال قيد الدراسة.

الإطار النظري*

يرى الأستاذ الأنثروبولوجي مالنوسكي أن من الخطأ أن ننظر إلى الأمثال على أساس أنها شكل من أشكال الفولكلور أو مستند أوتوغرافي خاص بأحوال الشعوب، إنما هي في الواقع عمل كلامي يدعو قوة معينة إلى التحرك. وفي اعتقاد الذين يصدر عنهم هذا الكلام أنه يؤدي إلى أقوى أنواع التأثير على مجرى الأمور وعلى السلوك الإنساني. فالمعنى والغاية هما القاسم المشترك بين جميع أمثال الشعوب في العالم، وإن اختلفت في تراكيب جملها أو في

صلاحياتها. وهي تكون كتابا ضخما يتصفح فيه القارئ أخلاق الأمة وعبقريتها وفطنتها وروحها. (1)

كيف نشأ المثل؟

كما يرى شكارنة (1998) أن الجملة المثلية ارتبطت ارتباطا حسيا ومعنويا بمجموعة من المسلمات الدينية والمعتقدات الشعبية الناتجة عن الخبرة الحياتية المباشرة للإنسان الفلسطيني ضمن بيئته وظروفه الحياتية الأخرى المؤثرة. ولكل مثل قصة، وقد تضيع القصة ويبقى المثل معبرا عن مضمونها. وقد ينشأ المثل عن حادث تاريخي، أو حكمة، أو شعر، أو قصة شخصية. (2)

خصائص الأمثال الشعبية والتشبيهات الفلسطينية :

تتميز الأمثال بالخصائص الآتية:

1. الإيجاز، حيث كلمات قليلة تعبر عن تجربة دهور.
2. إصابة المعنى في المواقف المتشابهة.
3. الأصالة، فالأمثال عربية المنشأ وبعضها مرتبط بالدين.
4. الواقعية، لتمييز الحياة المجتمعية الريفية العربية عموما بالواقعية.
5. البلاغة، فهي ذات ألفاظ موجزة ومركزة وتصيب المعنى.
6. الموسيقى، فهي ذات جرس موسيقي ويوجد تناغم بين ألفاظها وتناسق بين الجمل، وتجانس بين الأحرف والجمل والتراكيب.
7. الإحساس، حيث تعكس بصدق مشاعر الشعب وأحاسيسه وآماله وآلامه وأفراحه وأحزانه وتفكيره وحكمته. ومن خلالها نستكشف آراءه في مختلف شؤون الحياة وموقفه منها، ونظرتة إلى الكون وتفسيره لمظاهره. (3).

(1) (عربيطة، 1968).

(2) شكارنة (1998)

(3) (kenana online.com)

وقد ذكر شكارنة (1998) الخصائص الآتية للمثل الشعبي: (1)

1. الإيجاز

2. إصابة المعنى ووضوحه.

3. الشيوخ.

4. التميز الطبقي.

5. الأسلوب العامي.

6. صدى للتجربة الشعبية؟

7. ذات صبغة تعليمية تهاديبية.

8. البعد الزمني المجهول، فبداية المثل غير محددة زمنيا. (2)

تتكون الأمثال من جمل قصيرة تقال في موقف ما، إما للتحذير من الوقوع في نفس الخطأ، أو للتحفيز على تعلم شيء ما مثل (اقنع تشبع). وبعضها يدعو إلى تعديل السلوك السيئ (من حفر حفرة لأخيه سقط فيها). ويحث بعضها الناس على تعلم شيء معين، أو الحث على مواصلة التعلم والبحث عن كل جديد (الجديد حبه شديد، يموت المعلم وهو يتعلم). كما أن بعضها يدعو إلى الترابط الاجتماعي، والتحلي بمكارم الأخلاق، والتفكير واستشارة الآخرين، وتنمية المفاهيم اللغوية kenanaonline.com.

وورد على الموقع الإلكتروني kenanaonline.com، وهو موقع متخصص في التراث

الشعبي، أن أهمية الأمثال تبرز خلال النقاط الآتية:

1. تلعب دورا مميزا في إبراز القيم الاجتماعية، كالترايط والتقدير والاحترام والتعامل الحسن بين الأفراد.

2. العمل على تنمية القيم الاقتصادية في المجتمع، مثل العمل والحرص عليه وتقديره والدقة والمحافظة على الثروات الطبيعية.

(1) شكارنة (1998)

(2) (شكارنة، عمر، 1998 مجلة التراث والمجتمع، عدد 31).

المبيض (1986)

3. ترسيخ المعايير الدينية والأخلاقية وتعميمها على المواطنين.
 4. هي حكمة الشعوب، والمرآة التي تعكس مشاعر الناس على مختلف مستوياتهم.
 5. تعتبر المتنفس الأكثر استخداما لمشاكل الناس والمعبّر عن همومهم.
 6. تعتبر معايير أخلاقية يضعها عقلاء القوم لتكون ضابطا سلوكيا ومنهجيا أخلاقيا لعامتهم وخواصهم، يتناقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل.
 7. تسرد كفاح الشعوب في عبارات موجزة سهلة الحفظ والتلقين.
- يتضح مما سبق أن المثل يؤثر بقوة على السلوك الإنساني، وأن معنى وغاية الأمثال يشكلان عاملا مشتركا بين أمثال مختلف شعوب العالم. ويعبر المثل عن ثقافة المجتمع السابقة والحالية، وبالتالي يمكن دراسة ثقافة المجتمع من خلال أمثاله السائدة، من خلال التي تحث على التقدم والقيم الجميلة ورفع المعنويات والسير إلى الأمام.

الدراسات السابقة*

- أجرى المبيض (1986) دراسة بعنوان "الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية"، وتوصل الباحث إلى أن الكثير من الأمثال قد عبرت عن البيئة الفلسطينية، فبعضها متعلق بالأرض والزرع، والضرع والثمر والشجر، والجو وتقلباته.
 - بحث حسن (1988) في رسالة ماجستير بعنوان "المرأة والمثل الدارج في فلسطين" مدى استطاعة الأمثال التي درجت على ألسنة الناس أن ترسم صورة شبه واقعية لحياة المرأة. وتركزت خطة البحث على عدة خطوات: حيث قام برصد الأمثال الشعبية ومراجعتها مراجعة خاصة ناقدة، وتقسيم الدراسة إلى موضوعات، ومراجعة ما دون من أمثال لكل موضوع على حدة، وقام بوضع الأمثال في الموضوع الواحد ضمن أطر محددة، وبذلك تمكن من تصنيف الأمثال المتعلقة بالمرأة تحت عناوين فرعية كثيرة.⁽¹⁾
- وهدف دراسة عطيات (1991) إلى توضيح ما يراه كاتبها مخالفا للصواب، ونقض لبعض الأمثال الشعبية السلبية، معتمدا على مقاييس الشرع والعقل والواقع السليم. وقام

(1) حسن (1988)

الباحث بتصنيف عينة الأمثال الخاضعة للبحث إلى عدة محاور هي: قبول الأمر الواقع، والأناية، وإساءة الظن، والزواج.⁽¹⁾

وأجرى كناعنه (1992) دراسة بعنوان: الترابط بين الأمثال الشعبية والأبعاد الاجتماعية. هدفت الدراسة إلى التعرف على الترابط بين الأمثال الشعبية من قبل الفئات المختلفة من جهة، والمتغيرات الاجتماعية والنفسية التي تميز هذه الفئات عن بعضها من جهة أخرى.⁽²⁾ اعتمدت الدراسة طريقة الجمع من الطلبة، بأن يقوم كل طالب في الشعبة الدراسية في جامعة بير زيت بكتابة أكبر عدد ممكن من الأمثال الشعبية التي يتذكرها خلال عشرة دقائق. تكونت العينة من (106) من طلبة بير زيت منهم (74) ذكور، (32) من الإناث، (96) مسلمون، (10) مسيحيون، (46) من سكان المدينة، (41) من القرى، (19) من المخيمات.

توصلت الدراسة إلى أن مجموع ما ذكره أفراد العينة (316) مثلاً بنسبة (12.4٪) للفرد الواحد وتراوح ما ذكره الفرد من 1-28 مثلاً، واختار (1004) مثلاً بصورة مقبولة. كما أشارت الدراسة إلى أن هناك فروق ملموسة بين معدل عدد الأمثال ونوعها التي يعرفها أفراد المجموعة معرفة حسب مؤشرات اجتماعية معينة.

كما أشار بعد الجنس والدين ونوع البيئة الاجتماعية والمنطقة الجغرافية ونوع المدرسة التي تخرج منها الشخص وحقل التخصص في الجامعة أظهرت ارتباط ذو دلالة مع عدد ونوع الأمثال الشعبية التي يعرفها الفرد.

وقام أبو زر (2004) بدراسة قدمها للحصول على درجة الماجستير في الجامعة الإسلامية بغزة، وكانت بعنوان "أخطاء عقائدية في الأمثال والتراكيب والعادات الشعبية الفلسطينية". هدفت الدراسة إلى جمع الأخطاء العقائدية الشائعة في أقوال الناس من أمثال وتراكيب وفي العادات والتقاليد، والتي قد تصل بالكثير من الناس إلى حد الكفر دون أن يدروا. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على توثيق الأمثال الشعبية المخالفة

(1) عطيات (1991)

(2) كناعنه (1992)

للعقيدة أو ما اعتقد أنها كذلك، وعمل على تحليلها وبيان أوجه الخطأ فيها، بعد أن بين الوجه الصحيح للمسألة موضوع النقاش، على ضوء العقيدة الصحيحة الموقفة لفهم السلف الصالح.⁽¹⁾

أما دراسة نجم وعلي (2006) التي كانت بعنوان "صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية"، فقد كان هدفها التعرف إلى الصورة المقدمة عن المرأة من خلال الأمثال الشعبية الفلسطينية، والكشف عن مدى توافق الصورة المقدمة عن المرأة مع المنظور الإسلامي. تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي وتحليل المضمون. وتكون مجتمع الدراسة من (200) مثل شعبي متداولة على السنة كبار السن، وتكونت عينة الدراسة من (100) مثل شعبي وكانت أهم نتائجها كما يلي:

أولاً: قدمت الأمثال صور المرأة المتعددة (الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية) التي ساهمت في تشكيل جوانب الصورة العامة للمرأة.

ثانياً: أشادت الأمثال بالصورة المتميزة التي احتلتها المرأة من خلال علاقتها بالزوج والأبناء والمجتمع.

ثالثاً: اشتملت الأمثال الشعبية الفلسطينية التي تناولت صورة المرأة على جوانب سلبية تتعارض مع معايير الكتاب والسنة.

وأوصت الباحثان بما يلي:

(1) العمل على تأهيل التراث الفلسطيني وغربلته شرعياً، وإقصاء كل ما يتعارض مع تعاليم الإسلام.

(2) ضرورة تفعيل الإعلام الفلسطيني في إحياء الأمثال الشعبية التي عبرت عن الصورة الناصعة والمضيئة للمرأة وتعزيزها بنظرة الإسلام لها.

(3) توعية المرأة بدور الأمثال الشعبية في التنشئة الاجتماعية.

(1) أبو زر (2004)

- (4) إدخال بعض عناصر التراث الفلسطيني خاصة ما يتعلق بالمرأة في المناهج الفلسطينية.
- (5) تعزيز التراث الفلسطيني تعزيزاً موضوعياً والتركيز على ما يتصل بالمرأة.
- وهدفت دراسة عليان (2009) التي كانت بعنوان "من صور التراث الشعبي في القدس : المثل المقدسي" لسبر أغوار المثل المقدسي كنمط حيوي من أنماط التراث، له تأثيره ووجوده ويرتبط بأزقة القدس وحاراتها ، وبالعيون المقدسية الساهرة التي تُطارِد، وتُحاصر لتبعد عن أهلها وعن محيطها وعن ماضيها لتبدو غريبة يسهل اقتلاعها.
- بعد أن توارث المقدسيون عن أسلافهم مشافهة تراثهم العريق محافظين عليه وهم غيرهم يضيفون وينقصون تبعاً لهواهم ومستجداتهم. وأشارت الدراسة إلى أهمية المثل ودوره في حياة المقدسي وإبراز ما فيه من تميز وخصوصية- "ما ضاع حق ووراه مطالب".
- وأجرى سويلم (2011) دراسة بعنوان "صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردني".
- هدفت الدراسة إلى الكشف عن صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية. تكونت عينة الدراسة من أمثال المرأة الواردة في بعض كتب الأمثال الشعبية الأردنية. استخدم الباحث أسلوب تحليل المحتوى. وأسفرت الدراسة عن النتائج الآتية: إن الأمثال الشعبية خصت المرأة بحصة كبيرة من الأمثال التي تظهرهن بصورة سلبية، التي تعبر غالباً عن نظرة دونية للمرأة في الأدوار المتعلقة بها كبت ومطلقة وأرملة وعجوز، بينما لم تشغل الأمثال التي تقدم الصورة الإيجابية إلا حيزاً ضيقاً خصوصاً في دورها كأم. وأوصى الباحث بوضع خطة شاملة تهدف إلى تصحيح النظرة النمطية الخاطئة للمرأة في الثقافة الشعبية خاصة أن هذه النظرة لا ترتبط بنظرة الإسلام لها.
- وأجرى إبراهيم (2013) دراسة بعنوان : الفولكلور القولي المتمثل بالأمثال التي يتداولها النابلسيون في مأكولاتهم:
- برزت أهمية الدراسة لارتباطها بالهوية والخصوصية التي تتجلى لدى شريحة من المجتمع الفلسطيني، سارت الدراسة على المنهج الوصفي والاستقرائي كما يتم تداوله من أمثال شعبية خاصة بالمأكولات.

عاجلت الدراسة مصادر الأمثال الشعبية، وخصائصها وفوائدها وأنواعها ومصادرها وصلتها بالمأكولات الشعبية النابلسية التي من أهمها الكنافة والمطبق والعوامة والمقلوبة والمسخن والمحاشي والعكوب والمسقعة والششبرك.⁽¹⁾

وعرضت الدراسة مجموعة من الأمثال الشعبية ذات الدلالة بالمأكولات الشعبية وأشارت إلى أن الأمثال الشعبية وثيقة تاريخية واجتماعية وأنها المرآة التي تعكس ما بداخلها وتكشف حولها، وكل ما يمت إليها بصلة من عادات وتقاليد وقيم وتاريخ. *مقتبس من دراسة د.ادريس جرادات، د.زهير الحروب بعنوان: الماء والخضراء والوجه الحسن في المثل الشعبي الفلسطيني، 2013م-دراسة غير منشورة.

بعد استعراض الدراسات السابقة، يظهر أن بعض الدراسات أجريت في فلسطين، وأخرى في الأردن. كما أن بعضها كانت متعلقة بالمرأة، أما الأخرى فقد كانت متعلقة بالمأكولات، والتراث الشعبي بشكل عام، ونقد الأمثال بوجه عام، والترابط بين الأمثال الشعبية والأبعاد الاجتماعية، والأمثال من وجهة نظر العقيدة الإسلامية، والجغرافيا الفولكلورية في فلسطين.

ولم يتمكن الباحثان من الحصول على دراسات متعلقة مباشرة بالدلالة الجمالية للأمثال الشعبية الفلسطينية.

مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من عدد كبير من الأمثال التي وصل إليها الباحثان من مصادر مختلفة تمثلت في:

أولاً: من الآباء والأجداد والرواة الذين يروون ويتناقلون القصص والأمثال الشعبية في الضفة الغربية-فلسطين.

ثانياً: الموسوعات التراثية والكتب والمجلات المتخصصة في التراث. وقام الباحثان بمحصر الأمثال المتعلقة بالجمال (50) مثلاً شكلت مجتمع الدراسة.

(1) إبراهيم (2013)

عينة الدراسة:

قام الباحثان بعملية تفحص للأمثال التي يتضمنها مجتمع الدراسة بهدف تحديد عينة الأمثال، فاتفقا على اعتماد (30) مثلاً والتي شكلت عينة الدراسة.

عرض النتائج وتحليلها

القيم الجمالية هي واحدة من تلك القيم التي تكونت عبر الموروث الشعبي ، والذي احدها المثل، فهو ينقل الرؤية الجمالية للشعوب، ونظرتهم للجمال والكيفية التي يعبرون بها عن الجمال، فلكل شعب من الشعوب نظرة تنسجم أحيانا مع غيره من شعوب الأرض، وتغايرها في أحيانا أخرى ، ولعل مرد ذلك إلى الطبيعة والظروف والمناخات التي تشكل محددات للنظرة الجمالية للشعوب ، فقد تشكل الشمس صورة جمالية عند شعب من الشعوب تعبر عنها في رؤية الوجه الجميل، إذا كان ذلك الشعب يرى الشمس على أنها عطاء مستمر يتدفق على الأرض، مع حرمان ذلك الشعب من حرارة الشمس لأوقات من السنة مثلاً ، وقد نجد الشمس عند شعوب أخرى تشكل مصدر إزعاج لشدة حرارتها واستمرارها عبر السنة، لذا يتحول القمر إلى صورة الجمال لان الليل مبعث الراحة والاعتدال ... وهكذا .

هذا يدع إلى القول أن النظرة إلى الجمال تختلف من شعب إلى آخر ومن إنسان إلى غيره، فالنظرة إلى الجمال نظرة نسبية، ومفهوم الجمال يتحدد بموقف شخصي فالجميل عند احدهم ليس بالضرورة جميل عند غيره ، كما لا يمكن تحديد مفهوم ثابت للجمال ، لأنه متغير يحدده موقف الشخص ونظرتة لمشهد يعتقده جمالي تفاعل معه وجدانيا ، فاهتز وطرب له وحرك مشاعره ، فغلب على شعوره فتصرف حياله بوجدانية عالية . فاللون يبعث أحيانا ارتياحا للنفس يسمى جميلا ، ولعل اعتياد الناس على شكل أو مظهر معين يفقده جماله فالمنظر الجميل في يوم من الأيام لا يستمر جميل في نظر الذي يعتاد النظر إليه ، وكلما افتقد الإنسان مشاهد ، مال إلى مشاهداتها وأعجب بها واطهر حياها انجذابا ، حتى تمل العين مشاهدتها فتتحول إلى الاعتيادية التي لا تبعث بالسرور إلى رائئها .

لذا يمكن تحديد نقطة مهمة يمكننا الانطلاق من خلالها إلى تفسير المفهوم الجمالي في المثل الشعبي بشكل عام ، والفلسطيني بشكل خاص ، وهي أن القيم الجمالية في الأمثال

حددها الذوق الإنساني ، والذي يختلف من شخص إلى آخر ويختلف من زمن إلى غيره ، فواضع المثل مقيد بتصوراته واعتقاداته وثقافته وأخلاقياته ، هذه المحددات جميعها تشكل مضمونا مهما في المفهوم المراد توصيله إلى المتلقي بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ثم يتناقل المثل بين الناس ليكون مفهوما عاما ، تتشارك فيه الذاكرة الجمعية لتحوّلها إلى اعتقاد اجتماعي عام .

المثل الشعبي صورة انعكاسية لواقع سابق وثقافية ماضية حفرت وجودها في الذاكرة وتناقلت بقصد أو دونه ، لتسكن واقع مع غرابته عنها ، إلا أنها استطاعت أن تكون جزء من الحلول المقترحة لمشاكله كونها تجربة سابقة اختزلت في وعاء لغوي متناغم مع الإيقاع اللغوي لذلك الزمان ، فالرؤية الجمالية التي يعكسها المثل هي رؤية سابقة، وليدة مجتمع وظرف وثقافة ، قد تتقارب مع المجتمع الجديد في بعض جوانبه، وقد تبتعد، لكنها في الأمرين ، واقعة في التأسيس القيمي لثقافة الجمال ، فالثقافة لا يمكن أن تكون منعزلة عن نتاج سابق ، إذ أنها نشاط متطورا من عادات وقيم واتجاهات وعقائد وأخلاقيات، سابقة أنتجت أجيال سابقة وحملت الذاكرة قولاً وسلوكاً .

أنماط الجمال الإنساني:

الجمال الإنساني نوعين جمال الهيئة الظاهري، والجمال الباطني، كلاهما يتماشيان معا لخلق جمالية إنسانية تتفاعل مع محيطها لتنتج فعلا وجوديا إنسانيا ينعكس بدوره إيجابا على المجتمع. المثل لم يهتم كثيرا بإظهار الجانبين معا ولم يستطيع تحديد الصورة الجمالية المتفق عليها لتحديد الجمال ، فقد ظل الأبيض والأسمر، من موحيات الجمال كل يراه بعينه ويرسم له لوحة بحسب اهتزاز الوجدان للسمار والبياض، وأحيانا نرى الاثنين لا يعنين شيئا أبدا لثالث يريد أن يحدد الجمال ويلتقط له صورة بعينه، فيرى الجمال روحي، التصاق بين الضدين فالمفقود عند شخص جميل عنده أن شعر به من مكملاته، هذا الالتزام الروحي للمفقود يشكل جانب من جوانب تكوين التصور الجمالي لدى الكثير .

المثل الفلسطيني لم يغادر ساحة التكوين هذه فكان جزء من عناصرها ومكونيها ، اذ نجد المثل الفلسطيني ثقیل بحمولته القيمية وثقافته وأخلاقه وجوانبه التربوية، عالج الكثير من

هموم ومشاكل المجتمع ووضع الكثير من الحلول ، وكان بحق صورة انعكاسية للواقع الفلسطيني عبر مراحلہ وتطلعاته للحياة ، حمل مفاهيم وقيم أسست لثقافة الأجيال اللاحقة فكان جزء مهما في تكوين الجوانب الحضارية في المجتمع الفلسطيني، حفظته الذاكرة وتناقلته عبر أجيالها، منظارا تتطلع خلاله إلى رسم صورة للحياة وللجمال .

لم يكن المثل ايجابيا في كل تفاصيله وتأسيساته ومبانيه ، لكنه كان إرثا حضاريا رغم شفاهيته لم تتخلى عنه الذاكرة، لأنه التصق بروحية الواقع وعمل على تدعيم وجوده من خلال آلية الطرح التي استخدمها، وهي اختزال الفكرة، وقصر الجملة، وسجع اللغة في بعض الأحيان ، هذه الأمور شكلت عامل مهم في إدانة المثل واستمرار وجوده، وحشدت الكثير من العوام على تداوله، لسهولة أولًا، ولضيق حدود مساحة الثقافة من تكوين اتجاهات أعلى قيمة من الأمثال.

طرح المثل الشعبي الفلسطيني القيم الجمالية كإحدى أهم جوانب أطروحته الاجتماعية، وأعطى مفهوما للجمال رغم تناقضاته في ترسيم حدود الجمال إلا انه لا يخلو من انجاز فني إنساني ، هذا المفهوم اطر اللوحة الجمالية بإطار وجداني حمل جوانب قيمة تصلح في بعض ملاحظها أن تكون صورة ايجابية حية لو وجهت بآليات تربوية تتناسب والمرحلة الزمنية التي تعيشها الشعوب ، وما طرأ عليها من صيرورة قيمة في الكثير من جوانب الحياة ، فالتشذيب في العادات والاعتقادات وتغيير بعضها والتأكيد على الجيد منها يدين المجتمعات الحضارية ، ومسعى مثقفها ومفكرها .

المثل الشعبي الفلسطيني يرسم لوحة الجمال عبر آلياته التي اعتمدها ليصور الجمال مفهوما قيميا ، لا يعتمد الشكل مضمونا له إنما يتعامل مع المعاني كسمة عليا في الحكم على الجميل ويؤكد حقيقة لا يختلف عليها اثنان أن السماحـة تجمل الشكل الإنساني وتؤطره بالمقبولية فليس البياض والسمار وألوان الطيف قادرة على طبع لون جميل على واجهة الإنسان الخارجة الى محيط التفاعل الوجودي، والسماحة: الجود كما عرفها اللغويين، فالجود عطاء إنساني لا يقف عند حدود معينه فضفاض يتمدد مع المحاسن البشرية والأحكام الايجابية، من مصاديقه البشاشة ، فهي جود عالي القيمة ، وحبل متين في التواصل ، لذا نجد

المثل الفلسطيني يحكم الجمال بهذا المفهوم منطلقاً من هذا المعنى الأكثر تأصل في حياة العرب فيقول (الوجه السطح فيه الريح) ومع أن المثل يحمل مضامين الرجعية التي لا تتوافق مع الحس الوجداني الإنساني كونها مبنية على قيم المادة التي تسمو عليها مبتنيات الروح، إلا أنه أراد أن يرمز لنقيض الريح وهو الخسارة كون الاختيار غير الصائب يؤدي إلى الخسارة، فاختيار السطح في كل الأمور ربما كونه يحمل صورة جمالية تتجسد فيها المعاني الإنسانية.

على الرغم من أن الجمال الظاهري حقيقة لا تنكر إلا أن ذلك قد يصدق مع الطبيعة ومناظرها، ويبدأ بالاختفاء كلما اقتربنا من توصيف الإنسان، لأنه يمتلك حقيقتين الأولى ظاهره وقد لا تكون إلا حقيقة مزيفة في الكثير من صورها لأنها لا تعطي تفسيراً حقيقياً عن جمال الإنسان، والثانية حقيقة باطنه تحمل المعاني الكبرى من الحب والجمال، ونقيضها من الكراهية والقبح، وهذه الحقيقة لا يمكن اكتشافها برؤية ظاهرية لشكل قابل للتغير عندما تطرأ عليه ظروف ومتغيرات تحول به إلى شكل غير مقبول، فالباطن بمعانيه ومبتنياته وقدرته على التأثير يكون صورة يتفاعل معها المحيط بمكوناته ليحكم عليها جميلة، أو يتردد عنها ليحكم عليها قبيحة. فإذا كان الجمال الظاهري يخضع للمتغيرات فإن الجمال الباطني لا يتغير كونه يعتمد الأصالة في وجوده (الزينة ما يهرم) فلا يمكن بحال من الأحوال أن تشكل الصورة الظاهرية حقيقة الإنسان وأن جملة المدة، فسرعان ما يعلن الباطن عن مكنوناته ويفضح الخافي من صورته، فتتسحب عنه العيون ويتكاسل إليه الوجدان (اللي ما بتزينه عروقه ما بتزينه خروقه) فمهما سعى الإنسان إلى تجميل مظهره يظل بحاجة إلى تجميل باطنه وزرع قيم المحبة والجمال والتسامح وتقبل الآخرين كمعاني تسمو على أطر الظاهر المتبدية للنظر وقتاً، والمختفية أصلاً. العقل زينة هكذا رأها المثل متماهياً مع غيره من الأمثال عند أغلب الشعوب، ويظل العقل زينة لأن له القدرة على خلق صور الجمال الجواني للإنسان، وتحويل صورته المتوحشة إلى صور تتأنس مع محيطها الإنساني، لتحيز للجمال، وتسمو على القبح (العقل بالراس زينة واللي عدمته حزينه) مهما بلغ الجمال الظاهري درجة المقبولية، فيظل العقل الناقص يشكل خسارة لا تعوض، وحزناً لا يتوقف عند فاقده.

لم يتركنا المثل الشعبي الفلسطيني هكذا دون أن يحدد لنا آليات الحكم ومعرفة الجمال ، إذ أن الحركة والسكون لهما فعلهما في قياس الأشياء ، فالثابت غير المتحرك ولكل منهما وضعه ومقاييسه على مستوى الجمال ، كما أن السكوت والكلام لهما مقاييسهما على الإنسان ، فالساكت غير المتحدث ، إذ يفتضح الإنسان بالحديث ، ويختفي خلف سكوته ، ولكل منهما مقياسه ، فالعاقل ، لا يفهم إلا من حديثه وسلوكه ، والجاهل حتما كذلك ، وبما أن العقل زينة فلا يمكن أن نتبين دون محادثة العاقل وتمييزه من الجاهل (إن وقفت بتبين وإن نطقت بتزين) .

ثم ينتبه المثل الفلسطيني إلى رؤية جمالية نادرة ليضعها في تقييمه الجمالي اذ يعتبر العمل والانجاز الفعلي على مستوى الحياة انجازا جماليا فالعامل المخلص جميل والمرأة جميلة بأدائها للعمل وانجازها دون ملل لذا جعل عمل المرأة جمال لها وليس ما يبدو من جمال خدودها (اللي ما بتزينها زنودها ما بتزينها خدودها) ومع ان هذا المثل يقسو كثيرا على المرأة اذ ينظر اليها عاملة ووسيلة من وسائل الإنتاج فزندها القوي الذي تستخدمه في العمل وانجاز الأعمال الشاقة هو صفة الجمال لديها ، ويبدو ان البيئة والمرحلة التي قيل فيها المثل كان يتطلب إيجاد نساء بهذه القوة ، تعمل في المنزل والحقل حالها في ذلك حال الرجل وتزيد على ذلك لذا نجد المثل يضع تشجيعا للمرأة ان تبرز جمالها بعملها لحاجة الرجل آنذاك الى هكذا امرأة (بكرة بتيجي الحصيدا وبتشوف فعلتها) . وتختفي خلف المثل صور كثيرة تحتاج الى توضيح ، فهو يعني ان الفعل الحقيقي ليس فقط في الكلام والتنظير انما هو إثبات فعلي عندما يتطلب الموقف ذلك ، فعند الحصاد تتضح قدرة الفعل على الانجاز ، وتظهر إمكانيات الحاصد في حصاد محصوله ، فالمثل اراد ان يلقي بمفهوم قيمى عالي يحدد من خلاله ان قول الانسان لابد ان يترجم الى فعل كي يظل قولاً جمالياً ، والا سوف يتحول الى قبح عندما يتكاسل الفعل ولا يؤدي انجازا بمستوى الكلام .

لم يتجاهل المثل قدرة المرأة وشخصيتها في مواجهة تحديات الحياة فالمرأة ذات الشخصية المتميزة التي تمتلك قدرات هائلة على المواجهة والتحدى لا يخشى عليها شيء كونها قادرة على الولوج في عالم الرجال ومواجهة ذلك العالم الذي اعتبر في ثقافتهم عالم يصعب الدخول

فيه ومواجهته ، سيما ومجتمع ذلك الزمن مجتمعاً ذكوري ، لا يتقبل التحدي الانثوي ، فمن تمتلك تلك الثقة بالنفس فهي من تتميز بالجمال ، ولها الخطوة والاحترام (البنت الزين بتمشي من بين صفين) . لقد حمل هذا المثل قيم تربوية عالية فضلاً عن قيم الجمال التي ذكرنا، فهو يدعو الناس الى تربية بناتها على الثقة في النفس لمواجهة تحديات الحياة وان لا تظل الفتاة رهينة الثقافة التقليدية التي تحرم على المرأة الظهور والمواجهة ، فهي ناقصة العقل في منظورهم ، لذا تظل عورة يتطلب اخفاءها ، ومعدومة الثقة ضعيفة خجولة ، تنفذ ما يقال لها، دون ان تتعب نفسها في التفكير ، فالمثل يدعونا الى قراءته من جوانب اخرى لنكتشف فيه قيم اخرى حرية بالظهور والتداول والممارسة .

حث المثل الشعبي الفلسطيني على الأصالة كقيمة جمالية ودعا من يريد الارتباط بالمرأة ان يرتبط بالأصيلة، واعتبرها معياراً للاختيار الأفضل من بين الخيارات المطروحة على الرجل، متجاوزاً الكثير من المعايير الأخرى في الاختيار ، وقد ربط ذلك برابط مهم في الاختيار وهو الغنى والفقر ، فاذا وجدت الأصيلة تم اختيارها وان صاحب ذلك فقراً ، فهي ثرية بأصالتها ولها القدرة على التعويض عن ذلك العامل المهم ، كما ان الأصيلة يمكن ان تكون صبورة وتحمل معك مشاق الحياة ولا يمكن ان تخون او تغدر او تتخلى عن رفيقها ، فالفقر والغنى لا يشكلان لديها عامل اختيار انما أصالتها تحتم عليها الوفاء ، لذا اعتبر الأصالة قيمة جمالية يمكن ان تحدد اختيار الأجل للمشاركة والتآلف ، كذلك نبه المثل الى حقيقة مهمة ، ان اختيار المرأة لا يتم على أساس ثرائها وجمالها الظاهر انما يتم على أساس أصالتها التي لا تخضع للتبدلات والتغيرات التي تطرأ على سلوك غير الأصيلة (خذ الأصيلة لو كانت على الحصيرة) وعليه يمكن القول ان الأمثال تعاملت مع الطبائع على انها صور جمالية مهمة لا يمكن تجاوزها فصاحبة الطبع الجيد صاحبة مذهب جيد ، يزينها ذلك المذهب ويجعلها مميزة عن قريناتها ، والزينة في عرف المثل الطبع الذي لا يصدأ والروح والمعاني التي تسمو على الشكل والمادة الخاضعة للصدأ (زينة المرأة بمذهبها مش ذهبها) .

لابد هنا ان نبه الى ان اغلب الامثال التي قيلت في الماضي امثال ذكورية تتسيد فيها شخصية الرجل على المرأة ولذا تكون المرأة في دائرة المختار ، لا صاحبة الاختيار ، وهذا

يجعل الامثال تتجه صوب المرأة اكثر من اتجاهاها صوب الرجل ، فالرجل من يختار الجميلة والمرأة ، ليس لها الحق في اختيار الجميل، ولذا لا نجد الامثال تركز على جمال الرجل، وتعتبر الرجل برجولته فالمرأة عليها ان تقبل القبيح والجميل، ان تم اختيارها من قبل احدهم.

مع ان البياض والسمار صور جمالية ظاهرة يمكن ملامستها والاحساس بها بمجرد الرؤية العينية ولا يتطلب جهدا للكشف عنها، لكنها تظل في دائرة النسبية، واختيارها تحدده معايير شخصية يخضع لها الشخص بمفرده، وبما ان المثل قيل من قبل شخص اختزل تجربته فيه ، فليس بالضرورة ان يكون شرطا صحيحا في اختيار صاحب الجمال، ولا يعط تصورا عن مفهوم الجمال، وليس بالضرورة ايضا ان يكون قيمة جمالية ، لكنه لا يخلو من حسه الجمالي ، وصورته الفنية .

لم يغفل المثل الشعبي الفلسطيني الجمال الظاهري وتعامل معه حقيقة قائمة بذاته ، لذا نظر الى الابيض تارة جميل ، والى الاسمر الاجمل تارة اخرى (اللي بده الملاح يبيع السلاح) والملاح البياض فهو يركز على ان الذي يرغب بصاحب البياض ان يبيع سلاحه ، لغلاته ، ولعل اخر ما يفكر فيه الناس آنذاك بيع السلاح ، لكن عشق البياض ومشاركته الحياة تتطلب ذلك، وليس بالخسارة، لان ما حصل عليه اغلى ثمنا فخسارة الغالي وربح الاغلى ليس مدعاة للندم . ثم ان المثل يستعير تمثيلاته من داخل المحيط المتكون حوله في وصف الجمال فعندما يريد توصيف الابيض يبحث عن مادة يكون الابيض فيها اكثر بروزا وهكذا مع اللون الذي يريد ان يشهره كلون جمالي ، فعندما يصف البياض يلتقط له تصويرا من الشاش الابيض لنصاعة بياضه ولأنه يحفظ في مكان نظيف ولذا يحتفظ بلونه البراق فيستعيره المثل لبساطته واقرب للحس العامي فيقول (البياض بياض الشاش قمر على المخدة) ولا ينسى ان يخلطه بمثباته النورية فيلجأ الى استعارة القمر صاحب النور الليلي ليضعه على المخدة (القمر/ المخدة) اقتران جميل لأنه اراد ان يصف الحبيبة ليلا ليجعل نورها قمريا استعارة لبياض القمر ، ويرمز للبياض عبر التصويريات التي جمعها لتكون مقاربات جمالية منسجمة مع بعضها (وجهك والا ضو القمر) لقد شكل القمر عند واضع المثل الشعبي صورة جمالية عالية القيمة ، فضوء القمر المنبعث ليلا والذي يضيء الظلمة الباهتة ، فيتهدي به الناس ،

صار ملهما للشعراء والعشاق الذين يصورون صور حبيباتهم في القمر وبما انه الوحيد الذي يراه الناس بعد افول ضوء الشمس في السماء ويفتقدونه في الليلة الظلماء ، صار بياضه قيمة جمالية يستمد المثل منه استعاراته ، ليصف الوجه الابيض قمرا ينير الظلمة ، فيهتز له الوجدان وتطرب لرؤيته النفس (وجهك زي قمر 14) ولم يكتف ان جعله قمرا ، انما حدده بقمر (ليلة ل 14) عندما يكون القمر بدرا مكتمل الضياء ويكون نوره اكثر سطوعا واكثر بياضا . ثم يتدرج بذلك التوصيف حتى يصل ان يجعل الابيض الحبيب اجمل من القمر نفسه اذا يطلب من القمر مغادرة موقعه واستبداله بحبيبه الاكثر بياضا وجمالا اذا بوجوده انتفت حاجته الى القمر (بتقول للقمر قوم تأقعد مكانك) وهذا ادق انواع الوصف للأبيض ، فالبياض شكل قيمة جمالية في المثل الشعبي الفلسطيني حتى ان البيضاء لا نجد ما يعيها وان كانت مجنونة (خذ البيضة ولو أنها مجنونة) وهذا غلو كبير في الوصف وافراط في التمييز اذا توقف عند البياض وحصر الجمال فيه ، متناسيا اذواق الناس واحاسيسهم فلكل نظره الجمالية ولا يمكن التعميم في ذلك ، والذي يبدو لنا وكما قلنا سابقا ، ان المثل وضعه شخص يعبر فيه عن مكنونه وتصوراتة للحياة وإيمانه بما يعتقد ، والنظرة الجمالية تختلف من انسان الى اخر لذا لا يمكن ان نعمم عليها ، هذا اولا ، وثانيا : بما ان المثل مختزل في الكلام والمعنى لذا هو ليس خطابا او قصة او مقال، انما هو تجربة ، لذا كثيرا ما يأتي يحمل معنى واحد يطرح فكرته ويترك للناس ربطه بثقافة وعادات المجتمع ، فقيم الجمال الاولى التي آمن بها المثل الفلسطيني ، لن يتخلى عنها مطلقا، فالأصالة وانجاز العمل والعقل وغيرها من كبريات المعاني وهي اعمدة واساسات لمباني القيم الجمال عند الفلسطيني .

المثل الفلسطيني لم يتمسك بالبياض الى حد يعدم معه الصور الجمالية الاخرى ، بل ساير الذوق الانساني وتحسس رؤيته ، وتراجع قليلا مستدركا ان ليس كل ابيض ممكن ان يكون جميل ، ولا كل اسمر قبيح، (مش كل بيضة شحمة ولا كل سمرة فحمة) فليس هناك مقياسا محدد. عاد ليضع محددات ضمنية غير ظاهرة لكنه سبق ان اشار اليها حتى بدت واضحة يمكن ان تكون مقياسا لرؤية جمالية في الاختيار ، فالسماز بما يحمله من معاني باطنية ممكن ان يكون قيمة جمالية عالية ، لا يمكن التفريط فيها ، عندما تتشابك الارواح تنتج فعلا

وجدانيا يتغلغل في اعماق المعنى لي طرح مفهوما عميقا لرؤية جمالية تسمو على التسطيح الرؤيوي لمفهوم الجمال (حب حبيبك ولو كان عبد اسمر) . هنا تكون المعادلة واضحة (مش كل بيضة شحمة / ولا كل سمرة فحمة / حب حبيبك / ولو كان عبد اسمر) قد تكون هذه الامثال قيلت في مناسبات مختلفة ، وفي ازمان متعاقبة الا اننا عندما نضعها في سياق واحد نجد انها تعطي تصورا واضحا للجمال وكأن واضعها شخص واحد ، ويبدو لي ان الذي يضع المثل لا يستطيع ان ينفلت من منظومة القيم الكلية في المجتمع فهو اسير تلك القيم يسايرها لأنها جزء من عوامل تشكيل قيمه واعتقاداته وتأسيسات ثقافته الاولى .

لا يظل المثل الفلسطيني هائما بالمعاني الفضفاضة ، في تكوين رؤية للجمال تصلح ان تكون قيمة جمالية ، لكنه في احيانا كثيرة يجزأ المعاني ليركب منها صورا جديدة فيتحول من الابيض الكل والاسمر الشامل الى فرعيات يجعلها مزية جمالية ، فيجعل العينين معيارا جماليا ، ولعل كبر العين وصغرها ممكن ان يكون لدى الانسان الرائي صورة جمالية لذا امتلكت العين سحر عجيب ومؤثر على الناظر اليها ، فالذي يرى الجمال في العيون تجده ينتبه الى العينين كي يحدد جمال شخص ما ، فان وجد العينين واسعتان قال عنه جميل ، وان صغرت عيناه اخرجته من محيط الجمال ، كذلك لون العينين لهما سحرهما في معايير الجمال (ما زين الا زين العينين). لم يكتف واضع المثل بهذه الصورة بل وجد نفسه بحاجة الى ان يطررها بإطارها الطبيعي، حيث اضاف للعين حاجبها ليرسمها بأبهى الصور وكون العين لا يمكن لها ان تكون في عزلة عن الحاجب لذا رسمهم معا فقال : (زينه الزين الحاجب والعين).

دأب المثل الفلسطيني في السعي الى ايجاد منفذ ينفذ من خلاله الى الحس الانساني ليغازل الطبيعة الانسانية وفطرتها وما حملته من معاني الحب والجمال في وعيها الاول قبل اختلاطها بمشوهات الصورة وابتعادها عن مكوناتها الجمالية . فقد حرص على ايجاد التناسق بين ما جادت به البيئة عليه من الوان وبين الطبيعة الانسانية ولون بشرته فقد يؤدي الانحراف عن سير التناسق ما بين اللون الذي يرتديه الانسان ولون بشرته الى التشاز وعدم التطابق ، والذي يخلق نظرة مضطربة مزعجة للرأي لا يستطيع ان يكون من خلالها صورة جمالية ، فتتحول الى صورة باهتة ميالة للقبح اكثر منها للجمال (لبس الاسمر أحمر واضحك عليه)

لا يتحيز المثل الى احد اطراف المشكلة ، لكنك عندما تخلق تشويها واضحا لا يمكن للفطرة ان تقبله ، لأنها في تكوينها الاول تعلمت النظام والتناسق وخزنت في ذاكرتها الاولى التطابق الصوري ما بين الالوان ، لذا شكلت هذه الابعاد الجمالية التطابقية صور جمالية استوعبها الوعي المجتمعي وتحولت بالتناقل الى قيم جمالية .

القيم الجمالية التي ركز المثل جهده في اظهارها ، لم تكن خارج الوعي الجمعي ، انما كانت جزء مهما في تكويناته، لذا نجد الارتباط واضحا بين الصور الجمالية الانسانية والطبيعة بصورها المتتمية للجمال، علاقة متشابكة لا تنفك تتساير معا لتوثق المعاني الجمالية التي ينسرب اليها الوعي متخطيا تزام الصور المتشكلة في الواقع المحيط . الفلسطيني لم يغادر الشكل في رسم لوحة الجمال، رغم تشكيلات الصور الكبرى في وعيه ، الا ان الشكل ظل مهما ياطر رسوماته الجمالية، فنظر الى الحدود الحمر صورة جمالية استوعبها وجدانيا ، واستعار لها من الطبيعة ما يحاكيها شكلا ، ويتشابه معها ويمازجها لونا ، فحمر الخدين دلالة جمالية في المثل الفلسطيني ، لذا بحث عن الحمر فوجد مقارباتها في التفاح والمان ولان المان ينفلق حمره وان حمرته في حباته فقد كان دقيقا في الاستعارة (حدود زي حب المان) ثم لم يكتف بان جعل الوصف في الخدين متشابك مع التفاح ، بل خصص التفاح بتفاح الشام ، لان مزيتة الاحمر (حدودها زي تفاح الشام) المثل دقيقا في طرح معاني الجمال وتصويراته لا تخرج عن حدود التناغم الحسي العام للمجتمع فهي وليدة الثقافة والوعي الجمعي السائد في البيئة المولدة للمثل ، لا تتخطى المحذورات والممنوعات بل تخضع بقسرية الالوعي للمفاهيم والتصورات العامة فيظل الاحمر حاله حال البياض والسمار يشكل لوحة جمالية تخضع لأمزجة البعض ، يتحيز لها في رسم صوره ويضعها في ميزان الاختيار ويميل بلسانه اليها (حدودها حمر مرمزات) ثم ينتفض بالدفاع عن صورته التي رسمها واستوعبها واهتز لها وجدانه بوجه المنتقدين ليرد انتقادهم الذي هو ذاته اضافة جمالية وليس عيبا يسقطه خارج دائرة الجمال (ما لقوا عيب في التفاح قالوا له أحمر الخدين) ثم يستمر الاحمر مقياسا جماليا يتبارى به المتخاصمين ، فمن لا يملك الحدود الحمر ليس صاحب افضلية على غيره لأنه ليس في معيار الجمال كي يصاب بالغرور (لا أنت أحمر مني خد ولا أحسن مني جد) .

ان التحول من الكل الى الجزء في التصوير الفني للجمال في المثل ، لم يأتي من فراغ انما خضع لمؤثرات وموحيات امتلكها الجزء، كقوة جذب ساحرة وملتهبة، اخضعت وجدان الموحى اليه الى الاهتزاز وجذبتة ليقف عند ذلك الجزء في رسم من خلاله صورة جمالية تتشكل مؤطرة بفيضها وتجلياتها الشكل العام. ولذا شكل الفم بمقاساته لوحة جمالية (فمها خاتم سليمان) ثم اعتبر طول العنق الذي رمز له باستعاره عنق الغزال ليرسم منه لوحة جمالية اخرى ولان الغزال في الثقافة الغالبة جميل بماله من عنق طويل يحمله (بدلوا غزالناها بقرودها) وهو مثل يقال عندما تقلب المفاهيم ويتبدل الجمال بالقبح ويسود غير الصحيح في مكانه ، لذا كان استعاره مقتنصة من المثل لتوصيف الجمال (عنقها زي عنق الغزال) ثم يظل العنق يشكل جمال ليس في الطول فقط انما يضاف اليه بياضه الشفاف الذي يرى منه الماء (بتشوف الميه من رقبته) .

لا يغرق المثل الفلسطيني بالشكل انما يتسلق الظاهر الى لب المعاني ليقراً علينا ملخصا مبدعا تشابك فيه القيم التربوية بالجمال تتمدد مع مساحة الوجود الواعي ، في ترنيمة يتغنى لها طربا الوجدان الحي ، فالذهب لقيمتة يخفى كي لا يكون عرضة للعبث ، اما التراب فلوضاعته تدوسه الاقدام ، هذه المقاربة تصلح ان تكون مثالا للبنت الجميلة بتربيتها واخلاقتها فهي كالذهب الذي لا يكون عرضة للمس من قبل الجميع (البنت المربية ذهب مخبية) وكذلك قال (البنت الحرة زي الذهب في الصرة) .

لم يهمل المثل الفلسطيني القبح كنقيض الجمال ، بل نصب ميزانه ، ومال بكفته صوب الحسن ، ليجعل القبح اعلانا واضحا عن معكوسات الصحيح من الامور ، فالجمال هو انتظام الامور في محلها ، والقبح وضع الامر في غير موضعه ، لذا يختل النظام الروحي وتنفر النفس من رؤية القبح ، وعندما يستطيل القبح على مساحة الجمال ، تهتز التصورات وتعتم الرؤية ، وينعكس ذلك على المنظر الكلي للحياة فتصبح باهته وغير ذات معنى ، من هذا يصدر المثل عجزه عن وضع حلولاً تصحيحية للمسار القبيح ، والعودة بالجمال الى مساره الطبيعي (شو تعمل الماشطة في الوجه العفش-الشنع) . لا يقف المثل عند هذا الحد انما يؤكد

حقيقة مهمة ان القبح وان جمل نفسه وادعى ما ليس له لا يمكن ان يكون جميلا لأنه خارج مسار الجمال ومقذوف عن ذوق الفطرة العام (قرعة تتباهى بشعر بنت خالتها) .

ختاما لابد من القول ان المثل الشعبي الفلسطيني ، لم يغادر المحيط العام في رسم صور الجمال انما عمل حاله في ذلك حال الامثال العربية الاخرى داخل دائرة الوعي الجمعي والحس العام ، فكان صورة عاكسة لتقاليد وقيم وعادات وثقافات وتصورات الناس ، كما انه كان متماهيا مع امثال الشعوب ، ينسرب في اجواءها كما هي تفعل معه ، لانها تشترك بتاريخ واحد ومصالح مشتركة ولغة ام وهم مشترك . واستطاع المثل ان ينفذ الى الوجدان الانسان ويحاكي الفطرة الانسانية بما تحمله من معاني الحب والجمال ، ليرسم من خلالها لوحة القيم الجمالية .

النتائج والتوصيات:

خلصت هذه الدراسة إلى نتائج منها:

- *الأمثال الشعبية الفلكلورية الفلسطينية عاجلت الجمال بكل جوانبه الباطنية والظاهرة.
- *أظهرت الأمثال الشعبية الفلسطينية أن قيمة السماح تجعل الشكل الإنساني أكثر من لون البشرة سواء السواد أو البياض-الوجه السمح فيه الريح-.
- *الجمال الظاهري للإنسان يخضع لمتغيرات تقدم العمر ويبدأ بالاختفاء كلما تم توصيف الشخص- اللي بدو الملاح يبيع السلاح.
- *أشارت الأمثال الشعبية إلى قيمة الجمال الباطني الذي يعتمد الأصالة والعمل والانجاز الفعلي وخلق صور الجمال البراني- الزين ما يهرم، اللي ما بتزينها زنودها ما بتزينها خدودها- بكرة بتيجي الحصيدا وبتشوف فعلتها، خذ الأصيلة لو كانت على الحصيدا-
- *عززت الأمثال الشعبية الفلسطينية القيم الجمالية المتعلقة بالشخصية مثل تعزيز الثقة بالنفس- البنت الزين بتمشي من بين صفين، زينة المرأة بمذهبها مش ذهبها
- *سايرت المثل الشعبية الفلسطينية الذوق الإنساني مع تجزئة الصورة الكلية إلى فرعيات لجعلها مزية جمالية -كالفم والحاجب والعينين والعنق والخصر ولون البشرة، مش كل بيضة شحمة ولا كل سمرة فحمة، زينة الزين الحاجب والعين، عنقها زي عنق الغزال.

*ركز المثل الشعبي على إظهار التناسق ما بين ما جادت به البيئة عليه من ألوان وبين الطبيعة الإنسانية ولون بشرته- لبس الأسمر أحمر واضحك عليه ، زي حب الرمان، خدودها حمر مرمزات- ما لقوا عيب في التفاح قالوا له أحمر الخدين.

* تناول المثل الشعبي الفلسطيني القبح كنقيض الجمال- شو تعمل الماشطة في الوجه العفش-الشنع- قرعة تتباهى بشعر بنت خالتها.

التوصيات:

كما شاركت الدراسة الى مجموعة من التوصيات أهمها:

* إجراء دراسات متخصصة حول المثل الشعبي الفلسطيني ومقارنته بأمثال سائدة في الدول المجاورة.

* جمع الأدب الشعبي الفلسطيني وتحليله ونشره .

* عقد ورش عمل وندوات ومؤتمرات للأدب الشعبي.

* ضرورة إحداث مؤسسات للعناية بتدوين التراث وتحقيقه وحفظه.

* توجيه الباحثين ذوي المعرفة إلى البحث في المجال جمعاً وتحليلاً ودراسة.

المراجع

- إبراهيم، زهير(2013). أدب الأمثال الشعبية في المأكولات النابلسية، دراسة مقدمة إلى المؤتمر الرابع للتراث الشعبي الفلسطيني في محافظة نابلس :هوية وانتماء ، نابلس ،جامعة القدس المفتوحة ، 26/3/2013م.
- إبراهيم، نبيلة(1974). أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط2، القاهرة: دار نهضة مصر.
- الأشهب، رشدي(2000). حكايات شعبية من القدس.
- البرغوثي، عبد اللطيف: القاموس العربي الشعبي الفلسطيني ، الجزء الأول-الجزء الثالث ، 1987-1993-1998م.
- حداد، منعم(1989). المثل الشعبي والمثل الرسمي، الأسوار للأبحاث الفكرية والثقافية والوطنية، العدد الثالث، عكا.

- الحمادة، محمد (1998). القصة الشعبية والتربية البدوية، مجلة التراث والمجتمع، العدد الثاني والثلاثين، البيرة-فلسطين.
- شكارنة، عمر (1999). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 34، البيرة-فلسطين.
- شكارنة، عمر (1999). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 33، البيرة-فلسطين.
- شكارنة، عمر (1998). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 31، البيرة-فلسطين.
- شكارنة، عمر (1998). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 32، البيرة-فلسطين.
- شكارنة، عمر (2000). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 35، البيرة-فلسطين.
- شكارنة، عمر (). المثل الدارج في فلسطين مصدره وروافده، مجلة التراث والمجتمع، عدد 25، البيرة-فلسطين.
- كناعنة، شريف (1992). الدار دار أبونا- دراسات في التراث الشعبي، القدس: مركز القدس العالمي للدراسات الفلسطينية.
- محمد عليان، محمد (2009). من صور التراث الشعبي في القدس: المثل المقدسي، دراسة مقدمة لمؤتمر التراث الشعبي الفلسطيني في القدس الشريف: هوية وانتماء، جامعة القدس المفتوحة- رام الله، 29/12/2009 م.- كتاب وقائع المؤتمر.
- نجم، منور عدنان وعلي، عزيزة عبد العزيز (2006). صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية. دراسة مقدمة للمؤتمر العلمي التاريخ الشفوي: الواقع والطموح (15-16 أيار)، الجامعة الإسلامية، غزة.
- النمورة، محمود طلب (1998). الفلكلور في الريف الفلسطيني، القدس: مطبعة الأمل.

- مواقع الكترونية

(kenana online.com).

www.alodaba.com

http://latefah.net/artic2/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%85%d8%ab%d8%a7%d9%84.pdf

ملحوظة: الكتب والمجلات موجودة في مكتبة السنابل التراثية-مركز السنابل للدراسات

والتراث الشعبي في سعير-

الملاحق:

ملحق بالأمثال الشعبية

- *اللي بده الملاح بيع السلاح
- *زينة المرأة بمذهبها مش ذهبها
- *خذ الأصيله لو كانت على الحصيرة
- *البنت الزين بتمشي من بين صفين
- *بكرا بتيجي الحصيدة وبتشوف فعلتها
- *اللي ما بتزينها زنودها ما بتزينها خدودها
- *إن وقفت بتبين وإن نطقت بتزين
- *العقل بالراس زينة واللي عدمته حزينة
- *اللي ما بتزينه عروقه ما بتزينه خروقه
- *الزين ما يهرم
- *قرعة تتباهى بشعر بنت خالتها
- *شو تعمل الماشطة في الوجه العفش-الشنع
- *البنت الحرة زي الذهب في الصرة) .
- *بتشوف الميه من رقبتة
- *البنت المربية ذهب مخبية
- *عنقها زي عنق الغزال
- *بدلوا غزلانها بقرودها
- *فمها خاتم سليمان

- * لا أنت أحمر مني خد ولا أحسن مني جد
 * ما لقوا عيب في التفاح قالوا له أحمر الخدين
 * خدودها حمر مرمزات
 * خدودها زي تفاح الشام
 * خدود زي حب الرمان
 * لبس الأسمر أحمر واضحك عليه
 * زينة الزين الحاجب والعين
 * ما زين الا زين العينين
 * خذ البيضة ولو أنها مجنونة
 * بتقول للقمر قوم تأقعد مكانك
 * وجهك زي قمر
 * وجهك وإلا ضو القمر
 * البياض بياض الشاش قمر على المخدة

ملحق قائمة بالمفردات الواردة في الأمثال الشعبية باللهجة المحكية الفلسطينية:

المفردة باللهجة المحكية	المعنى والدلالة
بتزينه	تزينه
عروقه	العرق-الأصل
خروقه	من الخرقه-الملابس
بتيحي	من جاء-تأتي
تشوف	رأى
الحصيرة	غطاء يوضع على الأرض من القش أو النايلون
مش	لا
بده	يريد
ضو	ضوء
زي	مثل
تفاح الشام	نسبة إلى غوطة دمشق والجولان في بلاد الشام.

**فصل التشبيهات الشعبية الفلسطينية
منطقة بيت لحم وعرب التعمارة أنموذجا**

فصل التشبيهات الشعبية الفلسطينية منطقة بيت لحم وعرب التعمارة أنموذجا

د. مفيد عرقوب د. إدريس جرادات

ملخص البحث

إن تراثنا غني وثرى، فيه قيم ورؤى وحكم نفيسة، وصور جمالية خلابة؛ مما يدعونا لسبر غوره، والبحث في كنوزه، فهو سرّ ارتباطنا بوطننا، ولغز تمسكنا الفطري المتجذر بأرضنا، والشعب الفلسطيني أحوج ما يكون إلى التمسك بتراثه في إطار معاركه الشاملة لحماية هويته الوطنية والقومية والدينية، في وجه كل المحاولات التي تستهدف قطع كل صلة له بماضيه وتراثه الضاربة جذوره في أعماق التاريخ.

وتعتبر الأمثال الشعبية والتشبيهات الشعبية من الفنون الهامة التي تعزز الهوية الذاتية لشعبنا الفلسطيني، وتستمد محتواها من العادات والتقاليد والطقوس الدينية، والمعتقدات الشعبية، ومن البيئة المحيطة، تنتقل من السلف إلى الخلف ومن الآباء والأجداد إلى الأبناء. وتعالج هذه الدراسة التشبيهات الشعبية بوصفها فناً مستقلاً بذاته له خصائصه ومقوماته التي تميزه عن باقي الفنون القولية الأخرى كالمثل، وهذا الفن هو من أكثر فنون التراث الشعبي انتشاراً وتداولاً بين مختلف فئات الشعب وشرائحه الاجتماعية، الأمر الذي جعله عرضة للتعديل والتحريف لمواكبة تطور الحياة.

وجاءت هذه الدراسة في مقدمة وخاتمة ومحورين اثنين هما :

المحور الأول : التشبيه والتشبيه الشعبي والمثل الشعبي، وعالج هذا المحور تعريف التشبيه لغة واصطلاحاً وبين أركانه وأدواته وأغراضه وأهميته، ثم عرف المثل الشعبي وعقد مقارنة بين التشبيه الشعبي والمثل الشعبي من حيث تعريف كل منهما، وبيان أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

المحور الثاني : التشبيهات الشعبية: أدواتها، أركانها، سماتها، أصنافها، وقد صنفها الباحثان إلى نوعين:

أولاً: التشبيهات المتعلقة بالوصف المادي للإنسان، الجمال أو القبح والنحافة والبدانة واللون وغيره .

ثانياً : التشبيهات المتعلقة بالصفات المعنوية، وهي كثيرة ، كالتشبيهات الدالة على الشجاعة والرجولة أو الجبن أو البلادة والخنوع، وتلك الدالة على حسن الكلام أو قبحه، أو الدالة على المذاق أو مره، أو صفات المدح أو الذم ، أو الدالة على اللكرم أو البخل ، والتفاؤل والتشاؤم وغيرها .

واتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي في تحليل هذه التشبيهات، بعد تصنيفها وبيان مدلولاتها، وتمخضت الدراسة عن مجموعة من المقترحات والتوصيات. والله ولي التوفيق

المقدمة

تعالج هذه الدراسة واحداً من أهم الفنون التراثية الفلسطينية ، وأكثرها رواجاً وتداولاً بين الناس ، على اختلاف فئاتهم وشرائحهم الاجتماعية ، ألا وهو التشبيهات الشعبية بوصفها فنّاً مستقلاً قائماً بذاته ، له سماته التي يتميز بها عن غيره من الفنون الشعبية كالمثل والزلجل والقص والقول المأثور وغيره .

ووقعت الدراسة في مقدمة وخاتمة ومحورين اثنين هما :

المحور الأول: التشبيه والتشبيه الشعبي والمثل الشعبي :

1 . تعريف التشبيه لغة واصطلاحاً .

2. أركانه وأدواته .

3. أغراضه وبواعثه .

4. علاقته بالمثل .

3.أوجه الاتفاق بين التشبيه الشعبي والمثل الشعبي

4. أوجه الافتراق بين المثل الشعبي والتشبيه الشعبي

أما المحور الثاني فتناول التشبيهات الشعبية :أدواتها ، أركانها ، سماتها ، أصنافها. وقد

قام الباحثان بتصنيف هذه التشبيهات إلى قسمين رئيسيين هما :

القسم الأول : التشبيهات المتعلقة بالوصف المادي للإنسان كالجمال والزينة والتبرج أو القبح ، والبدانة أو النحافة .

القسم الثاني: التشبيهات الشعبية المتعلقة بالصفات المعنوية ، كتلك الدالة على الشجاعة والبطولة والرجولة أو البلاهة والجبن والخضوع ، والتشبيهات الدالة على النشاط أو الكسل

واتبع الباحثان المنهج الوصفي في تحليل هذه التشبيهات وبيان مدلولاتها ، ثم المنهج الميداني في إجراء بعض المقابلات في منطقة بيت لحم وعرب التعمارة خصوصاً مع المعمرين منهم .

وكان منهجنا هو إيراد التشبيهات الشعبية ضمن تقسيماتها المختلفة، ومن ثم توضيحها، وتفصيلها متى ما كان ذلك ضرورياً ، ثم تحليل هذه التشبيهات وبيان مدلولها .

مشكلة الدراسة:

وجد الباحثان أن ثمة حاجة ماسة لدراسة هذا النوع من التراث ، الذي يتعرض لعمليات إهمال وتشويه وتحريف في ظل عصر العولمة، وعليه يمكن الإشارة إلى بروز سؤال واضح حول أهمية الحفاظ على هذه التشبيهات الشعبية .

حدود الدراسة :

1. الحدود الموضوعية: وتتضمن التشبيهات الشعبية الدارجة على ألسنة الناس ، وقد أخذ الباحثان عينة من هذه التشبيهات، وأجرى عليها الدراسة .
2. الحدود الزمانية: تم جمع هذه التشبيهات خلال العام 2014م .
3. الحدود الجغرافية: منطقة لبيت لحم وعرب التعمارة .

أهداف الدراسة:

تعد هذه الدراسة من الدراسات والبحوث القليلة والنادرة التي تتناول هذا الموضوع، بل لا يجازف الباحثان إن زعمنا أن هذه الدراسة هي الأولى التي تناولت التشبيه الشعبي، بوصفه فنّاً مستقلاً من فنون التراث الشعبي الفلسطيني القولي الشفاهي - في حدود علم الباحثين - .

وتنبح أهمية هذا الموضوع كونه من المجالات الهامة التي تؤسس للهوية الذاتية لشعبنا من خلال عمليات السرد على نطاق الأسرة النووية والممتدة والعشيرة ، سواء في البيت أو المظافة أو الجلسات الخاصة والعامة .

ولهذا يمكن أن يشكل هذا البحث إضافة علمية نوعية إلى مكتبتنا الفلسطينية التي تفتقد إلى مثل هذا النوع من الدراسات ، خصوصاً وأن هذه التشبيهات تعد مصدراً مهماً للتجارب الفردية والجمعية، وتثري مكتبتنا بمادة علمية متمعة يخلق فيها الخيال منطلقاً عبر الزمان بلا قيود .

وتستخدم التشبيهات الشعبية شأنها شأن الأمثال الشعبية في التعبير عن موقف معين ، وهي تحتاج إلى قوة الذاكرة ، ومهارة العرض؛ كي تؤدي دورها في التأثير على المستمعين . وللتشبيهات الشعبية رسالة تربوية تسعى إلى تحقيقها من خلال التهيئة الوجدانية والإدراكية ، وترك الأثر البليغ في النفس ، من خلال التعبير عن موقف معين ، أو التدليل على وجهة نظر معينة ، وتربي لقيم خلقية معينة تشتق من الكتب المقدسة ، أو الأساطير القديمة ، أو تستمد من البيئة المحيطة بما تحتويها من إنسان وحيوان وطيور وجماد ؛ للتعبير عن البطولات والمغامرات، والمواقف والصفات .

والتشبيهات الشعبية تستمد محتواها من العادات والتقاليد ، والطقوس الدينية ، والمعتقدات الشعبية ، والظاهر الكونية ، وتنتقل من السلف على الخلف ، ومن الأجداد والآباء إلى الأبناء ، وهي قابلة للتطوير والتعديل والتجديد ، وربما تتعرض لعمليات حذف أو إضافة مقصودة لما يقتضيه موقف معين أو مناقشة معينة .

وعند دراسة هذه التشبيهات وجد الباحثان أنها غنية وثرية بالمواقف والقيم ، وقد غزت جميع الميادين ، واستخدمت في جميع المجالات ، كما كشف الباحثان عن الصور الجمالية التي تضمنتها هذه التشبيهات ، ودعيا إلى العناية بهذا العمل جمعاً وتحليلاً ودراسة؛ فهو على اتساعه يعتبر فرعاً من فروع الفلكلور الفلسطيني الشعبي .

المحور الأول: التشبيه والتشبيه الشعبي والمثل الشعبي

1. تعريف التشبيه لغة واصطلاحاً :

التشبيه لغة : هو " التمثيل " ⁽¹⁾

واصطلاحاً :

هو "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ما من المعاني بأداة التشبيه ⁽²⁾
والتشبيه هو " بيان أن شيئاً أو أشياء شارك غيرها في صفة أو صفات بأداة هي الكاف
أو نحوها " ⁽³⁾ .

2. أهميته :

التشبيه فن من فنون البلاغة اتفق البيانون على علو شأنه، ورفعة منزلته، ووقعه
العظيم في النفس، وتأثيره في إقناع النفس وإمتاعها، ومقدرته على توضيح الخفي،
وتقريب القصي .

والتشبيه من أهم أساليب البلاغة، وأجمع طرق التعبير لأسرار الحسن ، ومعاني البراعة،
وفيه تتفاوت أقدار القائلين، حتى يكون منهم المعجز الذي لا يبارى، والساقط الذي
لا ينظر إليه ، ولذلك كان المعول الأكبر في علم البيان على باب التشبيه ، فلا غرو أن يكون
له ذلك الشأن ⁽⁴⁾ .

وحقا ما قيل في بلاغة التشبيه : إنه يزيد المعنى وضوحاً ، ويكسبه تأكيداً ، ويضفي عليه
جمالاً ، فهو من هذه الناحية يعمل عمل السحر في التقريب بين الأشياء المتباعدة ، ويرى ابن
رشيق القيرواني أن التشبيه والاستعارة " يخرجان الأغمض إلى الأوضح ، ويقربان البعيد " ⁽⁵⁾

(1) القزويني، الخطيب، تلخيص المفتاح، ص 135

(2) القزويني، الخطيب، تلخيص المفتاح، ص 135

(3) اللادقي، محمد طاهر : المبسط في علوم البلاغة، ص 176 .

(4) القيرواني، ابن رشيق: العمدة ، ص 157

(5) المبرد : الكامل، ج 2، ص 96.

ولم تخف عن العرب فائدة التشبيه، و قيمته البيانية، وقد أوتوا ما أوتوا من الفصاحة والبلاغة والقدرة على انتقاء خير الأساليب للتعبير البياني، وألطف الطرق للإبانة عما في نفوسهم، فحمل التشبيه أساليب بيانهم، وكان أكثر كلام العرب، حتى قال المبرد، "لو قال قائلان التشبيه هو أكثر كلام العرب لم يبعد"⁽¹⁾.

ويراه قدامة بن جعفر "من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم"⁽²⁾.

فن التشبيه فن شريف القدر، فخم الأمر، في مجال البلاغة العربية، وهو يضاعف قوى النفس، ويثث فيها النشاط، في تحريك النفوس تجاه الشيء المراد، وتزيينه أو تقبيحه للمخاطب، أو تقريره له، أو بيان مقداره، أو حاله، ناهيك عما فيه من إيجاز مما يمكن من بلوغ المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة .

والأصل في التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أبين منه، أو أقبح منه، وأوضح، أو بما هو أحسن منه، أو أقبح، وكذلك يشبه الأقل بالأكثر، ويلحق الأدنى بالأعلى، وفي هذا من المبالغة ما لا يخفى، وبهذه الطريقة تتضح المعاني وتبرز الحقائق ماثلة للعيان ، ويزيل الغموض بها عن الأشياء⁽³⁾ .

3. أركانه وأقسامه: أما أركانه فله أربعة أركان هي: المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه .

وهذه الأركان الأربعة قد توجد، وقد تحذف حذفاً على الانفراد، أو معاً؛ لوجود دليل ما عدا المشبه به⁽⁴⁾

(1) قدامة بن جعفر : نقد الشعر، ص58.

(2) الدراويش وعرقوب: دور أسلوب التشبيه البليغ في الكشف عن صورة شيخ الأزهر شمس الدين الأنباري، ص5.

(3) ينظر حاشية الأنباري على الرسالة البيانية للصبان ، ص 39 .

(4) التبيان في علم المعاني والبدیع والبيان ، ص212 .

أما أقسامه فهي :

1. المرسل : وهو ما ذكرت فيه الأداة .
2. المفصل : وهو ما ذكر فيه وجه الشبه .
3. المؤكد : وهو ما حذفت فيه الأداة .
4. المجمل : وهو ما حذف فيه وجه الشبه .
5. البليغ : وهو ما حذف فيه الأداة ووجه الشبه .

التشبيه الشعبي :

أ . ماهيته وأهميته وأغراضه .

ب . أدواته :

ج . التشبيه الشعبي والمثل .

أ . ماهيته وأهميته وأغراضه :

التشبيه الشعبي هو لا يختلف عن التشبيه الفصيح في مدلوله وتعريفه ومعناه سوى في استخدام الألفاظ العامة الدارجة مكان اللغة الفصيحة، ويتميز بوجود دلالة وهي كلمة (مثل) شبيه بأداة تشبيه ثابتة (مثل الأسد) ، و (مثل القمر) وغيره .

فالتشبيه الشعبي: هو فن من الفنون التراثية الفولكلورية الشفاهية ، وهو مجهول القائل، والتشبيه الشعبي خلاصة تجارب وأفعال الناس على مر السنين .

تشكل التشبيهات الشعبية مصدراً مهماً لمعرفة الشخصية الفلسطينية وميولها ، والتعرف على أسلوب تفكيرها ، وأنماط حياتها ، ونظرتها للحياة .

والتشبيه الشعبي جزء أصيل من فنون الأدب الشعبي ، فهو يعبر عن مواقف معينة أو تجارب معينة من تجارب الإنسان الفلسطيني ، وهو متداول بين الناس، ومن خلال دراستنا لهذه التشبيهات نستطيع التعرف على عادات المجتمع الفلسطيني وذكائه ، فهذا التشبيه ما كان له أن يبقى وتتناقله الأجيال إلا لأنه صدر عن إنسان ذكي أولاً ، ثم حاجة المجتمع بلهذه اللون من الأدب الشعبي الذي يعبر عن تجربة مديدة . ولهذا فإن انتشار هذا اللون يشكل كبير

بين أفراد المجتمع إنما هو مؤشر يدل على حاجة الأفراد لاستخدامه، والتعبير عما يختلج في النفس من مشاعر وأفكار وأحاسيس .

وتعتبر التشبيهات الشعبية من الظواهر الفريدة في الأدب العالمي ؛ لأنها تكس خلاصة التجارب الإنسانية المتنوعة ، التي تتسم صياغتها اللغوية بالرمزية والتشبيه ، وتمتاز بأنها عبارات مقتضبة موجزة مصاغة بصورة متكاملة لا تقبل الزيادة أو النقصان .

كما أن هذه التشبيهات يميل الناس إلى استخدامها لتطعيم كلامهم ، وتدعيم حججهم ؛ لتكون أراؤهم موضع تقدير واستحسان لدى الناس .

والتشبيهات الشعبية تعكس بلاغة المجتمع ، وتفننه في قواله ، ونسيج عبارته ، وميله إلى الرمز والتلميح ، دون التصريح والتقرير ، ومن هذه الزاوية تقدم هذه التشبيهات صوراً فنية حية ، تمتع الحس والشعور ، وترضي النفس ؛ مما ينمي الذوق الأدبي ، ويطور الملكة التعبيرية .

أغراض التشبيه الشعبي وبواعثه:

وتقوم هذه التشبيهات على المقارنة والموازنة ، وتعددت الأغراض من هذه التشبيهات كتلك الدالة على الشجاعة والبطولة والإقدام كقولهم (مثل الأسد) أي: في الشجاعة والبسالة والإقدام. فالأسد رمز للشجاعة والقيادة والوقار. أو كتلك الدالة على العمل والنشاط ونبذ الكسل والخمول كقولهم: (مثل البرق) أو (زي هبوب الريح) و (مثل الفلقة) وكلها تصف الإنسان النشط سريع الحركة. أو التشبيهات الدالة على الجمال ، فشُبّهت الحسناء بالقمر كقولهم (زي القمر)، أي إطلالتها كإطلالة القمر ، فالقمر يقرن بالجمال .

كما نرى أن هناك تشبيهات تنبذ السلوك غير الحسن كالكسل والخضوع والضعف والهوان كقولهم (زي اللي ماشي عبيض)، أو (مثل الأرنب) و(مثل الخاتم بصباعه) ، كما أن هناك من التشبيهات تحارب الإتهازية وتنبذ التطفل كقولهم (مثل الحية المشوبة) أو (زي البصل محشور في كل طعام) أو كتلك التي تحارب المكر والخداع كتشبيه الإنسان الماكر المخادع بالثعلب بقولهم (زي الثعلب) .

وهكذا نرى أن هذه التشبيهات بمعظمها تدعو إلى القيم المثلى والعادات الحسنة وتشيد بالسلوك الحسن ، وتنذ القيم السيئة والعادات الكريهة ، وتحارب السلوك السيء .

أما بواعث التشبيه الشعبي فيمكن تلخيصها بما يلي :

1. التفنن في أساليب التعبير ، إذ تقوم هذه التشبيهات على المقابلة والموازنة. فحين تشبه الحبيبة مثلاً بالغزال بقولهم (مثل الغزال) فإنما أرادوا المقابلة بين صفات الغزال وصفات الحسناء، كالرشاقة واتساع العيون، وإذا شبهوها بالحمامة فإن ذلك يعني اللطافة والهدوء.

2. النزوع إلى التجديد والابتكار والإبداع لطريقة التشبيه، فالتشبيه ملكة تولد الإبداع وتميل إلى الابتكار .

3. إقامة البرهان والحجة على أن الذي أسند إليه المشبه أمر مقنع وممكن وقائم فعلاً .

ب. أدوات التشبيه الشعبي :

أدوات التشبيه : أداة التشبيه هي كل لفظة تدل على المماثلة والاشتراك ؛ أي أنها الأداة التي تربط بين الطرفين : المشبه والمشبه به ، وعند البلاغيين يقصد بأداة التشبيه آلتها التي يتوصل بها إليه ، قال الطيبي : " وهي ما يتوصل به إلى وصف المشبه ، بمشاركة المشبه به في الوجه ، وهي الكاف وكأن ومثل وشبه ، وما في معناهما " (1) .

وتعد كاف التشبيه من أشهر أدوات التشبيه وأكثرها استعمالاً ؛ لحفها ووجازتها، بل هي أصل معانيه ، قال سيبويه : "... وكاف التشبيه التي تجيء للتشبيه ، وذلك قولك : أنت كزيد " (2) .

وكاف التشبيه هي بمعنى (مثل) التي هي أداة التشبيه الرئيسية في التشبيه الشعبي ، وقولك أنت كزيد معناه: مثل زيد (3) .

(1) أبو علي ، محمد توفيق / الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، دار النفائس ، بيروت ، ص 12 .

(2) سيبويه : الكتاب، 4/ 217 .

(3) المبرد : المقتضب ، 1/ 39 .

ج. التشبيه الشعبي والمثل :

1 . تعريف المثل :

تتوزع مادة (مثل) في معاجم اللغة بين مجموعة من المفاهيم المتنوعة: التسوية والمثلية، الشبه والنظير، الحديث، الصفة، الخبر، الحذر، الحجة، الند، العبرة، الآية، المقدار، القالب، الانتصاب، نصب الهدف، الفضيلة، التصوير، الالتصاق بالأرض، الذهاب، الزوال، التنكيل، والعقوبة، القصاص، الجهد، الفراش، النمط، الحجر المنقور، الوصف والإبانة⁽¹⁾ .

ففي اللسان معناه التسوية يقال: هذا مثله ومثله، كما يقال شبيهه وشبهه، قال ابن بري : الفرق بين المماثلة والمساواة ، أن المساواة لا تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين ؛ لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص ، وأما المماثلة فلا تكون في المتفقين والمثل الشيء الذي يضرب بشيء مثلاً فيجعل مثله ، وفي الصحاح ما يضرب به الأمثال ، ومثل الشيء عند الجوهري صفته ، ... والمثال: الفراش والنمط، وحجر قد نقر في وجهه نقر ...⁽²⁾ .

واعتنى العرب منذ القدم بالمثل ، فكان لكل موقف من المواقف مثل يستشهد به ؛ ونظراً للأهمية التي يكتسبها المثل في الثقافة العربية ، وهو ما أشار إليه ابن الأثير بقوله " وذلك أن العرب لم تصغ الأمثال إلا لأسباب أوجدتها ، وحوادث اقتضتها ، فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي تعرف بها الشيء"⁽³⁾ .

وهو قول موجز قيل في مناسبة ما، وأصبح يتمثل به للتعبير عن كل حاله تشبه هذه المناسبة التي قيل فيها ، وهو قول مأثور تظهر بلاغته في إيجاز لفظه ، وإصابة معناه . والمثل عند الفارابي ما ترضاه العامة والخاصة في بفظه ومعناه حتى ابتدلوه فيما بينهم ، وقنعوا به في

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة ، مادة (مثل) .

(2) ابن الأثير، ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، الجزء الأول ، نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ، ص 54 .

(3). الفارابي، أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم، ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر ، الجزء الأول ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ص 74 .

السراء والضراء ، ويرى أنه أبلغ الحكمة ؛ لأن الناس لا تجتمع على ناقص ، لذا فهو قيمة خلقية اصطلاح على قبولها ، وهو يمر قبل اعتماده وشيوعه في غربال معايير الشعب ، ويعبر عن هذه المعايير في مجالات الحياة المختلفة ⁽¹⁾.

وعرفه السيوطي نقلاً عن المرزوقي في (شرح الفصيح) : جملة من القول مقتضبة من أصلها ومرسلة بذاتها تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، وعما يصح الظاهر إلى أشباهه من المعاني ⁽²⁾.

والمثل الشعبي: وهو فن من الفنون التراثية الفولكلورية، مجهول القائل، وهو سلوك تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية يوحى في أغلب الأحيان بعمل أو يصدر حكماً عن وضع معين ، وهو يتميز بالاختصار والتنغيم والمجازية في الأسلوب والواقعية في صور بلاغية .
الفرق بين التشبيه والمثل :

تتداخل في كثير من الأحيان فنون التراث الشعبي المختلفة، خاصة بين التشبيه الشعبي والمثل الشعبي ، لدرجة أن كثيراً من الباحثين والمتخصصين قد جعلوا التشبيهات الشعبية ضمن أنواع المثل ، لذا عملنا جاهدين في هذا البحث لفصلهما عن بعضهما البعض، وهو ما جعلنا نتعرض لمخاطر عديدة أبرزها نقص أو انعدام المراجع والمصادر التي تناولت هذا الموضوع ، منطلقين من حقيقة مفادها أن التشبيه الشعبي لا يختلف كثيراً عن التشبيه الفصيح، سوى في استخدام الألفاظ العامية، وطالما أن التشبيه الفصيح ظل مستقلاً عن المثل عتد اللغويين والباحثين ، فلم نقوم اليوم بفصل التشبيه الشعبي عن المثل أيضاً ؟ بل أن بعض الباحثين ذهب لأبعد من ذلك حين قال: "الأصل في المثل هو التشبيه والتصوير ؛ فالمثل يميل إلى تشبيه المجرد بالمحسوس وإلى تبني الرمز الحسي المتداخل مع الرؤية التأملية ⁽³⁾.

(1) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول، دار الجليل ، بيروت، ص 486 .

(2) مكّي، أحمد : التربية الشعبية في اليمن ، دراسة للمثل الشعبي في محافظة إب، ص 14 .

(3) عبد الرزاق، علي: أمالي عبد الرزاق في علم البيان ، ص 73-74 بتصرف .

ومهما يكن من أمر فسنحاول الوقوف عند أوجه الاتفاق والافتراق بين هذين الفنين الأصليين :

أوجه الاتفاق بين التشبيه الشعبي والمثل الشعبي :

يتفق المثل والتشبيه الشعبي في أن كل منهما :

1. من أقسام الفنون التراثية الفلوكلورية .
2. وقائلهما مجهول .
3. هما خلاصة تجارب وأفعال الناس على مر السنين .
4. الاختصار

أوجه الافتراق بين التشبيه الشعبي والمثل الشعبي :

1. إن أكثر التشبيهات محسوسة تقترن بإيراد مسمى لكائن حي أو جماد من البيئة المحيطة كقولهم (مثل البطة)، (مثل عود الزان)، بينما أكثر الأمثال مجردة تعتمد على المحاكاة العقلية، واختصار المواقف .
2. التشبيه أكثر اختصارا من المثل ، كقولنا : مثل الجريدة .
3. معظم التشبيهات الشعبية يسبقها كلمة (مثل) أو (زي)، كأنهما شيفرة تميز التشبيه عن المثل .
4. التشبيهات في الموروث الشعبي أقل عددا من الأمثال .
5. التشبيه أكثر خصوصية من المثل، فهو (أي التشبيه) يهتم بخصائص وممارسات معينة، بينما يطلق المثل الصفات العامة والشاملة للإنسان .
6. كثير ما يمتزج المثل بالحكمة، وهو قليل في التشبيه .
7. لعل استخدام التشبيه في الريف أكثر من المدينة، بينما تنتشر الأمثال في الريف والمدينة على حد سواء .
8. نص التشبيه أقرب إلى اللغة الفصحى ، فأكثر التشبيهات تكتب بالفصحى ، أما المثل فتكثر فيه الكلمات الغريبة عن العربية .

9. تخضع غالبية الأمثال لجرس موسيقي معين ، ولحن مخصوص كقولنا في وصف الجار السيء الذي لا منفعة فيه : (كوم احجار ولا هالجار) ، أما التشبيه فلا يخضع للاعتبار نفسه .

10. قد يجري التشبيه مجرى المثل كقولنا : (مثل اللي عازم الحمار عالعرس) ، فيصبح هنا إيراد التشبيه كـ (مثل) ، بينما لا يمكن أن يجري مجرى التشبيه الشعبي .

وهكذا يتضح للباحثين الفرق بين التشبيه الشعبي والمثل ، مما يجدونا التعامل مع التشبيه الشعبي بصفته فنًا مستقلاً ، وليس فرعاً من فروع المثل كما تبين لنا من خلال تعريف كل منهما ، وأنه وإن كانا قد اتفقا في كثير من الأمور ، إلا أنهما اختلفا في أمور أكثر ، ولو كان التشبيه الشعبي جزءاً من المثل ، لعدّ العلماء واللغويون التشبيه الفصيح جزءاً من المثل ، لا سيما وأن التشبيه الشعبي لا يختلف عن التشبيه الفصيح سوى في استخدام الألفاظ الدارجة كما سيتبين لنا في محوري هذه الدراسة .

المحور الثاني: التشبيهات الشعبية أدواتها ، أركانها ، سماتها ، أصنافها التشبيه الشعبي أدواتها وسماته وأركانها:

تبين لنا في المحور الأول أن التشبيه الشعبي لا يختلف عن التشبيه الفصيح إلا في الألفاظ ، كما تبين أن كاف التشبيه التي هي أصل أدوات التشبيه عند سيبويه وغيره من النحاة تأتي بمعنى (مثل) التي هي أداة التشبيه الرئيسية في التشبيه الشعبي . ويوجد أداة تشبيه أخرى هي كلمة (زي) ، وتستخدم بمعنى (مثل) أو (شبه) .

إن الشيء يشبه بالشيء من وجه واحد ، لا يكون مثله في الحقيقة ، إلا إذا أشبهه من الوجوه جميعها لذاته ، فكأن الله تعالى حين قال : "ليس كمثله شيء" ⁽¹⁾ ، أنه لا شبه مثله ، ولو كان قوله تعالى "ليس كمثله شيء" نفيًا أن يكون لمثله مثيل ، لكان قولنا : ليس كمثله زيد رجل مناقضة ؛ لأن زيد مثل من هو مثله ، والتشبيه بالكاف يفيد تشبيه الصفات بعضها ببعض ، وبالمثل يفيد تشبيه الذات بعضها ببعض ، نقول : ليس كزيد رجل ؛ أي في بعض صفاته ؛ لأن كل أحد مثله في الذات ، وفلان كالأسد ؛ أي : في الشجاعة دون الهيئة ، وغيرها من

(1) الشورى : 11 .

صفاته، لذا نقول : نقول مثل هذا كمثل هذا ؛ أي: صفته كصفته ، قال تعالى : "كمثل الحمار يحمل أسفارا" ، وحاملوا التوراة لا يماثلون الحمار ، ولكن جمعهم وإياه صفة ، فاشتركوا فيها . ومن المعلوم أن الذي يلي أداة التشبيه هو المشبه به لفظاً كقولنا (مثل الأسد) ، فالمشبه به هو الأصل ، وهو المعول عليه في التشبيه ، جيء به لتوضيح حال المشبه ، وليظهر مقداره أو كميته ، صحيح أن المقصود هو إيضاح حال المشبه ، لكن المشبه به لا بد أن يكون معلوماً في الذهن ظاهراً بيئاً ، وعليه المتكأ في التشبيه .

ومن دراستنا للتشبيهات الشعبية تبين لنا :

1. يجري التشبيه بأداتين هما : مثل و زي .
2. قد يأتي المشبه محذوفاً ؛ سعياً وراء الاختصار والوجازة ؛ لأن المشبه معلوم في ذهن السامع .
3. وقد يأتي مذكورصاً لفظاً كقولهم : بنت مثل الملبسة .
4. غالباً ما يكون التشبيه مفرداً ، كقولنا " وجهها زي البدر ، مثل الصوص .
5. قد يذكر وجه الشبه في التشبيه الشعبي كقولهم : (زي الفيل) ، وقد يحذف كقولهم : مثل البوم بدل عاخراب .
6. يأتي التشبيه في حالات نادرة بصورة بصورة ، كقولهم : الكبرة اللي ماهي لايقة مثل الحبل المتضايق ، فنحن أمام صورتين : الأولى : صورة الإنسان المتكبر المتعالى على الناس ، وهو ليس بأفضل منهم ولا بأحسن منهم ، كصورة المرأة الحامل التي غالباً التي تشكو من ضيق من حملها .
7. التشبه بالحيوانات والطيور .

لعل البيئة الصحراوية فرضت على الإنسان أن يتعامل مع الحيوانات والطيور ؛ لذا نجد أن كثيراً من التشبيهات الشعبية قد استخدمت هذه الحيوانات والطيور كالأسود والسبع والذئب والخيل والإبل والبغال والأغنام ؛ والصقور والغربان والبومات وغيرها ؛ ولعل هذا السبب وراء انتشار هذه التشبيهات في الريف أكثر منه في المدينة .

ومهما يكن من أمر فإن الحيوانات والطيور أمم تشبه أمم البشرية ، وتماثلها في أكثر الأحوال ، فتعيش كما يعيش الإنسان في حياته اليومية ، فيتزوجون ويلدون ويكونون الأسرة ، قال تعالى : ﴿ وَمِمَّن دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيرَ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ عَزِيزٌ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنعام: ٣٨

وعليه فقد استعار التشبيه الشعبي بعض أشكال هذه الحيوانات والطيور وألوانها ولغاتها وأجناسها وأنواعها وأمراضها وطباعها ، ليفوا بها الإنسان وطباعه وصفاته ، التي تشبه صفات الحيوانات والطيور ، حتى أصبحت مضرِبًا للأمثال .

وليس الغرض من تشبيه الإنسان بالحيوان إلا بغية نعتة بما يتميز به ذلك الحيوان من صفات بارزة معروفة ، وكانت العرب إذا شبهت الحبيبة بالظبي ، فإنما أرادوا الرشاقة واتساع العيون ، وإذا شبهوا الرجل بالأسد فإنما قصدوا الشجاعة والقوة والقيادة .

أصنافها :

لقد تبين للباحثين من خلال دراستهما للتشبيهات الشعبية المعمقة أنها يمكن أن تخضع لأكثر من تصنيف منها:

- 1 . تصنيفها حسب الموضوع ، كالتشبيهات المتعلقة بالجمال أو القبح ، والانتهازية ، والوداعة واللطافة ، والنظافة وغيرها .
- 2 تصنيفها تبعًا بما يرتبط بالحواس والمجرد؛ انطلاقًا من أن معظم التشبيهات الشعبية الواردة تخضع للبيئة المحيطة بنا ، والقريبة من نظرنا من إنسان وحيوان وطيور ، وأشياء نتعامل معها مباشرة .
- 3 ومن خلال استعراضنا لهذه التشبيهات تبين لنا أنها تنقسم من حيث قالبها اللغوي إلى ثلاثة أقسام هي:

الأول: التشبيه الذي يشبه المشبه به بشيء محسوس ومعروف لدى العامة كقولهم : (مثل الأرنب) و(مثل القمر) ، وهنا يكون المشبه به معروف الصفات سلفًا لدى المستمعين ، فهم يعرفون ما يعنيه (الأرنب) ، وأنه من الحيوانات الجبانة ، ويعرفون القمر أنه ينم عن الجمال والبهاء ، وهكذا بقية التشبيهات التي تنتمي إلى هذا النوع .

الثاني: التشبيه الذي يشبه المشبه به بشيء غير معروف الصفات لدى العامة ، فيتم رده بقرينة تدل عليه، فيتم تحديد صفة المشبه به ، كقولنا : (مثل خبز الشعير مأكول مذموم) .
 الثالث: التشبيه الذي يسبق الأداة (مثل أو زي) بصفة أو فعل للدلالة على المشبه به .
 كما يقال : (سحبه مثل الشعرة من العجين) و (وجهه زي الليمونة) . فقولهم (زي الليمونة)، هو غير كافٍ ؛لأن المقصود هنا هو اللون الأصفر، فوجب وضع كلمة (أصفر) من اللون الأصفر، لتدل على وجه المشبه الأصفر الذي ينم عن المرض في كثير أو تراجع الصحة في كثير من الأحيان .

واتضح أن الغالبية العظمى من هذه التشبيهات تنقسم إلى نوعين :

الأول : مرسل مفصل

والثاني : مرسل مجمل

وبعد دراسة وجد الباحثان أن التصنيف على أساس طبيعة الموضوعات التي تناولتها التشبيها هي الطريقة الأفضل في التصنيف ؛ لأسباب لا يتسع المجال لتناولها .

القسم الأول: التشبيهات المتعلقة بالوصف المادي للإنسان ومنها :

1 . الجمال والحسن ، ومن أمثلتها :

• مثل النقطة بالمصحف

إن الغاية من ذكر المصحف الشريف في هذا التشبيه إنما يدل على الصفاء والنقاء والطهارة ، وغالبًا ما يوصف به الطفل جميل الصورة ، وما يتمتع به من وداعة وبراعة .

• مثل ريم الفلا

لقد تغنى العرب منذ قديم الزمان بجمال الطي خالص الأبيض، جميل الشكل ، خفيف الحركة ، كما تغنوا بجمال عيونه ، ورشاقة حركته ، وطول عنقه ، وروعة خلقه ، وشبهوا النساء الحسان ذوات البشرة البيضاء والقند المشقوق والقوام الرشيق ، وذات العينين الواسعتين بالغزال .

• مثل السكر بذوب في الثم

تفصيح التشبيه : كالسكر يذوب في الفم

إذ يوصف به الشخص الوسيم اللطيف خفيف الظل المحبوب ، والذي يكون وجوده محل ترحيب أينما حلّ ، فهو كقطعة من السكر في الفم سرعان ما تذوب بلعابنا ، فنتذوق مذاقه الحلو؛ لتمنحنا إحساساً جميلاً حبيّاً .

• مثل القمر ، زي البدر

ولقد تغنى الناس منذ قديم الزمان بالقمر وجماله وسطوع نوره ، وهو من أجمل الأشياء التي نشاهدها ، وأكثرها جمالاً وبهاء. وله حضور مكثف في مخيلة الشعراء والأدباء ، وكثيراً ما ينعت الحبيب حبيبته بصفة القمر ، فيقول لها : أنت قمر حياتي ، كما حفلت هذه المفردة (القمر) على الصعيد الشعبي بحضور مكثف ، هذا الحضور غلفته طيبة السريرة التي فطر عليها الإنسان الشعبي .

• شب زي الورد

ونرى أن هذا التشبيه اختلف عما سبقه من التشبيهات أنه أورد المشبه (شب) ، وهو ما لم يكن موجوداً في التشبيهات السابقة، ومن المعلوم أنه لو حذف المشبه في هذا التشبيه لحصل اللبس؛ لأن المشبه غير معلوم لدى العامة ، فوجب ذكره ، وفي قولهم مثل الورد إنما المراد حمرة أوراق الورد وطراوتها ؛ نظراً لجماله ورقته ، وعذوبة ألفاظه . وقد شبه به الفتاة الحسنة أيضاً .

• بنت مثل الملبسة⁽¹⁾:

أي حلبة الحلوى في عذوبتها وحلاوتها وفتنتها .

• مثل الحبق⁽²⁾:

ويمتاز الحبق بجمال منظره، ورائحته الذكية، ويشبه به الشباب من الجنسين الذين يعتنون بمظهرهم ونظافتهم، ويمتازون بحسن قامتهم .

(1) الملبسة : حبة الملبس ، وهي نوع من الحلوى حلوة الطعم والمذاق .

(2) الحبق : نبات عشبي تزييني أوراقه جميلة الخضار وأزهاره بيض أو وردية اللون ، رائحته ذكية يشبه النعناع شكلاً ورائحة وطعماً ، ويستخدم كتوابل لتحسين طعم المأكولات ، وتنقيتها من الروائح غير المحببة للنفس ، كما تضاف طعمًا لذيذًا على الطعام . معجم المعاني الجامع ، مادة (حبق) .

• مثل غصن البان :

وشبه به النساء الطويلات ، وذوات الخصر المشقوق ، والقوام المعتدل .

• مثل العروس بالجلوة⁽¹⁾ :

أن أجمل الأيام بالنسبة للفتاة هو يوم زفافها على من تحب وترضى، فيكون وجهها مشرقاً وأساريرها فرحة، مرتدية أجمل الثياب، وتقف وسط الفتيات المدعوات لترقص على الموسيقى الهادئة. وعند تشبيه فتاة معينة بتلك العروس فإنما نجعلها في مرتبة العروس وزينتها وبهائها وجمالها وبهجتها .

2 . الزينة والتبرج :

• مثل القطة الفرنجية :

وتشبه النساء ذوات البشرة البيضاء والشعر الأشقر، والتي زينت نفسها ، وتبرجت بمواد التجميل ؛ تشبهاً لهن بالنساء الأجنبية .

• مثل الصوص :

حين يخرج الصوص من البيضة ، فإن حركته تكون كثيرة وغير متناسقة أو منتظمة ، ويذكر التشبيه هنا للشخص الفوضوي قليل الصبر كثير الحركة غير الهادفة .

3 . القبج والدمامة :

• مثل القرد الممسوخ :

يعد الذم والهجاء بوصف الشخص بالقرد من أقبح الألفاظ وأقساها على الشخص الذي يشبه به، وقد استخدم الشعراء العرب قديماً هذا اللفظ فقد، هجا حماد عجرد بشار بن برد بقوله :

ألا من مبلغ عني الذي والده بُرد
إذا ما نسب الناس فلا قبل ولا بعد
ويا أقبح من قرد إذا ما عمي القرد

(1)الجلوة : حفلة خاصة بالنساء، وهي تسبق حفلة الزفاف ، وتكون العروس بكامل زينتها ، مرتدية لباساً خاصاً بهذه المناسبة، وتحفل مع صديقاتها وثرياتها بهذه المناسبة .

وكان بشار شاعراً فاحش الهجاء ، لم يستطع أن يحاربه أحد في هجائه إلا حماد عجرد وقيل: إن بشاراً ما جزع يوماً من شيء جزعه من هذا البيت ، وقد أبكاه هذا البيت ، وقال : يراني فيصفني ، ولا أراه فأصفه ⁽¹⁾ .

• مثل سعادين اليمن :

ويوصف به الشخص قصير القامة ، أسود البشرة ، وهي ذات الصفات التي اتصفت بها قروود اليمن .

• وجهه مثل طيز السعدان :

وهو يقال لمن كانت ملامح وجهه دميمة ، ودائم العبوس .

• مثل العنزة الجربانة :

ويقال لمن يكون منبوذاً بين الناس ، ويتحاشون معاشرته ، سواء كان بسبب مظهره وشكله ، أو بسبب تصرفاته السيئة المنفرة . وكان العرب يطلقون اسم العنزة مقترنة بوصف الجرباء ، وهي من أقبح الألفاظ ، فقالوا في المثل : "إذا تفرقت الغنم قادتها عنز جرباء" .

• مثل الجاجة المطروشة :

تفصيحة : كالدجاجة المضروبة

ويوصف به الشخص الذي أصابه الرعب والهلع والخوف ، فيكون هائماً على وجهه ، لا يعرف إلى أين يتجه ، كما يشبه به الشخص الفوضوي غير المنتظم في أفعاله وتصرفاته ، مثله مثل الدجاجة التي تعرضت للضرب فجزعت وخافت وضاعت بها السبل - فتكون غير سوية في سيرها .

• ثمه مثل المغارة

تفصيحه : فمه كالمغارة

ويقال هذا التشبيه الذي ذكر فيه المشبه والمشبه به وأداة التشبيه في وصف الإنسان ذي الفم الواسع ، وتشبيهه بالمغارة ؛ دلالة على اتساعه .

(1) الإسفاري ، عبد القاهر : الفرق بين الفرق وبين الفرق الناجية ، ص42.

• مثل الضبيع :

ويطلق على الشخص قبيح الوجه ، خشن المعاملة ، سيء السلوك ، حاد الطباع ، والضبيع في الموروث الشعبي حيوان مفترس ، قليل العدو ، قبيح المنظر ، ويُقال أن الضبيع سنة ذكر ، وسنة أنثى ، والضبيع والكلب أعداء ألداء ، فإن وقع ظلّ الضبيع على الكلب يقف مكانه، ولا يقدر على مواصلة سيره خوفاً من الضبيع ⁽¹⁾.

زي القرعة ببتحالي بشعر بنت عمها :

ويقال للفتاة غير الجميلة التي تتباهى بمكان جمال شعر قريبتها .

4. البدانة أو النحافة :

* مثل العجل ، مثل البغل ، زي الفيل

وهي كلها رموز للقذوة والضخامة الطائشة، والشرافة ، فحين نقول: فلان زي الفيل؛ أي: قوي ضخم.

• زي الدب :

وهو أيضاً يدل على القوة والغلظة والغباء والشرافة ، ويشبه به من يحمل هذه الصفات .

• مثل الخنزير :

ويدل ذلك على الشهوة والقذارة والضخامة / كما يدل على قبح المنظر ، وسماجة التمثيل ، وقبح الصوت .

• مثل البقرة الهولندية :

وتوصف بها النساء السمينات المكتنزات المكتنزة تشبيهاً لهن بالبقرة السمان المستورد .

5. النقاء والنعومة :

• ناعمة مثل الحرير :

وتوصف به المرأة الجميلة الناعمة اللطيفة .

(1) القزويني ، زكريا محمد : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ص 261- 262 .

• مثل الليرة⁽¹⁾:

ويقال في مدح الشخص المهم المعطاء الشهم .

• مثل الضراط عالبلاط :

ويوصف به من يقوم بالعمل الأحق الذي لا فائدة منه، وليس له نتيجة تذكر .

• مثل اللي برقص بالعتمة ، مثل رقصة السلم لا للي فوق شافوها ولا اللي تحت سمعوها.

كمن يفعل فعلاً يراه جميلاً ورائعاً بنظر الآخرين ، لكنه يُفاجأ بأن لا أحد يراه

أو يسمعه ، فيكون عمله غير مجد .

6. القسوة والغطرسة والغرور :

* مثل الثور الهيجان، بجعر :

ويوصف به الشخص كثير الغضب الهائج ، الذي لا يستطيع أحد إيقافه عند حده

أو رده أو تهدئته .

• مثل الطبل منفوخ عالفاضي

يشبه به الأشخاص المتغترسين المتكبرين المغرورين

• مثل النمس يثسَخُول من تحت لتحت :

النمس حيوان أحمَر العينين، ينتهز الفرص، وينفذ ما يريد، وقد كثر استعماله في

الموروث الشعبي لوصف حال الشخص الانتهازي الذي يتصف بالدهاء والخداع ، ويقوم

بأعمال دون أن يشعر به أحد .

(1) يقصد به الليرة الذهب، وهي قطعة ذهبية دائرية لها مسميات كثيرة (الليرة الإنجليزية) و(الليرة العصلمية) وغيرها، والهدف من شرائها كي تتزين بها النساء ، ويتفاخرن بارتدائها ، وبيعها عند الحاجة .

القسم الثاني: من الصفات النفسية للإنسان

1. الرجولة والبسالة والشجاعة

- شب مثل النسر ، مثل الباشق ⁽¹⁾

وهذه صفات وأوصاف يشبه بها الشاب السريع في تنفيذ ما يطلب منه تنفيذه ، وقد شبه بالنسر في سرعته ، وكذلك بالباشق ، وهو من الطيور الجوارح الذي يشبه الصقر .

- شب مثل القرطة :

ويطلق على الإنسان قصير القامة ، ممثليء الجسم ، الذي تبدو عليه مظاهر القوة والرجولة . والقرطة هي قطعة من الخشب قصيرة ، عصية على الكسر .

- مثل الأسد :

وقد شبه الرجل القوي الشجاع الذي يتحلى بصفات الرجولة بالأسد في شراسته وبأسه وصلابته وإقدامه ، فالأسد رمز للشجاعة والقيادة والوقار ، وهو ملك الغابات ، ويقال في المثل الشعبي : هذا الشبل من ذاك الأسد .

- زي النمر ، مثل الفهد :

ويشبه بهما الشخص السريع النشط الأنيق الشرس .

2. الخضوع والضعف والغباء :

- لبد مثل الأرنب :

ولبد هنا بمعنى هداً وسكت ذليلاً خائفاً دون رد فعل للدفاع عن نفسه، وبهذا استخدم هذا التشبيه ليدل على الإنسان الجبان الذي يقبل الخضوع والإهانة، والارنب في الموروث الشعبي يدل على الحيلة والحذر، ويتميز بعدم مقاومته، وهروبه من الأعداء .

(1)الباشق : من الطيور الجوارح ، وهو يشبه الصقر. معجم الألفاظ العامية ، ص4 .

• مثل الحمار :

الحمار يدل على حماقة وقلة التفكير، كما يدل على الصوت المنكر ، ويشبه به الشخص الأحمق قليل التفكير، كما يشبه به ذو الصوت المزعج، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لقمان: ١٩.

• راسو زي الحجر :

ويوصف به الشخص الذي لا يسمع الكلام ، ولا النصائح .

• جارة مثل السخل

تفصيحه : جرّه كما يُجرّ السخل

وهو يقال في وصف من كان تابعاً لغيره في سلوكه وأفعاله وتصرفاته .

• مثل الخاتم بصباغه :

تفصيحه : كالخاتم في إصبغه

ويقال حين يتحكم شخص بآخر فيأمره بتنفيذ أوامره دون نقاش ، أو إبداء أي اعتراض، أو ردة فعل تجاه ما يطلب منه تنفيذه ، تماماً كتحكم الشخص بالخاتم ، إذ يضعه حول إصبغه ويخلعه متى شاء وكيفما شاء .

• زي المقروص بخاف من جرة الحبل :

يوصف به الإنسان الخائف المذعور المملوغ من أفعى ، ومن شدة خوفه وهلعه فإنه يرى الحبل المتحرك كأنه أفعى .

• زي اللي بمشي ع بيض :

ويوصف به الإنسان بطيء الحركة ، وكأنه يسير على البيض ، ومن المعلوم أن الذي يسير على البيض يكون حذرًا بطيئًا .

3. الحيرة والارتباك :

• مثل اللي بالبع موس :

ويستخدم لوصف الشخص الذي يشعر بالحيرة والارتباك تجاه مشكلة كبيرة تكون جميع خياراته سيئة .

• مثل أم العروس فاضي مشغول :

تعد أم العروس بمثابة قطب الرُحى في حفل الزفاف ، فكثير من الترتيبات والأدوار ترتبط بها بشكل مباشر أو غير مباشر ، وهي بسبب كثرة المهام وتعددتها تكون في وضع لا تستطيع فيه فعل شيء ، ويشبه بها الشخص الذي انهالت عليه الأعمال ، وازدادت عليه الأرزاء والأحمال الثقالة ، وهو لا يدري ماذا يفعل .

• عمال يحوص مثل الصوص

بعد أن يخرج الصوص من البيضة فغنه يقوم بحركات عشوائية غير منتظمة في جميع الاتجاهات، مثل الشخص المصاب بالحيرة والارتباك ، الذي يقوم بجهود ، لكن هذه الجهود غير هادفة ، فتذهب هباءً منثوراً .

• مثل اللي قاعد عاجلجر :

ويقال للشخص الذي ينتظر نبأ هاماً ، أو موعداً ضرورياً فيكون قلقاً متبرِّماً شاكياً بطء الوقت .

4 . النشاط والسرعة وخفة الحركة :

• مثل القضا المستعجل :

حين يأتي الموت بغتة ، فإنه لا يستأذن أحداً ، ويوصف به الإنسان الذي يأتي بدون موعد جالباً معه المشاكل والمتاعب .

• مثل النار بالهشيم :

النار تبدأ من أصغر الشرر ، ثم تتسع وتكبر في الحشائش اليابسة بسرعة ، ويذكر هذا التشبيه في وصف الأشياء غير المحببة التي تبدأ صغيرة ، ثم سرعان ما تكبر وتتسع ، فتصيب كل شيء حولها دون تمييز .

وغالبصا ما يعبر هذا التشبيه عن الخلافات العشائرية التي تحدث ، والتي تبدأ أول الأمر بين شخصين لتتسع وتتحول إلى صراعات بين عشيرتين ؛ مما يصعب السيطرة على هذه الخلافات .

- مثل البرق ، مثل الرصاص :
- وتستخدم في وصف الشخص السريع في أداء الأعمال المنوط به فعلها .
- مثل هبوب الريح :
- ويقال في الشخص النشيط السريع في إنجاز ما يوكل إليه من مهمات وأعمال .
- مثل الفللفة
- ويوصف بها الإنسان السريع في حركته ، ويطلق هذا التشبيه غالباً على الفتاة أو المرأة التي تقوم بالأعمال المنزلية بخفة ونشاط وسرعة .
- 5 . الانتهازية :
- مثل الحية المشوّيه ⁽¹⁾ .
- تخرج الأفاعي والثعابين من جحورها في فصل الصيف ، حيث الحرارة الشديدة ، وتكون في أوج قوتها وسرعتها ، وعلى استعداد للدغ وبث سمومها بسرعة ، ويشبه بها الشخص يبث روح التفرقة بين الناس وساهم في توسيع خلافاتهم .
- زي حية التبن :
- التبن هو القش الناعم المطحون ، وحين تدخل فيه الأفعى فإن حركتها فيه تكون خفية ، إذ لا يراها ولا يحس بها أحد ، ويشبه بها الشخص الذي يؤذي الآخرين دون أن يعرفوا أو يشعروا بذلك ، فالأفعى عدو لعين لا يعرف إلا الظلم .
- مثل العقرب :
- ويوصف به من يكون انتقامه خفياً وسريعاً وقاتلاً ، فالعقرب ترمز إلى الغدر والخسة في الظلم ، وأنها تؤذيكي حتى وإن لم تؤذيها .

(1) شوّب: كلمة سريانية ، معناها حرارة . ينظر موسوعة العمامة السورية ، ج3، ص886 .

6 . الكلام :

• مثل البيغاء :

تفصيحه : كالبيغاء .

لقد وهب الله تعالى العقل للإنسان ، وهو ما جعله يتميز عن باقي المخلوقات الأخرى ، لك بعض الناس لا يعملون عقولهم فتراهم يحاولون تقليد الآخرين تقليدات أعمى ، كطير البيغاء الذي يردد ما يُسمع من ألفاظ وعبارات دون إدراك معاني هذه الألفاظ والعبارات .

• مثل النسوان ، زي عجائز الثور ، قطيعة في الزاد ، وثقل على الدابة :

ويذكر هذا التشبيه في وصف الإنسان الثرثار كثير اللغو ، والدخول في النقاشات السخيفة فارغة المحتوى ، عديمة الفائدة ، وهو وصف كثر في الموروث الشعبي ، وكأنه صفة من صفات النساء ، وفيه نظر .

• مثل البلبل :

يقال في وصف المرء الذي يتميز بصوته الجميل .

• لسانه مثل المبرد :

ويوصف به الشخص حاد الكلام ، قاسي التعبير ، المؤذي لمن حوله .

7 . التشاؤم :

• مثل البوم بدل عاخراب⁽¹⁾

تفصيحه : كالبوم يدلُّ على الخراب

التشاؤم صفة لصيقة بطير البوم ، وهو طير شؤم، فحين ينطق البوم فإنما يدل ذلك على الشؤم ، لذلك وصفوا الإنسان التشاؤمي قبيح الصوت والصورة بالبوم .

(1) البوم : وكنيتها أم الخراب ، وأم الصبيان ، وهي تدخل على كل طير في وكره وتأكل أفراده، ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار ؛ خوفاً من العين ؛ لأنها تظن أنها حسناء، والبوم أصناف، وكلها تحب الخلوة . ينظر من المستطرف في كل فن مستظرف ، ج2، ص 61- 62 .

• مثل الغراب ، مثل غراب البين :

تناولت أكثر الحكايات الشعبية شخصية الغراب ، وربطت بينه وبين الشؤم، وبين الهلاك والموت والخراب، فيحمل ذلك الطائر المشؤوم تبعات فساد الرأي، ونتائج أفعال الناس السيئة⁽¹⁾ . لذلك يقولون : غراب البين . وكل غراب يقال له غراب البين ، إذا أريد به الشؤم . وقد يشبه صوت الشخص غير المحبب بنعيق الغراب .

8 . التطفل :

• زي البصل محشور في كل طعام :

ويوصف به الشخص المتطفل الذي يقتحم المجالس ، ويلتصق بالناس .

9 . السلوك السيء :

• زي الغنم بلا راعي :

ويقال لمجموعة من الناس يعملون ويتصرفون على هواهم وطريقتهم ويتصرفون دون حسيب أو رقيب ، ودون أن يردعهم أحد ، فإن حالهم كحال الماشية دون راعي .

10 . المكر والخداع :

• زي الثعلب

فالثعلب يدل على المكر والخداع والدهاء .

(1) علاء الدين إبراهيم : التشبيه العامي في منظومة الزبداني، ص 59 .

الخاتمة والتائج والتوصيات

وهكذا تنتهي هذه الدراسة التي تقصى فيها الباحثان فناً مهماً ولوناً فريداً من فنون الفلكلور الشعبي الفلسطيني وألوانه ، وهو التشبيه الشعبي ، واتضح أن هذا التشبيه له صفاته الذي يتميز به عن غيره من الفنون الشعبية الأخرى ، وهو جزء أصيل من فنون الأدب الشعبي يعبر عن مواقف معينة وتجارب معينة ، ومن خلال هذه التشبيهات يمكننا التعرف على السلوك الفردي والجماعي ؛ لأن هذه التشبيهات تحمل بين دفتيها عادة وتقاليد وأخلاق ومثل وقيم وميول ، وتعبر عن علاقات الفرد مع ذاته وأسرته ومجتمعه ، وتعكس نظرتة الكلية للمجتمع والبيئة والحياة من حوله ، وتبين علاقته مع بيئته وما تشتمل عليه من حيوان ونبات وجماد ، وتفصح عن طريقة عيشه ، وتقدم صوراً وتشبيهات مستمدة من هذه البيئة.

ونجد كثيراً من هذه التشبيهات تحث على الشجاعة والبطولة والبسالة والإقدام ، وتحارب الجبن والضعف الكسل والهوان ، وتشجع التواضع وتدعو إلى التكاتف والحث على العمل والجد والاجتهاد والنشاط ، وتسخر من الشخص المتعالي والكسول والانتهازي والتابع .

وبالتشبيه نستطيع التعرف على ذكاء هذا الشعب ؛ لأن هذا اللون ما كان له أن يبقى وتتناقله الأجيال إلا لأنه صدر عن إنسان ذكي ، علاوة عن حاجة المجتمع لهذا الفن بوصفه ظاهرة فريدة تعكس خلاصة تجاربه المتنوعة .

والتشبيهات الشعبية تعكس بلاغة المجتمع ، وتفننه في أقواله ، وميله على الرمز والتلميح ، دون التصريح والتقرير ، ومن هذه الزاوية تقدم هذه التشبيهات صوراً فنية حية ، تمتع الحس والشعور ، وترضي النفس ؛ مما ينمي الذوق الأدبي ، ويطور الملكة التعبيرية .

كما أن هذه التشبيهات يميل الناس على استخدامها لتطعيم كلامهم ، وتدعيم حججهم ؛ لتكون آراؤهم موضع تقدير واستحسان .

وقد حاولنا في هذه الورقة الموجزة أن تبين الفرق بين التشبيه الشعبي والمثل ، وخلصت - على الرغم من وجوه الشبه بينهما - بضرورة الفصل بينهما بوصفهما لونيْن منفصلين من ألوان التراث الشعبي الفلسطيني .

وكشفت الدراسة عن أن التشبيهات الشعبية تتسم صياغتها اللغوية بالرمزية في التشبيه، وتمتاز بأنها عبارات مقتضبة موجزة ، مصاغة بصورة متكاملة لا تقبل الزيادة أو النقصان . وبناء عليه فإن هذه التشبيهات على نفاستها ، وعظيم فائدتها ، لغةً وأدباً وثقافةً وفولكلوراً شعبياً يتعين حفظها ودراستها ومقارنتها مع مثيلاتها في البلاد العربية وغير العربية . ولا بد من القيام بجمع هذه التشبيهات الشعبية في فلسطين . ثم إجراء الدراسات عليها ؛ لإحياء هذا اللون الأدبي التراثي الأصيل .

المصادر والمراجع

- 1 . القرآن الكريم
- 2 . ابن الأثير، ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تقديم وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة،
- 3 . الإسفاريني ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي (429هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط2، 1977م.
- 4 . الإشيبي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح : المستطرف في كل فن مستظرف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 1986م .
- 5 . الأنباي، حاشية الأنباي على الرسالة البيانية للصبان ، المطبعة الأميرية .
- 6 . حسين الدراويس ومفيد عرقوب : دور أسلوب التشبيه البليغ في الكشف عن صورة شيخ الأزهر شمس الدين الأنباي، دراسة تحليلية .
- 7 . سيويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان : كتاب سيويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجليل بيروت .
- 8 . السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول، دار الجليل ، بيروت.

- 9 . عبد الرحيم ، ياسين : موسوعة العامية السورية (4 أجزاء) ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية ، 1985 م .
- 10 . علاء الدين إبراهيم : التشبيه العامي في منطوقة الزبداني، وزارة الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة ، 2010 م .
- 11 . أبو علي ، محمد توفيق: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية ، دار النفائس ، بيروت ، الجزء الأول ، نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة .
- 12 . الفارابي، أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم: ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر ، الجزء الأول ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة .
- 13 . فرحة ، أنيس: معجم الألفاظ العامية ، مكتبة لبنان ، ط2 ، 1995 م .
- 14 . القزويني ، زكريا محمد : حاشية كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) ، منشورات دار آفاق الجديدة ، بيروت ، 1981 م .
- 15 . القزويني، الخطيب : تلخيص المفتاح ، تحقيق ياسين الأيوبي، المطبعة العصرية، ط1، 1423هـ - 2002 م .
- 16 . قدامة بن جعفر : نقد الشعر، تحقيقكم المصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، والمنشئ بغداد، ط2، 1963 م .
- 17 . المبرد : الكامل في اللغة والأدب، تحقيق زكي مبارك، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1936 م .
- 18 . المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق حسن حمد ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1999 م .
- 19 . اللادقي، محمد طاهر: المبسط في علوم البلاغة، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، بيروت، 1962 م .

**الصيغ الصرفية والتربوية والنحوية في
دلالة أسماء النساء في الأمثال المحكيّة**

الصيغ الصرفية والتربوية والنحوية في دلالة أسماء النساء في الأمثال المحكية

د. إدريس محمد صقر جرادات⁽¹⁾ د. سامية غشير

1- ملخص:

تعدّ الأمثال أقوال موجزة تتسم بالإيجاز والصياغة الجميلة، وترتبط الأمثال ارتباطاً كبيراً بالمجتمعات الإنسانية، وتعبّر عن مختلف التحوّلات والسياقات المتعدّدة، فكلّ مثل يوظّف حسب طبيعة المقام الذي يقتضيه ويعبّر عنه.

لقد شاع المثل وتداول بكثرة في العصر الجاهليّ، نظراً للظروف التي ظهرت في تلك المرحلة، وفرضت شيوع الأمثال، فكانت الأمثال هي المستودع المرتبط بقيم وأخلاق وحياة الإنسان العربيّ في تلك الحقبة التاريخيّة.

والأمثال لم تعد مجرد أقوال سائرة فقط؛ بل تحوي على قيم تربويّة متعدّدة، كما احتفت الدّراسات المعاصرة بدراسة الأمثال في صيغها النحويّة والصّرفيّة.

وهدفّت الدراسة إلى التعرف على بعض الأمثال العربيّة القديمة من نواحي صياغتها الصّرفيّة والنحويّة، إضافةً إلى الكشف عن القيم التربويّة التي اشتملت عليها ودلالاتها واستعمالاتها إلى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحيّة: المثل، المجتمعات الإنسانية، قيم تربويّة، صيغ صرفيّة ونحويّة.

- أهمية الدراسة:

تتمثّل أهميّة الدّراسة نظراً لأهميّة الأمثال في الحياة، وارتباطها بيوميّات الإنسان، وملازمتها لبعض السلوكات والأفعال التي تصدر عنه، فموضوع الأمثال بحاجة إلى دراسة جديدة منفتحة، تعطيها المكانة القيّمة، بعيداً عن الدّراسات السّابقة التي تطرّقت إليها من جوانب متعدّدة. وتسعى الدراسة إلى مقارنة تلك الأمثال تحليليّاً واستنباطيّاً وتربويّاً.

(1) مركز السّنابل للدّراسات والتّراث الشعبي - سكير - الخليل - فلسطين أخصائي نفسي ومحكم نزاعات ومشرف

تربية خاصة وحارس حديقة الموروث الشعبي

- دوافع الدّراسة: ثمة دوافع أخرى لهذه الدّراسة منها:

- 1- مكانة المرأة في المجتمع .
 - 2- ضرورة الاطلاع على عينة من الأمثال المحكيّة في النّساء والذي قيل فيها.
 - 3- أهميّة الوقوف على الدلالات البلاغيّة الواردة في الأمثال المحكيّة.
 - 4- سمو القيم التّربويّة التي تطرحها الأمثال، وتبثها في النفوس
- صعوبات الدّراسة: ولقد واجهت هذه الدراسة صعوبات منها:
- 1- تبعر الأمثال التي قيلت في النّساء من عدة مصادر، ممّا أوجب على الباحثين تقصّي هذه الأمثال تمهيدا لدراسته.
 - 2- ندرة الدّراسات السّابقة البلاغيّة والتّربويّة حول هذا الموضوع على حد علم الباحثين.
- منهج الدراسة: وقد استطاع الباحثان التغلب على الصّعوبات السّابقة بإتباع المناهج البحثيّة الآتية ومنها:
- المنهج التحليلي: في تحليل الأمثال التي قيلت في النّساء المتداولة عبر العصور إلى يومنا هذا.
- المنهج الاستنباطي: في استنباط الدلالات الصّرفيّة والنحويّة من الأمثال وبيان ما فيها من معاني بلاغيّة ساميّة.
- المنهج التّربوي: في تخريج القيم التّربويّة من هذه الأمثال لتوظيفها في الواقع المعاش.
- فصول الدّراسة: وقد جاءت الدراسة في مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وتوصيات، على النحو الآتي:
- الفصل الأوّل: المحور البلاغيّ من الدّراسة: المعاني الصّرفيّة والتّحويّة المتحصّلة.
- الفصل الثّاني: المحور التّربويّ من الدّراسة: القيم التّربويّة المتولّدة من ذكر الأمثال المحكيّة المتعلّقة بالنّساء.
- وفي الخاتمة: ذكر الباحثان نتائج الدراسة، وفي التوصيات: أشار الباحثان إلى التوصيات التي تمخّضت عنها الدّراسة.

2- تعريف الأمثال:

2- 1- لغوياً:

ورد في معجم "جمهرة الأمثال" تعريف المثل "أصل المثل التماثل بين الشئين في الكلام، كقولهم 'كما تُدين تدان'، وهو من قولك: هذا مِثْلُ الشَّيءِ ومِثْلُهُ، كما تقول: شِبْهُهُ وشَبَّهَهُ، ثمَّ جعل كلَّ حكمة سائرة مثلاً، وقد يأتي القائل بما يحسُن أن يتمثَّلَ به، إلَّا أنَّه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً⁽¹⁾

2- 2- ب - اصطلاحاً:

تعرف الأمثال على أنها قول سائر، فقد يأتي بما يحسن أن يمثل به في موقف ما، لكنّه لا يتفق أن يسير، فلا يكون مثلاً، ولعلّ هذا ما يفسّر لنا ورود بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في عداد الأمثال دون سواها، لأنها سارت على شفاه الناس، وسواها لم يسر.

- إنّ المثل شكل من أشكال الأدب له عناصره المميّزة وسماته المحددة.

- إنّ المثل يقوم على إسقاط تجربة سابقة على تجربة حالية.

إنّ الأمثال ليس وقفاً على فئة من الناس دون فئة، بل هي ما تراضته

العامة والخاصة⁽²⁾.

إنّ الأمثال ترتبط - في الغالب - ببيئة معيّنة، تعبّر عنها، وتنقل ملامح الحياة المختلفة، وعن التحوّلات التاريخية لها، وتبدو كسلسلة من العناصر الدّالة، التي تنتمي لنسق خصوصي. يميّز هذا النسق بالانغلاق النسبي لكي يُحافظ على حدوده الشّكلية. يكتشف

(1) - أبي هلال العسكري: جمهرة الأمثال، تحقيق أبو الفضل إبراهيم - عبد المجيد قطامش، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط2، 1988، ج1، ص7.

(2) - محمد توفيق أبو عالي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية) / دار النخاس، بيروت - لبنان، ط1، 1988، ص42.

عن الأوضاع الحضارية والقيود الاجتماعية، والقيم التي يؤمن بها الأفراد المستعملون للأمثال ومستهلكوها، وتبدو سلطته الرمزية وكأنها مطلقة.⁽¹⁾

3- دور الأمثال في حياة الشعوب والأمم:

للثقافة الشعبية ومنها الأمثال دور بارز في الحياة الإنسانية، ونظرا لأدوارها السامية فقد عُنت بها جميع الأمم لاشتمالها على سياقات -سوسيوثقافية- الاجتماعية الثقافية، فالموروث الشعبي بضروبه وأشكاله وأنماطه وطرقه العديدة وتأثيراته العميقة في الوجدان والسلوك بأنه من أهم مصادر التشكيل الروائي المرجعي، إذ لا تكاد تخلو رواية من روايات العصر من إفادة معيئة تُحيل على مقتنيات هذا الموروث وصيغته ومفرداته، وهي بلا شك مقتنيات بالغة التنوع والتعدد والخصب تتصل عمليا بكل ما يندرج في إطار الثقافة الشعبية.⁽²⁾

تعدّ الأمثال من فنون الأدب الشعبي التي تحوز على أهمية كبيرة في حياة المجتمعات الإنسانية، إذ تعبر عن حياتها وتحولاتها، وتنقل مختلف عاداتها وتقاليدها، وثقافتها، ونمط معيشتها، كما تفتح على سياقات متعددة (سياسية، اجتماعية، فكرية، نفسية...)، فهي "مرآة الشعوب التي ترتسم فيها كل تجاربها، وصفوة جزء كبير من حضارتها، وأهميتها تتجلى في أنّ الزمن لا يكدر صفو نقائنها إلّا نادرا، فتنتقل عبر العصور، حاملة معها وشم كل عصره، معبرة عنه بصدق، ناقلة آثاره إلى سواء دون تزييف أو تصنع".⁽³⁾

ولقد أحتفي كثيرا بالأمثال في العصر الجاهلي، لأنها كانت خير من يُعبر عن حياة العرب، ومختلف مظاهر حياتهم، وطقوسهم، فكانت كل حادثة عندهم تخلّد في أمثال،

(1)- عبد الحميد بورايو: البعد الاجتماعي والتفسي في الأدب الشعبي الجزائري، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة - الجزائر-، دط، 2008، ص120.

(2)- محمد صابر عبيد: سيمياء التشكيل الروائي الجمالي والثقافي في نظم الصوغ السردية، دار فضاءات، الأردن، ط1، 2016، ص75.

(3)- محمد توفيق أبو عالي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية) / دار النخاس، بيروت - لبنان-، ط1، 1988، ص7.

فالظاهر أنّ تلمّس صورة الجاهليّة في كتب الأمثال هو أمر يكتسب أهميّة بالغة؛ لأنّ الأمثال تبقى المادّة الأقرب إلى الحياة، كما تبقى في الوقت عينه المادّة الأبعد عن عبث العابثين وآلاعيهم، أي إنّها تشكّل مصدر ثقة لا بأس به.⁽¹⁾

تعدّ الأمثال الشعبيّة وجها من وجوه الذاكرة الإنسانيّة، فهي حاملة لدلالات عديدة، وتضرب عادة لمورد معيّن، وهذه الأمثال نابعة من أحداث الحياة ومواقف الإنسان و تجاربه، فالمثل هو العبارة الموجزة المعبرة عن رأي الشعب اتجاهه، فهو إذن ترجمان لتفكير الشعب حتى لو كان ساذجا وبسيطا إلّا أنّه ينمّ عن تجربة أفرادهِ وثقافتهم.⁽²⁾

إنّ الأمثال تتميّز بجماليّة صياغتها، وقوّة الأثر، وهي تعبير صادق عن نفسيّة طبقات الشعب وأفراده على اختلاف مشاربهم وألوانهم واتجاهاتهم وأنماط معيشتهم، وهي دليل على تطوّر ذوق الجمهور، وحسّه الحضاريّ الرفيع.⁽³⁾

لقد كانت الأمثال أكثر الفنون الشعبيّة ارتباطا بحياة الإنسان، والتعبير عنها، وعن مختلف التحوّلات التي تطرأ عليها، نظرا لتداوليتها وشيوعها وتأثيراتها البلاغيّة والتفسيّة، إذ يوظّفونها في مختلف المناسبات، ويحاولون صياغة آرائهم وأفكارهم بواسطتها بعد أن عجزوا في كثير من الأحيان التعبير عنها.⁽⁴⁾

والظاهر أنّ الأمثال تتميّز بجمال صياغتها وإيجازها وقوّة عباراتها، وتأثيرها القويّ في النفوس، لهذا كانت من أكثر الفنون حفظا ورسوخا في الدّهن رغم مرور السّنوات، فهي

(1)- المرجع نفسه، ص8.

(2)- حسن ثليلاني: توظيف التراث في المسرح الجزائري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي القديم جامعة منتوري - قسنطينة - 2009-2010 ص137.

(3)- بولرباح عثمانى: دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، الجزائر، ط1، 2009، ص66.

(4)- عزّ الدين جلاوجي: سلطان النصّ دراسات، دار المعرفة، الجزائر، (د. ط)، 2009، ص313.

خلاصة تجارب إنسانية، وتحولات حياتية، وتغيرات طارئة في حياة الإنسان العربي قديماً
"ويكون المثل إشارة موحية تتكئ على خبرة حياتية سابقة.⁽¹⁾

4- الصيغ الصرفية والتربوية والنحوية في دلالة أسماء النساء في الأمثال المحكية:

أ- الفصل الأول:

المحور أ- 1- النحوي من الدراسة المعاني النحوية المتحصلة للنساء من خلال
السياقات - الأمثال - التي وردت فيها:

1- المبحث الأول: الصفة المشبهة - قطعت جهيزة قول كل خطيب

جهيزة على وزن فعيلة من فعل أو فعل وجذرهما جهز فهي صفة مشبهة مثل كريمة.
النحوية: فاعل.

الدلالة: حسم أو قطع الشك باليقين

إن دلالة هذا المثل بالنظر إلى سياقه التاريخي الذي ضرب فيه وتداول فيه يُوحي بطبيعة
التباهة والذكاء والفتنة التي كانت تتمتع بها النساء - الجاهليات - عصر ما قبل الإسلام -،
فجهيزة قطعت كلامهم، واختلافهم في أمر الصلح، والدية التي تُدفع للقتيل بأمر يقيني يتمثل
في مقتل الشخص الذي قام بالقتل أيضاً، وبذلك فقد تم ردّ القتل بالقتل، وإنهاء الخلاف،
ولا داعي للقيام بأي أمر. والظاهر أنّ هذا المثل فيه نوع من المبالغة، إذ كيف يحتكم القوم بمن
فيهم الحكماء والبلغاء والأسياد بكلام امرأة مهما كانت صفتها، فقد يكون كلامها صادقا
أم كاذبا.

والظاهر أنّه في العصر الجاهليّ شاعت الأخبار التي كانت تنقل عن طريق أشخاص،
فبعضها كان صحيحاً والآخر فيه مغالطات. وقد يضعنا هذا الأمر أمام تساؤل: كيف صدّق
الناس كلام جهيزة؟ ولماذا حسموا موقفهم بالكلام الذي جاءت به بغض النظر عن صحته
وكذبه. وقد أفادت لفظة "قطعت" إنهاء الاختلاف والشك بالبيان واليقين.

(1) - صيفور سليم: الأمثال الشعبية كخلفية للعنف في المجتمع الجزائري، دراسة تحليلية، فعاليات الملتقى الوطني
حول التربية في الحد من ظاهرة العنف، العدد 04، مخبر الوقاية والأرغوميا، جامعة الجزائر، 07- 08
ديسمبر، 2011، ص 85.

2-المبحث الثاني: وعند جهينة الخبر اليقين

اسم مصغر من جهنة على وزن فعلة وجهينة على وزن فعيلة

التحوية: مضاف إليه

الدلالة: دقة الخبر

إنّ الدلالة التي ينتجها هذا المثل تتمثل في مقدرة المرأة على الإتيان بالخبر اليقين دون الخطّ من قيمتها وشأنها، فهذا الأمر من شأنه تنوير فكر المرأة وترقية تفكيرها، ودفعها إلى المساهمة في مجالات الحياة. فالمرأة أضحت عنصراً مؤثراً في البناء الإنساني، من خلال أدوارها المتميزة في الحياة، التي أضحت تفوق إسهامات الرجل.

3-المبحث الثالث: أبصر من زرقاء اليمامة

صفة مشبهة على وزن فعلاء مؤنث افعل مثل أبكم بكماء

التحوية: اسم مجرور

الدلالة: حدة البصر والرؤية والنظرة الثاقبة والاستشراف

إنّ دلالة هذا المثل تدلّ على القوة التي تتمتع بها المرأة في ذلك الوقت، وهي التنبؤ بالمستقبل واستشرافه وحدة النظر. فهذه الصفات مجتمعة تبين قيمة النباهة والدكاء التي كانت تحوز عليها المرأة في ذلك الوقت.

والجلي أنّ أمثال المرأة بينت الوجه المشرق لها على عكس الصورة السوداوية المعروفة عنها، فقد كانت النساء تؤادّن في التراب، وتعاملن معاملة سيئة كجارية، لا حقّ لها في اتخاذ القرارات، ومشاركة الرجال في الحروب، وغيرها. فهذه الأمثال من شأنها تحفيز النساء وتشجيعهن، ودفعهن إلى المشاركة في الحياة بقوة.

4-المبحث الرابع: وعادت حليلة لعادتها القديمة

صفة مشبهة من الفعل حلم من سعة الصدر والتسامح.

النحوية : فاعل

الدلالة: التعود على شيء ومن شب على شيء شاب عليه والطبع غلب التطبع

من العادات السلبيّة عدم الإقلاع عن فعل بعض التصرفات رغم المحاولات العديدة للإعراض عنها، فهذه القيمة سيئة جدًا، فالمرأة في هذا المثل تظهت بصورة سلبية عكس الأمثال سابقة الذكر. فهذا المثل يُقاس على أي امرأة تحاول تغيير طبعها غير أنّها سرعان ما تعود إلى طبعها القديم.

فالطبع يعدّ عنصرا هامًا يدخل في تشكيل شخصية الإنسان، ومنه فالطبع هو مجموعة من العوامل أو الاستعدادات الوراثية التي سوف تؤلف شخصية الإنسان، فيمثل الطبع الركائز الأساسية للشخصية أي العناصر الثابتة الموروثة بيولوجيًا، والتي سوف تتكوّن منها الشخصية نتيجة ما يكتسب، نتيجة ظروف الحياة وما بالتعلّم والتربية.⁽¹⁾

أمّا التطبع فيكمن في محاولة الكائن البشري تعويد شخصيته على بعض السلوكات والتصرفات دون أن ينشأ بها، أو تدخل في بناء شخصيته، مثلاً محاولة تعلّم بعض السلوكات من أفراد أسرته، أو محيطه، أو مدرسته.

والظاهر أنّ الطبع يغلب التطبع بدليل عديد الدراسات النفسية والاجتماعية المهمة بدراسة شخصية الإنسان، خاصّة بالنسبة للشخصيات التي طبعت على أخلاق سلبية، ولم تُحاول أن تغير ذاتها انطلاقاً من قناعة واستعداد تامّ، فلا يُمكن أن تتغير تصرفاتها إلى الأحسن، وتُصبح إيجابية.

وفي هذا الصدد تُعطي مثلاً حول شخص ارتكب جريمة عن قصد، وحكم عليه بالسجن، وعند خروجه حاول الإقلاع عن ذلك التصرف المشين، والتغيير من نفسه إلى الأفضل، غير أنّ الجانب الشرير فيه يؤثّر على شخصيته، فيعود إلى طبعه الأوّل، ويقوم بارتكاب فعل القتل مجدداً. والأمثلة كثيرة جدًا في الواقع المعاش.

(1) - نبيل حاجي نائف: الطبع والشخصية، موقع الحوار المتمدّن، نشر بتاريخ 26 / 12 / 2009.

5- المبحث الخامس: أبكى من الخنساء

على وزن فعلاء مؤنث افعل - أحنس خنساء خنوس

التحوية: اسم مجرور

الدلالة: ألم الفراق والحزن الشديد ، وورد في القرآن الكريم سورة الانشقاق : " فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس "

وقد وظف هذا المثل في سياقه المتمثل في وفاة شقيق الخنساء، وحزنها الشديد عليه، وأضحى يقاس على كلّ الحالات الحزينة المؤلمة خاصة فقدان أعزّ الناس، فالفراق مؤلم جدّاً، إذ يؤثر سلباً على القلب، وعلى الحالة النفسانية للإنسان، ويدفعه إلى الاكتئاب واليأس. فهذا المثل يُورد في سياقات تُوحى بشدّة القلب وتعبه وتوجّعه الشديد، فالخنساء بكت أخيها "صخر"، ويُضرب في كلّ السياقات التي تعبّر عنه.

6- المبحث السادس: وافق شن طبقه

على وزن فعلة - صدقه - نفقه ، مؤنث وليس اسم مشتق وإنما جامد .

شنّ : اسم رجل صفة مشبهة على وزن فعل - تسكين العين - سهل - رحب

النحوية : شن ذكر وهو فاعل

طبقه : أنثى مفعول به

الدلالة: بين شخصين والطيور على أشكالها تقع

إنّ هذا المثل يحمل قيمةً أساسيةً جدّاً تتمثّل في ضرورة التوافق الأخلاقي والعاطفي والعقلي والاجتماعي بين الأشخاص خاصة في الزواج حتى يتحقّق نجاحه، فالיום نجد أنّ أغلب العلاقات التي بُنيت على هذا المبدأ نجحت، على العكس من ذلك العلاقات غير المؤسّسة على التوافق باءت بالفشل. وفي القرآن الكريم أمثلة عديدة تؤكد على ضرورة التوافق، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿لَا خِيَانَتٌ لِلْخِيَانَةِ وَالْخِيَانَةُ لِلْخِيَانَةِ وَالْطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

النور: ٢٦ "

7- المبحث السابع: فإن القول ما قالت حذام

على وزن فعال صفة مشبهة من فعل -حذم- ونقول امرأة حصان أو رزان. ج حذم النحوية: فاعل.

الدلالة: الصدق واليقين والرأي السديد والحكمة والذكاء.

لقد أنتج هذا المثل قيما إيجابية جميلة، يمكن استثمارنا في ترقية حياتنا، وتطوير الجانب التربوي عند الطفل، فهذا النوع من الأمثال يشجع على السمو بالنفس، وترقيتها أخلاقيا، وتهذيبها، وتنشئة الفرد تنشئة أخلاقية قويمه، وتربية الأجيال تربية صحيحة قائمة على نهج صحيح.

فإذا أستمثر هذا المثل في المدرسة، فإن تبعاته تكون إيجابية في تشكيل الطفل من التواحي التربوية والتعليمية، فنشجعه على قول الصدق، والأخذ بالرأي السديد، وإتباع سبيل اليقين. كما يسهم ذلك في شحن جانبه العقلي من خلال تنمية فكره، وزيادة نسبة الذكاء المتمثلة في "سرعة البديهة والفهم والاستفادة من الخبرات، والتحصيل والتفوق..."⁽¹⁾

8- المبحث الثامن: بين حانا وبانا ضاعت لحانا

قد تكون أسماء عامية أو مقتبسة من لغات أخرى، ويمكن إرجاعها إلى الجذر من حن- حنن على وزن فعل ومن- من على وزن فعل النحوية: حانا: مضاف إليه.

مانا: اسم مفعول

الدلالة: الفوضى التي تولد أوجاعا حقيقية يختلط الحابل بالنابل.

إن السياق التاريخي الذي وضع فيه هذا المثل، المتمثل في ذبوع الفوضى التي كانت السبب في انتشارها شريكتين، حربنا حياة زوجهما، وتسببتا في انتشار أوجاع حقيقية له، أضرت بحياته، وسببت له التعاسة.

(1)- عبد الستار إبراهيم: الإنسان وعلم النفس، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير، 1985، ص 86، 239.

إنّ هذا المثل يحمل دلالات ومعاني كثيرة، ودعوة صريحة إلى ضرورة تربيّة الإنسان في خياراته في الحياة؛ لأنها ستؤثّر عليه لاحقاً إمّا سلباً أم إيجاباً، ونذكر في هذا السّياق مسألة الزواج وتأثيراتها على حياة الزوجين، فهناك نماذج نجحت، وهناك نماذج باءت بالفشل بسبب عدم التّوافق بين الشّريكين، ما تسبّب في انتشار الفوضى، وتأثيراتها على نفسية وشخصيّة كليهما، وعلى الأبناء.

إنّ للفوضى نتائج وخيمة على شخصية وسلوك الإنسان، إذ تؤديّ إلى عدم الاستقرار، وانتشار الخوف واللامن، وشيوع الكراهية والتّفرة بين الأشخاص.

أ- ب- الفصل الثّاني:

المحور التربويّ من الدّراسة القيمّ التربويّة المتولّدة من ذكر الأمثال المحكيّة

المتعلّقة بالنّساء.

- المبحث الأول: في مفهوم وأهميّة القيمّ التربويّة:

- 1- مفهوم القيمّ.
- 2- أهميّة القيمّ في اللغة والأدب
- 3- أهميّة القيمّ في تعزيز العملية التربوية.

- المبحث الثاني من القيمّ التربوية:

- 1- قيمة التّعودّ على الشيء
- 2- قيمة الوفاء والتغلّب على الحزن
- 3- قيمة التوافق بين شخصين
- 4- قيمة الاضطراب والفوضى وما تخلفه
- 5- قيمة الصّدق واليقين
- 6- قيمة النظرة الثّابتة
- 7- قيمة التّحرّي ودقّة الخبر
- 8- قيمة قطع الشكّ باليقين

مفهوم القيم التربوية:

لكل شيء قيمته، مهما كان إيجابياً أم سلبياً، وقد اهتمت مجالات كثيرة بتحديد مفهوم القيمة وأبرزها المجالات الاجتماعية والإنسانية، إذ تعدّ المخرج الوحيد للفوضى، فوجود المعايير الأخلاقية لكل أمور حياتنا، يخرج بنا من الفوضى والعشوائية.⁽¹⁾

أ- التعريف اللغوي:

وردت في لسان العرب مادة (ق و م) بمعنى استقام، والاستقامة: الاعتدال، يُقال: استقام له الأمر. وقوله تعالى: فاستقيموا إليه، أي: في التوجه إليه دون الآلهة، وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ الأحقاف: ١٣ معنى قوله: استقاموا: عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه، وقال الأسود بن مالك: ثم استقاموا لم يشركوا به شيئاً، وقال قتادة: استقاموا على طاعة الله، قال كعب بن زهير:

فهل صرفوكم حين جزتم عن الهدى بأسيا فهم حتى استقمتم على القيم

قال: القيم الاستقامة، وفي الحديث: قل آمنت بالله ثم استقم، فسر على وجهين: قيل هو الاستقامة على الطاعة، وقيل هو ترك الشرك. أبو زيد: أقمت الشيء وقومته فقام بمعنى استقام، قال: والاستقامة اعتدال الشيء واستواؤه. واستقام فلان بفلان، أي مدحه وأثنى عليه. وقام ميزان النهار إذا انتصف وقام قائم الظهيرة.⁽²⁾

ففي اللغة نجد أنّ القيمة تُشتق من لفظة القيام، وهو نقيض الجلوس. والقيام بمعنى آخر، هو العزم. ومنه قوله تعالى: "وإنه لما قام عبد الله يدعوه" أي لما عزم. وقد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح، ومنه قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ النساء: ٣٤، ويجيء بمعنى الوقوف والثبات. ومنه التوقف في الأمر، وهو الوقوف عنده من غير مجاوزة له. ومنه قولهم: أقام بالمكان هو بمعنى الثبات. وقامت السوق إذا نفقت. والمقام والمقامة: الموضع الذي

(1) - مجموعة من المؤلفين: القيم في الظاهرة الاجتماعية، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط 1، 2011، ص 46.

(2) - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط 1، 1968،

يقيم فيه. والاستقامة هي الاعتدال. يقال: استقام الأمر. وأنا القوام فهو العدل. وحسن الطول. وحسن القامة. ودينار قائم إذا كان مثقالا سواء لا يرجح، وهو عند الصيّارفة ناقص حتى يرجح فيسمّى ميّالا.⁽¹⁾

نُحظى القيم باحتفاء كبير في العلوم والمجالات المتعدّدة، في الأدب والفلسفة والشريعة والرياضيات؛ لأنها تتصلّ اتصالا وثيقا بحياة الإنسان وتعبّر عنها، ولّقيمة أهميّة خاصّة في حياة الفرد والمجتمع وتشكّل الثقافة، وعن طريقها يبدو النّمو والتّطور، ومن خلالها تتأكّد الروابط والعلاقات الاجتماعيّة، فأهمّيّتها ترجع إلى أنّها لا تقف عند مستوى التّفكير الفلسفيّ بل يتعدّاه لأنّها تتغلغل في حياة الإنسان أفراد وجماعات، ولأنّها ترتبط بدوافع السّلوك وبالأجال والأهداف.⁽²⁾

ويقوم المثلّ منذ القديم على تأديّة وظائف عديدة تهدف إلى تحقيق التّواصل والإقناع والتّأثير والحوار في جمهور المتلقّين، فأهمّيّته التّداوليّة تكمن في تحقيق التّفاعل الكبير بين تلك الوظائف المتمثّلة في الوظيفة التّواصلية. الوظيفة الإقناعيّة أو الحجاجيّة. الوظيفة التّنبهية. وظيفة الحوارية. الوظيفة التّرفهية.⁽³⁾

من واجب المؤسسات الاجتماعيّة والتّربويّة والإعلاميّة السّعي إلى تعزيز القيم الإيجابيّة، والعمل على انتشارها أواسط الأفراد والتّلاميذ والطلّبة والمربين حتى تُحافظ على ديمومتها واستمراريتها، وتنشئة جيل مثقف، متخلّق، يقدّس القيم الجميلة، ويحتفي بها في حياته، ومن ثمّ نجد أنّه من الضروري عرض بعض القيم الإيجابيّة التي ينبغي التّأكّد عليها عند التّفكير في إحداث التّنشئة الاجتماعيّة سواء من حيث الأسرة، أو الأجهزة الإعلاميّة المختلفة

(1) - عادل العوّا: العمدة في فلسفة القيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1986، ص26.

(2) - إسماعيل عبد الفتاح: القيم السياسيّة في الإسلام، الدّر الثقافيّة للنشر، مصر، (د. ط)، 2001، ص10.

(3) - عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبيّة الجزائريّة التاريخ والقضايا والتّجليات، ص121.

كالصّحف والمجلّات، أو القصص الموجهة للطفل؛ لأنه من الصّعوبة وضع تحديد شامل للقيم التربويّة في ثقافة الطفل وتنشئته.⁽¹⁾

أهميّة القيم في تعزيز العمليّة التربويّة:

للقيم أهميّة كبيرة في العمليّة التربويّة، إذ تُسهم في تعزيزها، وتعويد النّفس على القيام ببعض العادات والممارسات التي من شأنها تقويم النّفس والارتقاء بها. فالقيم تغرس في التلاميذ دافعيّة كبيرة، وتحمّسهم على بناء ذواتهم، وإتباع المنهج الصّائب في تعاملاتهم داخل المدرسة، وخارجها، ومع الأسرة وأفراد المجتمع، فتكمن أهميّة دراستها في عدّة مجالات من بينها: التّوجيه المهني، حيث انتقاء الأفراد الصّالحين لبعض المهن مثل علماء الدّين ورجال السّياسة والأخصائيين الاجتماعيين... الخ، والذي يهدف عامّة إلى مساعدة الفرد في اختيار مهنته والإعداد لها، والتّقدّم فيها، والتّخطيط للمستقبل، وتحقيق التّوافق المهني. كما أنّ لدراسة القيم ونسق القيم أهميّة وبخاصّة في الإرشاد والعلاج النّفسي.⁽²⁾

للقيم دورها الأسمى والأرقى في تقويم السلوكات خاصّة بالنسبة للأطفال والمتعلّمين، كما تُساعد في تربيّة الإنسان على استقامة التّفكير، وسلامة العقل من الزّيغ والخلل والضلال.⁽³⁾ فالقيم التربويّة من شأنها الإسهام في الكشف عن "مستوى الابتكار والدّكاء لدى الطّفل وهذا أمر لا يستهان به".⁽⁴⁾

وقد بيّنت كثير من الدّراسات الميدانيّة الغربيّة دور القيم في تحسين أداء التلاميذ والطّلبة، وتفعيل عمل الأستاذ، وتفعيل العمليّة التربويّة، وتحقيق نتائج محمودّة، وخلق جوّ

(1) - مجموعة من المؤلّفين: علم الاجتماع العائلي، دار المسير للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، (د. ط)، 2009، 289.

(2) - سفيان بوعطيط: القيم الشخصيّة في ظلّ التّغير الاجتماعي وعلاقتها بالتّوافق المهني، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم النّفس العمل والتنظيم، جامعة منتوري - قسنطينة -، السّنة الجامعيّة 2011-2012، ص74

(3) - عبد الرّحمان النّحلاوي: التّربيّة بالآيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط5، 2008 ص121.

(4) - عطية خليل عطية: أسس التّربيّة، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص29.

الحبة والوثام والتراحم، وبناء جيل من المتعلمين قادرين على تحمل المسؤولية، وتقديم الأفضل للأمة، فأهميتها تكمن في السعي إلى نقل المعرفة، وإلى تنمية القدرات، وتدريب وتحسين الأداء الإنساني في كافة المجالات وخلال حياة الإنسان كلها.⁽¹⁾

فللأمثال دور كبير جدًا في العملية التربوية، نظرًا لارتباط بعض الأمثال بالجانب التربوي التوجيهي، خاصة المرتبط بالقيم والأخلاق والمعاملات بين الناس، فأهميتها تكمن في كونها وسيلة تربوية؛ لأنّ فيها التذكير والوعظ، والحثّ والزجر، وتصوير المعاني، وتصوير الأشخاص والأعيان، وأثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها الحواس.⁽²⁾

إنّ العملية التربوية تقوم في جوهرها على عديد القيم، مستقاة من الدين والمجتمع، وتعبّر عن صورة تلك البيئة المدرسية والمجتمعية، فهذه القيم تحكمها معايير وقواعد أخلاقية تستمد وجودها من ثقافة المجتمع السوي الذي نشأت فيه، وتحدّد الأنماط السلوكية التي تعمل على تخليقها عند الناشئين.⁽³⁾

إنّ أهداف القيم جليّة ومهمّة جدًا في العملية التربوية عند الطفل، من خلال شحذ قدراته، وتفتيق مواهبه، وتفتيح مدركاته العقلية والإبداعية، كما تُسهم أيضًا في فهم الحياة الاجتماعية للمؤسسات التربوية على اختلاف أنواعها ومساراتها وأهدافها لكي تكون التربية متجاوبة مع المجتمع، ويكون المجتمع مستفيدًا من ثمار التربية ووظائفها.⁽⁴⁾

(1) - المرجع نفسه، ص 21.

(2) - إبراهيم عبد العزيز فارس: البنى التركيبية للأمثال العامية الفلسطينية (دراسة نحوية دلالية) بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النحو والصرف، قسم اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية في غزة - فلسطين - 2016، ص 15.

(3) - عطية خليل عطية - محمود عبد الحفيظ الشاذلي: الأخلاق ما بين علمي التربية والتفكير، دار البداية، عمان، الأردن، ط 1، 2010، ص 45.

(4) - عطية خليل عطية: أسس التربية، ص 275.

- دراسة تحليلية للقيم التربوية في الأمثال الشعبية:

1- قيمة التعود على الشيء:

هذه القيمة لديها وجهان وجه إيجابي وآخر سلبي، فيتمثل الوجه الإيجابي في التعود على العادات الإيجابية الجميلة مثل (الخير، الصدق، الصبر، المحبة...)، أما الوجه السلبي فيتمثل في تعويد النفس على بعض السلوكات والتصرفات الخاطئة مثل (الكراهية، العداوة، البغضاء، الحقد...). فهذه القيمة قد تكون إيجابية إذا وظفت في إطارها الصحيح، وحملت معاني إنسانية عميقة، تُسهم في الرقي بالإنسان وإكسابه عادات إنسانية جليّة، والعكس من ذلك يؤثر في شخصية الإنسان سلباً، وعلى العملية التربوية.

2- قيمة الوفاء والتغلب على الحزن

من أجمل القيم الإنسانية التي تربي المحبة والتفاهم في قلوب الناس، فالوفاء يعدّ من الصفات الجميلة التي تغنى بها الشعراء في قصائده خاصة في العصر الجاهلي، فهذه القيمة توطّد العلاقة بين الحبيّين، وتنشر بينهم المحبة والتضحية والكفاح من أجل الطرف الآخر.

3- قيمة التوافق بين شخصين

إنّ هذه القيمة المتصلة بالمثل الشعبي الشهير "وافق شنّ طبقة"، ولديها معانٍ ومدلولات عديدة (اجتماعية، فكرية، تعليمية، نفسية...) فالتوافق من شأنه أن يقوم العلاقة الإنسانية خاصة بين شخصين داخل المجتمع، فمثلاً في الجانب الاجتماعي وبخاصة في مؤسسة الزواج، يؤدي التوافق دوراً وظيفياً في تقويم العلاقة الزوجية، واستقامتها وتعديلها، فكلّما كان الشريكان متوافقان اجتماعياً وعلمياً وفكرياً كان زواجهما صحيحاً، ويحدث عكس ذلك إن لم يتوفر شرط التوافق، فالظاهر في بلدان العالم العربي في عصرنا الحالي فشل أغلب الزيجات كان سببه غياب التوافق والتوافق بين الطرفين، وهذا ما يؤثر سلباً على نفسية الزوجين، وعلى الأبناء إذا أثمرت العلاقة. فمثلاً زوج متعلّم يرتبط بزوجة جاهلة فيؤثر هذا الأمر سلباً على علاقتهما، وعلى اتصاهما في الحياة خاصة التواصل العلمي المعرفي، فلا يمكنه مشاركة أفكاره وآراءه وتصوّراته مع زوجة لا تفقه في هذه الأمور شيئاً، والعكس صحيح مع زوجة متعلّمة وزوج جاهل.

إنّ للتوافق دور كبير في تثمين وتقوية العلاقة، وتحقيق استقرارها واستمرارها، وزيادة عمليات التفاعل والتبادل والتواصل بين الأفراد.

4- قيمة الاضطراب والفوضى وما تخلّفه

الاضطراب والفوضى يُشيعان الدّعر والخوف داخل المجتمع، كما يخلّفان ضياع المصالح، وقلق الإنسان وخوفه من الحاضر والمستقبل.

فالتأمّل للكثير من المجتمعات الإنسانيّة - خاصّة العربيّة - يجد سبب تدهور أحوالها (الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة...) بسبب ذبوع الفوضى داخل أنظمتها وبنيتها، واضطراب الأمور، ومن أمثلة ذلك ما خلّفه ربيع الجحيم (الثورات العربيّة) من نفثي الاضطراب والفوضى بشكلٍ رهيب وفظيع، فقد فتك بالبنية التحتيّة والفوقيّة لتلك البلدان، التي أضحت تعيش في وضع متردي وصعب جدّاً، فقد نهانا الإسلام عن إتيان مثل هذه القيم لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ

وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة: ١١ - ١٢

5- قيمة الصدق واليقين

يعدّ الصّدق من أهمّ وأسمى القيم، فالصدق قيمة إنسانيّة لا تنبت إلّا في النفوس الصّادقة التّقيّة، وقد أشارت الكثير من الآيات القرآنيّة إلى أهميّة هذه القيمة في الحياة، ومن

ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ التوبة: ١١٩

فهذه الآية من شأنها أن تربي النفس على الخصال الحميدة، وتعديل سلوكات الإنسان، وترقيتها، وتقويم الأفكار والمواقف والتوجّهات، نظراً للقيم الإيجابيّة التي تشتملها، فهذه القيم تُساعد على تصحيح الفطرة، وعلاجها من الأمراض والآفات التي قد تعترّيها فتفسدها. (1)

(1) - عطية خليل عطية : أسس التربية، ص 107.

6- قيمة النظرة الثاقبة:

ترتبط هذه القيمة بالمثل الشهير "أبصر من زرقاء اليمامة"، ويضرب في المواضع التي يتمتع فيها الأشخاص بالنظرة الثاقبة السديدة الصحيحة للأمور، فدقة النظر تسهم في ترقية الفكر والوصول إلى لبّ وجوهر الحقيقة.

فالأشخاص الذين يتمتعون بالنظرة الثاقبة هم أصحاب العقل الراجح والفكر الناضج والرؤية الصائبة للحياة والواقع والأشياء، ومنهم الحكماء والمفكرين.

7- قيمة التحري ودقة الخبر

أغلب المشاكل والقضايا الشائكة في الحياة ناتجة عن عدم التحري عن المعلومة والحقيقة العلمية تحرياً صحيحاً، وهذا المبدأ أو القيمة من مبادئ العمل الصحفي المحترف، إذ يلزم على الصحفي البحث عن الخبر، ومعرفة تفاصيله وجزئياته الدقيقة، وأسباب حدوثه قبل ذيعه وإعلانه حتى لا ينشر أخباراً كاذبة هدامة، تثير الفتن بين الناس، كما يلزم أن يرافق الخبر الصحيح الدقة في عرضه ووصفه بطريقة شفافة وموضوعية دون زيادة أو نقصان، ودون تهوين أو تهويل، والإحالة إلى مصادر الأخبار والمعلومات، وإلى مكان وزمان حدوثها، فالدقة من شأنها منح الخبر قيمة ومصداقية عند الجمهور.

8- قيمة قطع الشك باليقين

ترتبط هذه القيمة بالمثل الشهير "قطعت جبهة قول كل خطيب" ويكتنف هذا المثل عديد الدلالات، وهي ضرورة تحري الأخبار والمعلومات والحوادث باليقين من خلال العودة إلى حدوثها فعلاً في أرض الواقع، فلا يجب على الإنسان الانصياع وراء الشكوك لأنه سيوصل إلى نتائج غير محمودة.

فاليقين هو أساس المعرفة والحقيقة، أما الشك فيوقع الإنسان في الخلل والمزلات والمزالق، فالتأمل لبعض القصص والمواقف في الحياة يجد أغلب المشاكل والصراعات والتناحرات سببها تفشي الشك في العلاقات الإنسانية واستفحالها، أما اليقين فيساعد على الوصول إلى جوهر الحقيقة، وتفسير كل الظواهر تفسيراً علمياً صحيحاً.

إنّ هذه القيم مهمّة جدًا في الحياة الإنسانيّة، ويمكن توظيفها سواء في المجتمع، أو المدرسة، أو ترقية أخلاق وسلوكيات الأفراد، وتطوير الحياة الإنسانيّة، نظرا لقيمتها الكبيرة جدًا، والأهميّة التوثيقية للمثل الشعبي، وهي القيمة الأساسيّة التي أدركتها مناهج البحث السائدة في المستعمرات، والتي أسسها المستشرقون الأوروبيون ووجهوا تلاميذهم من الأهالي إلى العناية بها باعتبارها الهدف الأساسي من بحث أشكال التعبير الشعبي. وهي قيمة لا شك أنّ لها أهميتها غير أنّها ليست هي الخصيصة الوحيدة لمثل هذه الفنون، فهناك إغفال واضح للقيمة الجماليّة مثلا، وقصور عن إدراكها ورصد ملامحها.⁽¹⁾

فالقيم ركيزة مهمّة في الحياة، ولا يمكن الاستغناء عنها، فيمكن توظيفها لتحسين وتقويم تصرفاتنا، وبناء ذواتنا بناء سليما صحيحا. فالظاهر أنّ الدين الإسلامي قد بين أهميتها ودورها الكبير في الحياة، وتصحيح أخلاق الإنسان، ليعمّ الحق والخير والسلام بين أفراد المجتمع. وقد أكد القرآن الكريم - في كثير من الآيات - على دور القيم في حياة الفرد، والمجتمع، والأمة، فأيات الله البينة المتغلغلة في النفس البشريّة، والمتصلة بالأخلاق والسلوكيات، والعلاقات الإنسانيّة، فهي تُربي في الإنسان الجانب الإدراكيّ العقليّ، حين يُدرك مظاهر حكمة الله في خلقه، والجانب الانفعالي كالخوف والمحبة والجانب السلوكي.⁽²⁾

خاتمة:

إنّ دراسة الأمثال يكتسي أهميّة كبيرة جدًا، نظرا لكونها من أبرز العناصر المشكّلة للثقافة الشعبيّة لأيّ أمة، ومخزون تراثي ثقافي إنسانيّ، جامع لثقافة الشعوب، وطبيعة حياتها، وأفكارها ومقوماتها، وعاداتها وفنونها، وأفرادها.

وقد نالت المرأة النصيب الأهمّ في الأمثال، نظرا لأدوارها القياديّة المتميّزة في المجتمع، وقد اختلفت وتعدّدت الدلالات المنبثقة عن المعاني التحويليّة والصّرفيّة للأمثال، فمنها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبيّ.

(1) - عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبيّة الجزائريّة التاريخ والقضايا والتجليات، مقالات وحوارات، فيسر للنشر، الجزائر، (د. ط)، 2011، ص 148 - 149.

(2) - عطية خليل عطية: أسس التربية، ص 275.

ومن خلال الدّراسة لاحظنا أنّ الأمثال احتوت على قيّم متعدّدة، منها ما يحمل دلالات ومعاني جميلة وإيجابية صالحة للاستثمار في حياتنا اليومية، من أجل ترقية أفكارنا، وتهذيب سلوكياتنا، ومنه ما هو سيء يجب تجنبه، حتى لا يؤثر على حياتنا وشخصياتنا سلباً. كما لاحظنا أيضاً أنّ معظم القيم المذكورة لها دلالات مرتبطة بالقرآن الكريم، وبتجارب الحياة المختلفة.

التوصيات:

- نظراً لأهمية الأمثال الكبيرة في الحياة يجب الاحتفاء بها أكثر في الدّراسات النقدية المعاصرة، من خلال عمل مقاربات منهجية للعديد من الأمثال التراثية.
- يلزم الاحتفاء أكثر بإنجاز استكتابات حول أمثال النساء، نظراً لما تشتمل عليه من أبعاد تربوية ودلالية ونحوية وصرفية، يمكن الاستعانة بها في واقعنا المعاش.
- وجوب توظيف الأمثال في المجال التربوي، خاصّة المرتبطة بالقيم ذات طبيعة إيجابية تعليمية، تنمي الملكات العقلية والإبداعية للتلميذ.
- إنشاء كتاب خاص بأمثال النساء.

المراجع:

- 1- أبي هلال العسكري: جهرة الأمثال، تحقيق أبو الفضل إبراهيم - عبد المجيد قطامش، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط2، 1988، ج17.
- 2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط1، 1968.
- 3- إبراهيم عبد العزيز فارس: البنى التركيبية للأمثال العامية الفلسطينية (دراسة نحوية دلالية) بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النحو والصرف، قسم اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية في غزة - فلسطين - 2016.
- 4- إسماعيل عبد الفتاح: القيم السياسية في الإسلام، الدّر الثقافيّة للنشر، مصر، (د. ط)، 2001.

- 5- بولرباح عثمانى: دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، الجزائر، ط1، 2009.
- 6- حسن ثليلاني: توظيف التراث في المسرح الجزائري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي القديم جامعة منتوري - قسنطينة - 2009 - 2010.
- 7 - عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1986.
- 8- عبد الحميد بورايو: البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة - الجزائر، دط، 2008.
- 9- عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية التاريخ والقضايا والتجليات، مقالات وحوارات، فيسر للنشر، الجزائر، (د. ط)، 2011.
- 10- عبد الرحمن التحلاوي: التربية بالآيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط5، 2008.
- 11- عبد الستار إبراهيم: الإنسان وعلم النفس، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير، 1985.
- 12- عطية خليل عطية: أسس التربية، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2010.
- 13- عطية خليل عطية - محمود عبد الحفيظ الشاذلي: الأخلاق ما بين علمي التربية والنفس، دار البداية، عمان، الأردن، ط1، 2010.
- 14- عز الدين جلاوي: سلطان النص دراسات، دار المعرفة، الجزائر، (د. ط)، 14. 2009.
- 15- سفيان بوعطيط: القيم الشخصية في ظل التغير الاجتماعي وعلاقتها بالتوافق المهني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم النفس العمل والتنظيم، جامعة منتوري - قسنطينة-، السنة الجامعية 2011- 2012.
- 16- صيفور سليم: الأمثال الشعبية كخلفية للعنف في المجتمع الجزائري، دراسة تحليلية، فعاليات الملتقى الوطني حول التربية في الحد من ظاهرة العنف، العدد 04، خبر الوقاية والأرغوميا، جامعة الجزائر، 07- 08 ديسمبر، 2011.

- 17- محمد توفيق أبو عالي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية) / دار النخاس، بيروت - لبنان-، ط1، 1988.
- 18- محمد صابر عبيد: سيمياء التشكيل الروائي الجمالي والثقافي في نظم الصّوغ السّردية، دار فضاءات، الأردن، ط1، 2016.
- 19- مجموعة من المؤلفين: القيم في الظاهرة الاجتماعية، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط1، 2011، ص46.
- 20- مجموعة من المؤلفين: علم الاجتماع العائلي، دار المسير للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، (د. ط)، 2009.
- 21- نبيل حاجي نائف: الطّبع والشّخصيّة، موقع الحوار المتمدّن، نشر بتاريخ 26 / 12 / 2009.

السيرة الذاتية

د. إدريس محمد صقر جرادات الصقر-

(باحث وأكاديمي - إخصائي نفسي ومحكم نزاعات أسرية وحقوق مالية)

-مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي



ولد الدكتور إدريس محمد صقر جرادات عام 1965 في بلدة سكير (قضاء الخليل).
نال شهادة الدكتوراه في التربية المقارنة وإدارة التعليم من جامعة عين شمس في القاهرة.
عمل محاضرا في عدة كليات في نابلس ورام الله والعروب والخليل، ثم في جامعة الخليل
وعمل مرشدا للتعليم الجامع والتربية الخاصة في مديرية التربية والتعليم في شمال الخليل من
1997م ولغاية أيلول 2018م ويعمل مشرفا للتربية الخاصة من 2018/9/24م
ولغاية الآن.

- ساهم في تأسيس مركز البيئة والصحة، ومركز الإبداع الفلسطيني، وهو عضو في جمعية سكير الخيرية ونادي شباب سكير الرياضي وعضو في عدة اتحادات ونقابات ومؤسسات تربوية وثقافية واجتماعية وتطوعية وخيرية.
- أسس مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي في سكير، وهو المحرر المسئول لمجلة السنابل الصادرة عن المركز.
- عمل الدليل المرجعي لرواد العمل التربوي والثقافي والأدبي والاجتماعي والفني والرياضي بالتشبيك مع مؤسسات المجتمع المحلي .

- نُشر دراسات علمية تربوية وتراثية في مجلات عالمية محكمة منها مجلة جامعة ابن رشد في هولندا ومجلة أمارا باك - الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا في سلطنة عُمان ومجلة جامعة ورقلة في الجزائر - دراسات نفسية وتربوية ومجلة جامعة الازهر في غزة ومجلة القلم - الجزائر ومجلة ابوليوس للغة والأدب وغيرها .
- شارك في أكثر من خمسين مؤتمر تربوي وتراثي بتقديم أوراق عمل ودراسات محكمة ونشر الدراسات كاملة ضمن كتب وقائع المؤتمر وخلاصة الدراسة أيضا وعضو لجنة تحضيرية وعلمية لعدة مؤتمرات تراثية وتربوية .
- عضو البرلمان الدولي لعلماء التنمية البشرية - تركيا ، وعضو المجلس الإداري لاتحاد العام للفنانين التعبيريين الفلسطينيين وعضو الأمانة العامة لاتحاد الفنانين الفلسطينيين من بين 6 اشخاص ممثل عن الضفة وعضو الاتحاد العالمي للمؤسسات العلمية - طرابلس - لبنان والجزائر، وعضو مجلس أمناء جماعة عرار للأدباء والثقافة في الاردن ، وعضو هيئة العلماء والدعاة في فلسطين ، وعضو مجلس شؤون الاعاقة والتأهيل في محافظة الخليل .
- مساعد الأمين العام لاتحاد الفنانين الفلسطينيين للمحافظات الشمالية، ونائب رئيس مجلس الامناء وعضو هيئة مكتب عرار - الأردن - للثقافة والفنون .
- عضو مجلس العلماء للاتحاد الدولي للمؤسسات العلمية في الجزائر وطرابلس = لبنان وعضو هيئة العلماء والدعاة في فلسطين وعضو الهيئة الاسلامية العليا للدفاع عن القدس والمقدسات الاسلامية .
- حصل على درع التميز لابداع من وزير التربية والتعليم الفلسطيني د. صبري صيدم تكريما لابداعاته واصداراته في الموروث الشعبي الفلسطيني كانون ثاني 2017م ودرع فلسطين الذهبي من هيئة القانون والنظام في فلسطين، والدرع الذهبي مع مرتبة الشرف من مؤسسة عرار الثقافية في الاردن .

- أصدر عدة كتب حول تاريخ وتراث القرى والبلدات الفلسطينية وخاصة في منطقة الخليل.
- كُتِبَ عنه في موسوعة المؤرخين الفلسطينيين عام 2010م ومعجم الكاشف لكتاب وأدباء فلسطين 2011م الصادر عن المجلس الأعلى للتربية والثقافة في فلسطين وموسوعة رجال حول الحرم الإبراهيمي في الخليل .

المؤلفات والإصدارات:

كتاب الألعاب الشعبية الفلكلورية في فلسطين 1995م .	- كتاب الطريق المنير إلى تاريخ سدير 1987م .
-كتاب الطب العربي الشعبي في فلسطين 1998م .	-كتاب طريق الشموخ إلى قرية الشيوخ 2001م
كتاب الصلح العشائري في فلسطين طبعة أولى 2000 م . وطبعة ثانية 2015م.	-كتاب الدرة النفيسة في أحوال قرية العديسة 2001م .
-كتاب نهج التردد في نغم الأناشيد 2000م.	-كتاب سنابل الشعر في شعر السنابل 2004م .
-الأدلة والبوسترات والصور التراثية 2003م .	-كتاب الأغنية الشعبية النسائية في فلسطين 2004م.
-كتاب أكلات شعبية من مطبخ جدتي 2004م.	موسوعة سنابل تراثية- قيد الطبع -
روائع الخط العربي لشيخ الخطاطين محمد صيام 2013م	تراث القدس سلوة النفس
السنابل وثيقة حياة ومسيرة فوق الجراح	كتاب عبير الأزاهير في تراث سدير وجغرافيتها 2015م
المؤانسة والاتحاف في مسرحيات مروة عساف 2016م	رحيق الميسم في قصتي ابتسام علقم 2016م
الروضة البهية لترقوميا العلامة مشترك مع عرفات الفطافطة 2017م.	تعليمية اللغة العربية -مشترك-تحت الطبع

لقاءات مع الصحافة المقروءة والمسموعة والمرئية

- لقاءات دورية مع إذاعة فلسطين في برنامج في المضافة 35 حلقة إذاعية عن التراث الشعبي الفلسطيني.
- لقاءات دورية مع إذاعة فلسطين في برنامج سهرة شعبية 30 حلقة إذاعية عن التراث الشعبي.
- مقابلات تلفزيونية قناة فلسطين الفضائية والقناة الأرضية حول جوانب اجتماعية وتراثية متنوعة وفضائية القدس وفلسطين اليوم ومعا والمنار .
- مقابلات مع إذاعات وتلفزة محلية-تطوعية-الوطن-أجيال-الاستقلال-أمواج-راديو القمر- نساء -عَلَم جامعة الخليل -الحرية-راديو موال-بيت لحم وراديو عروبه حول التراث الشعبي.
- زاوية تراثية ثابتة-تطوعية- ضمن برنامج قهوة مزبوط -راديو نساء-رام الله للحديث عن المطبخ الشعبي وأدواته واستعمالاته وكل ما يتعلق بالمرأة.
- مقابلة مع الجزيرة نت -دنيا الرأي-مغرس-حنين -مديات-حول التراث وصحيفة القدس والحياة الجديدة ومجلة التراث والمجتمع.
- النشر على حلقات للألعاب الشعبية الفلكلورية في فلسطين والأدوات الموسيقية الشعبية في مجلة الزيزفونة.
- النشر متطوعا في مواقع الكترونية بزوايا ثابتة زاوية قراءة في كتاب وزاوية وخير جليس في الزمان كتاب وفي مضافة السنابل في وكالة رقيب نيوز وعرار ودنيا الرأي والشباب الإخبارية وعرار.

حصل على عدة شهادات تقدير وتكريم وعضوية وشهادة دكتوراه فخرية من المجلس الاعلى للاعلام-فلسطين.*مرخص ومعتمد لدى وزارة الصحة الفلسطينية مرشد واخصائي نفسي تحت رقم 156/121/ش خ بتاريخ 2014/4/6م وتجدد سنويا

ومحكم معتمد في المنازعات الاسرية والحقوق المالية من وزارة العدل تحت رقم تسجيل 228 بتاريخ 2018/1/1 م.

• مرشد تعليم جامع وتربية خاصة -مديرية تربية الخليل من 1997-2006م ومديرية تربية شمال الخليل من 2006 ولغاية ايلول 2018م والنقل لمشرف التربية الخاصة ولا يزال على رأس عمله وعضو لجنة اعداد المعايير المهنية للتربية الخاصة في وزارة التربية والتعليم الفلسطينية .

• رئيس تحرير العدد الأول لمجلة المصدر-جامعة العبرية-مصر ونائب رئيس تحرير مجلة الحرف-الهند وعضو هيئة تحرير مجلة الحنونة للثقافة الشعبية-الاردن ومجلة قضايا اجتماعية بجامعة سكيكه-الجزائر ومجلة جامعة ابن رشد-هولندا , ومجلة جيل للدراسات الفكرية والادبية لبنان والجزائر وعضو هيئة العلماء والدعاة في فلسطين ، وعضو الهيئة الاسلامية العليا في فلسطين.

• شارك في 40 مؤتمر علمي بدراسات وأوراق عمل محكمة .

• أدار عدة جلسات في مؤتمرات وهو عضو دائم للجنة التحضيرية في مؤتمر التراث هوية وانتماء لجامعة القدس المفتوحة.

شارك في عدة ملتقيات ثقافية وعلمية في الدول العربية منها الأردن وتونس ومصر والجزائر وموريتانيا و المغرب العربي .

الفيسبوك : السنبلي للتدريب والاستشارات-الرابط

<https://www.facebook.com/profile.php?id=100002939678244>

جوال 00972599206664sanabelssc1@yahoo.com لايميل

